كنز الحكايات

أحمد الحلي

الكتاب : كنز الحكايات

المؤلف : أحمد الحلِّي

الطبعة الثانية : القاهرة ٢٠١٤

رقم الإيداع : ٢٠٧٨٩/ ٢٠١٣

الترقيم الدولي : I.S.B.N: 978 - 977 - 493 - 170 - 3

الناشر

شمس للنشر والإعلام

٨٠٥٣ ش ٤٤ الهضبة الوسطى- المقطم- القاهرة

ت/فاكس: ٠٢ ٢٧٢٧٠٠٠٤(+٢) / ٠١٢٨٨٨٩٠٠٦٥(+٢)

www.shams-group.net



كنز الحكايات

اختارها وقدَّم لها

أحمد الحلِّي

الإهــداء

إلى الأفرادِ صُنَّاع هذه الحكايات الشيقة

الذين آثروا أن تظلَّ أسماؤهم طيَّ النسيان

في حين ظلَّ ما أبدعته مخيلتُهم

يخترق العصورَ والحدودَ والحواجز

مقدمًا لنا وللأجيال من قبلنا ومن بعدنا

عُصارةَ خبراتِ الحياة

عبر أخيلةٍ ملونةٍ مجنّحة...

مقدمة

تمتلك الحكاية الشعبية من المزايا والسمات ما يجعلها تتنقل بحُرِّية شبه مطلقة عبر حواجز اللغة والجغرافيا والزمن، ولعل من أبرز مقوماتها أن جميعها يجنح نحو السهولة والسلاسة، بالإضافة إلى عمق المعنى ورسوخ الدلالة للتعبير عن الفكرة المراد إيصالها، وربما لا نجد على الإطلاق شعبًا من الشعوب أو أمةً من الأمم لا يعتز أفرادها بحكايات أسلافهم ومروياتهم فِي الماضي البعيد أو القريب، يتلاقفونها جيلاً بعد جيل، ثم لتصبح بعد ذلك جزءًا ومكوِّنًا أساسيًا من الذاكرة الجمعية، يختزن ما تواضع عليه الناس فِي مراحل زمنية معينة من قيم وأخلاقيات وأفكار وتطلعات ورؤى، بل وحتى خيال خصبٍ أيضًا.. وبهذا المعنى، فإن الحكاية الشعبية من شأنها أن تحمل ملامح المجتمعات عبر عصورهم المختلفة، وما يحيط بهم من تضاريس بيئية وجغرافية ومناخية.

يشير الباحثون إلى أن الحكاية الشعبية ظلَّت عبر العصور والحقب تمثِّل التسلية الأولى والمثلى للمجتمعات، وبصفة خاصة فِي أوقات الفراغ، وعندما يحلُّ الليل، حيث كان الأفراد يتحلقون حول النار المشتعلة تحصلاً للدفء فِي الشتاء أو الإنارة تارة أخرى، على شكل مجموعات عائلية أو قبلية أو صداقية، وكانوا فِي تجمعاتهم الصغيرة تلك يحتاجون إلى تزجية أوقاتهم الطويلة فِي

الحديث، فأخذوا فِي باديء الأمر يتداولون سير آبائهم وأجدادهم ممن لدى بعضهم مآثر بطولية، وبمرور الزمن وتوالي الحقب، اخترع مثقفوهم آنذاك الحكاية، ثم أنهم وجدوا أنهم يحتاجون إلى أن يجروا تغييرات معينة فِي تفاصيلها بغية جعلها أكثر إثارة وتشويقًا لدى متلقيها، وبذلك دخل عنصر الخيال لأول مرة، فاستمرأته الأقوام وأخذت تستزيد منه، فاستجاب الرواة الجدد وواضعو هذه الحكايات لهذا التوجه، فأخذت تخرج من بين أيديهم بضاعة أكثر حذقًا ودقة وإتقانًا.

يرصد الباحثون أن العوامل الحاسمة الأخرى لإطراد نمو هذه الحكايات، تمثلت بدرجة أساس فِي التجارة أو الحروب أو التبشير الديني أو السفر لغرض طلب العلم، هذه العناصر التي ما لبثت أن أصبحت من الروافد القوية للحكاية أخذًا وعطاءً، واضطلع الرواة بمهمة الحذف أو الإضافة أو تغيير الأسماء والأمكنة إن تطلب الأمر ذلك، ولعل هذا هو من المزايا الأساسية للحكاية الشعبية.

يقول د. عبد الحميد يونس قي كتابه (الحكاية الشعبية) الصادر عن الهيئة المصرية الكتاب بمصر؛
"... والعلماء يتفقون أو يكادون، على أن نسبه الحكاية إلى هذا المؤلف أو ذاك لا تعني شيئًا بالنسبة لشعبيتها، لأن الفيصل فِي ذلك إنما يقوم على استقبال الطبقات الشعبية لها وترديدها إياها، وبذلك تخرج من جمود التدوين ومن طابع العبقرية الذاتية إلى التنقل المتسم بالمرونة ".

وقد وجد الباحثون أن هناك أنماطًا معينة من الحكايات، وهي؛

أولاً؛ حكاية الحيوان، والتي تعدُّ من أقدر أشكال الحكايات الشعبية وكونها الأقدم على الإطلاق، وهي تستهدف فِي الغالب غاياتٍ أخلاقية، ولعل من أقدمها حكايات (كليلة ودمنة) المنسوبة للحكيم الهندي بيدبا، وكذلك حكايات إيسوب الإغريقي.

ثانيًا؛ حكايات الجان والعفاريت التي تظهر فِي الموروث الشعبي العراقي عبر ثيمة (السعلوة) أو الغول أو الطنطل وغيرها.

ثالثًا؛ حكايات السير الشعبية الطويلة التي كانت تقدَّم إلى الناس وفق طقوس خاصة على لسان (القَصّخون) ومن أمثلتها (حكايات عنترة بن شداد) و(حكايات الزير سالم) و(أبي زيد الهلالي) و(سيف بن ذي يزن) وسواهم... ونحن فِي كتابنا هذا لسنا بصدد إيراد مثل هذه المحكيات.

رابعًا؛ حكايات الشطار والمتعلقة بالفتوة، وهي ذاتها حكايات اللص الشريف فِي الغرب، ولدينا فِي العراق العديد من أمثلة هذه الحكايات التي يستند الكثير منها على أسس واقعية، ومن نماذجها الحكايات المتعلقة ببعض الولاة العثمانيين الذين حكموا العراق كسليمان باشا الملقب ب (أبو ليله) والذي حكم العراق فِي العام ١٧٤٩ وعمر باشا وغيرهما... أو تلك التي تتحدث عن بطولات بعض الأشقياء المعروفين كإبراهيم ابن عبدكة.

نشير هنا إلى أن عملنا فِي هذا الكتاب كان مضنيًا وشاقًا، وقد احتجنا إلى مزيد من الصبر والوقت والتقصي والانتقاء بين كمٍّ هائلٍ من الحكايات التي عثرنا عليها فِي مظانها المختلفة، ونظرنا فيها نظرة تفحص وتمعن، فأعدنا صياغة الكثير من الجُمل والعنوانات التي وجدنا أنها بحاجة إلى ذلك، وحذفنا ما رأينا أنه زائد ويصيب النص بالترهل.

على أنني أودُّ التنويه هنا بصفة خاصة أن جميع هذه الحكايات، هي حصيلة كدِّي الدؤوب وعملي المتواصل ولعدة أعوام فِي إذاعة المستقبل ببغداد، للأعوام من ٢٠٠٧ وحتى ٢٠١١، حيث اضطلعت المذيعة القديرة والسيدة الفاضلة "هدى رمضان" بتقديمها بصوتها الرخيم فأضفتْ عليها من روحها البغدادية الأصيلة وذوقها المتميز الشيء الكثير.

أحمد الحلي



الفصل الأول

حكايات عراقية

الهرُّ و بنت الشوَّاك

مات شوَّاك وترك ثلاثَ بناتٍ وأمهن في كوخٍ، وسمعت الأخت الصغرى إن ثمة قصرًا فخمًا في المدينة سيُباع، فذهبت إلى هنالك خلسة وابتاعته بثمنٍ عالٍ جدًا (إلا أنه مؤجل) وبكت الأم كثيرًا لهذه الورطة، فمن أين سيدفعنَّ الثمن، لقد كذبت الابنة وورطت نفسها مرة أخرى.

وأخيرًا ذهبن إلى القصر، ووجدنَّ فيه قبقابًا عتيقًا، فلبسنه بالتناوب وأخذن يقرقعن فيه ليظن الجيران أنهن مشغولات بتنظيف القصر... وعند الغداء بعث الجيران صينية كبيرة مليئة بأشهى أنواع الطعام، ولما دخل الخادم بالصينية اختبأن لئلا يراهن.

غير أن الجيران جاؤوا يسألون أين رب المنزل، فقلنَّ لهم، إن زوج الصغرى تاجر وهو الآن على سفر.

وبعد أن تناولنَّ الغداء جاء هِرٌّ وتركنَّ له بعض الطعام فتناوله، وترك لهنَّ درة كالبيضة... وبعث لهنَّ الجار الآخر بطعام، فوضع الهر في اليوم الثاني بيضةً أخرى... وتكرَّر هذا الأمر سبعة أيام، فأخذت الفتاة

الصغرى الدُرَّر وباعتها في سوق المجوهرات بمئات الليرات، ودفعت ثمن البيت وأثثته تأثيثًا فاخرًا.

وقالت الصغرى في نفسها، إني أودُّ أن أرى أين يذهب هذا الهر ؟ فتبعته عن بُعدٍ... وسار الهِرُّ في طُرقٍ ملتوية حتى دخل بستانًا مهجورًا، ودخلت وراءه واختبأت في ركن لا يراها أحد فيه، فنزع الهر ثوبه فبدا شابًا بشريًا وسيمًا، ثم فكَّ علبة صغيرة مربوطة في زنده وفتحها فخرجت أجمل فتاة (وكانت زوجته) وأسندت رأسه على فخذها وراحت تقص عليه أجمل القصص حتى نام، فرفعت رأسه ووضعته على وسادة وتركت القصر فتبعتها الفتاة الصغرى، حتى رأتها تصل إلى خرائب مهجورة، واستقبلها شاب ماجن وشابات أخريات فزجروها لأنها تأخرت، فقالت لصاحبها الشاب الماجن، إنها لم تستطع أن تنيم زوجها إلا قبل قليل، وشتمت زوجها ورقصت معهم حتى أعياها التعب، وعادت فأيقظت زوجها بأعذب الكلمات والقُبل.

وفي اليوم التالي، أقام الشاب وليمة دعا إليها أصدقاءه الشباب وزوجاتهم في حديقة القصر، فأكلوا وضحكوا ورقصوا رقصًا عنيفًا، فتناولت بنت الشواك عظمة من بقايا الطعام ورمت بها زوجة الهر الخائنة، وفقأت عينها، فصاحت الزوجة من هول الألم، فاجتمع الحاضرون حولها، ووجدتها الفتاة فرصة سانحة للهرب.

وخرج الهِرُّ من قصره بعد ذلك، ولكن في هيئة رجل كهل هذه المرة، وحمل خرجًا مليئًا بالدرر وآخر مليئًا بالحاجيات المنزلية وراح ينادي في الأزقة:

– منو يحجي لي على جرح كلبي أنطيه هذا الخُرج اللي كله درر !

فخرجتْ النساء وأخذنَّ يقصصنَّ عليه حكايات بعيدة عن الموضوع، فكان يعطي كل واحدة منهن حاجة منزلية كالإبر والملاعق والبهارات.... الخ مكافأة لهن، إلى أن وصل إلى قصر بنات الشواك، فعرفته الصغرى، وحكت له حكايته كما وقعت إلى أن وصلت إلى الجملة الأخيرة: ((وتناولتُ العظمة وفقأتُ عين زوجتك)) !

فخرج الشاب إلى البرية وفتح العلبة وأخرج زوجته وأحرقها، وعاد إلى بنت الشوّاك وتزوجها بعد أن عاد شابًا جميلاً، فقالت الشقيقات لجيرانهن لقد عاد زوج أختنا التاجر من رحلته.

إبليس و الفلاح

اتفق فلاحٌ مع إبليس أن يزرعا اللفت (أي الشلغم)، فحرثا الأرض وبذرا البذور وسقياها، وانتظرا حتى خرجت الأوراق الخضر ونضج اللفت وجلسا لاقتسام الحاصل، فقال الفلاح لإبليس: لك الأوراق الخضر الكبيرة ولي الجذور التي في الأرض، فوافق إبليس، لأنه لم يكن يحب العمل ومشاقه.. فحفر الفلاح الأرض واستخرج ما تحت الأرض، وجمعا الحاصل واقتسما حصتيهما، وذهب كلٌّ إلى سبيله، ففطن إبليس إلى أنه قد غُلب على أمره، وأن الإنسان قد خدعه واستحوذ على الحاصل النافع، فقرَّر أن لا يتركه وأن ينتقم منه في الموسم القادم...

فلما حلَّ الربيع اتفقا أن يزرعا شعيرًا، وحرثا الأرض وبذرا البذور وسقياها، وانتظرا حتى خرجت النباتات الخضر، فباغت إبليس الفلاح قائلاً: كانت حصتك تلك المرة مما هو تحت الأرض وحصتي مما هو فوق الأرض فخذ هذه المرة ما هو فوق الأرض واترك لي ما هو تحت الأرض.

ولمَّا نضجت السنابل وصارت صفراء، حصدا زرعهما واقتسما الحاصل، فصار للرجل السنابل ولإبليس الجذور.

- **وفحوى هذه الحكاية ومغزاها أن صاحب المهنة يعرف خفايا حرفته أكثر من سواه وأنه لا أحد يستطيع أن يتغلب عليه؛ حتى ولو كان إبليس نفسه.**

الأقـراط

كان هناك شخصٌ اسمه "علي" اشترى زوجًا من الأقراط الماسية، فطلب من أمه أن تخطب له الفتاة التي يضيء خدَّاها ويشرقان كما يُشرق الماس نفسه، فأخذتْ الأم تطوف من بيت إلى بيت، تعلّق الأقراط على جيد الصبايا، إلا أنها لم تجد الفتاة المرجوة في المدينة كلها، وعادت الأم إلى ابنها وقالت له: لقد طفتُ جميع البيوت، ولم يتبقَّ سوى بيت بعيد عن المدينة يسكنه أحد الفقراء، فأصرَّ علي أن تذهب أمه إلى ذلك البيت...

دخلتْ الأم إلى ذلك البيت، فوجدتْ بنتًا يُضيءُ وجهها كالقمر تنقي الشعير من الشوائب في طبق وقد تناثر الغبار على خديها فصار كالبودرة، وبالرغم من ذلك راح خدَّاها يشعان كالماس بل أجمل منه، وقد عرفت الأم أن الفتاة هي ابنة عم علي ففرحت بها وأعطتها الأقراط نيشانا لها وعادت إلى ابنها تخبره بالخبر.

ومرَّت أيام، وكان علي جالسًا في المقهى، فمرَّ من أمامه موكب (أي حملة) عروس، وسأل علي فقيل له؛ إنها حملة بنت تاجر إلى عريسها.

فاغتاظ حينها وحزن وذهب إلى أمه يطلب إليها أن تستعيد الأقراط من ابنة عمه الفقير فهو ابن تاجر ويرغب في زوجة يستطيع أبوها أن يقدِّم له (حملة) يفخر بها أمام أقرانه من الشبان، فماذا تستطيع ابنة عمه الفقيرة هذه ؟!

وأمضت ابنة العم أيامها ولياليها باكية تندب حظها العاثر، وفي هذه الأثناء مرَّ بهم درويش وسألهم عن مصابهم، فقصوا عليه الخبر، فعرض عليهم أن يتزوج البنت، فوافقوا.

أما علي فقد خطب ابنة تاجر غني، قدّمت له حملة فاخرة، غير أن البنت لم تكن جميلة، وحضرت ابنة عمه حفلة العرس، فترك الحاضرون العروس وتوجهوا بأنظارهم إلى ابنة عم علي، وعتبت الأم على ابنها، فطلب علي رؤيتها، فلما رآها انبهر بجمالها وتعلق قلبه بها تعلقًا شديدًا، وقرَّر أن يتزوجها في الحال وأن لا يدعها تخرج من بيته، ولكنها أوضحت له أنها متزوجة ولا يمكن لا شرعًا ولا عُرفًا أن يتم لـ علي ما يريد.

إلا أن علي اختطفها عنوة مدعيًا أنها ابنة عمه ولا يمكن لأحد أن يأخذها منه، فاشتكى أهلها في الحال لدى حاكم المدينة، فظهر أن الدرويش الفقير الذي تزوجها هو حاكم المدينة نفسه، وقد جاءهم متنكرًا ولم يفصح عن شخصيته إلا حين جاءت قضية زوجته أمامه... فردَّ عليًا بطبيعة الحال.

وعادت الأفراح عند أهل الفتاة بعد أن عرفوا الحقيقة.

- **والمغزى من هذه الحكاية، أن على الإنسان أن يتروّى في نظره إلى الأمور الخطيرة قبل أن يتخذ قرارًا بشأنها، وأن الفرصة إذا ضاعت من المرء فإنها لن تعود.**

الطائر السحري*

كان في قديم الزمان طائرٌ سِحريٌّ يعيش في غابات الجبال، ولم يكن هذا الطائر جميلاً وذكيًا وسريعَ البديهة فقط، بل حظي بموهبة الكلام البشري، وقد حاول كثيرٌ من الملوك والأباطرة والأمراء والأثرياء ومن مختلف البلدان أن يصطادوه، وقد بلغ الأمر ببعضهم أنهم ذهبوا بأنفسهم لاصطياده، إلا أن جهودهم جميعًا باءت بالفشل.

وبلغتْ أنباء ذلك الطائر أسماع أحد الأمراء، فقال لمحدِّثه:

– إنه حقًا لطائر عجيب !

ثم أردف قائلاً:

– ولكنني على يقين بأني قادر على الإمساك به...

ثم انطلق نحو غابات الجبال حتى بلغ شجرة الصنوبر العتيقة التي قيل إن عشَّ الطائر موجود فيها، وبالفعل فقد وجد الطائر السحري واقفًا بين أغصانها الخضر الكثيفة، ولم يشعر الطائر بشيء من الخوف ولم يحاول الهرب، وسمح لهم أن يمسكوا به دون أدنى مقاومة...

---

* مأخوذة من كتاب (ألف ليلة وليلة).

وفرح الأمير فرحًا عظيمًا، وفي طريق عودته إلى وطنه وأثناء مرورهم في الممر الجبلي قال له الطائر: يا صاحب السمو، قد تكون مسكتني دون عناء كبير ولكنني أحذرك؛ يجب أن لا تصدر منك في أثناء الطريق تحسّرات أو تكون فترة صمت، وإلا فإني سأطير في مثل رمشة عين، لذا يجب أن يتحدَّث أحدنا بشيء أثناء سيرنا..

قال الأمير: حسنًا إذن، تحدَّث أنت بشيء..

قال الطائر: حسنًا، أودُّ أن أروي لجلالتكم قصّة... كان لدى صيَّاد ماهر كلبٌ أمين، خرج الصيَّاد يومًا مع كلبه، والتقى في أحد الوديان بعربة يجرُّها ثور محمَّلة بالذهب والفضة وأشياء أخرى ثمينة، كانت العربة قد انكسرت وجلس صاحبها مغمومًا، ألقى الصيَّاد التحية على صاحب العربة فردَّ هذا على تحيته، وراح الاثنان يتحدثان لبرهة من الوقت، قال صاحب العربة؛ أودُّ يا صديقي أن أذهب إلى القرية القريبة لأجلب بديلاً عن الجزء الذي انكسر، وأرجو منك أن تبقى هنا مع كلبك ريثما أعود... قال الصياد: بالتأكيد سأفعل ذلك...

فرح صاحب العربة لذلك وانطلق في طريقه الجبلي، وظل الصياد ينتظر حتى مغيب الشمس، إلا أن صاحب العربة لم يحضر، ففكّر في نفسه: إن أمي ضعيفة البصر وأخشى أنها لا تستطيع أن تطبخ لنفسها شيئًا تأكله، وهي جائعة منذ الصباح ولحد الآن، فقال لكلبه: ابقَ أنت هنا واحرس العربة حتى يعود صاحبها، وحذار من اللصوص... واتبع

الكلب تعليمات سيده بأمانة وراقب الثور لئلا يبتعد وأخذ يدور حوله مثل حارس ليلي يقظ حي الضمير... وذهب الصياد إلى قُرى كثيرة، إلا أنه لم يجد بديلاً عن العتلة المكسورة إلا بعد حلول الظلام، وعندما عاد وجد أن الصياد قد ذهب تاركًا كلبه الأمين يحرس العربة، وتفقَّد الكنز فوجد أنه لم يؤخذ منه شيء، وأثنى على الكلب وأعطاه قطعة من الفضة مكافأة له، وقال له اذهب إلى بيت صاحبك...

وبعد أن وصل الكلب كان الصياد بانتظاره لدى باب البيت، وعندما رأى الكلب سيده، ألقى من فمه قطعة الفضة على الأرض فاستشاط الصياد غضبًا عندما رأى الفضة، وقال: قلتُ لك احرس أشياء صاحب العربة لا أن تسرقه... وتناول هراوة وأهوى بها ضربًا على الكلب حتى مات...

فقال الأمير: واحسرتاه ! يا له من صياد متهور ما أشد خطأه في قتل مثل هذا الكلب الأمين.. وتنهَّد تنهيدة عميقة.

فقال الطائر السحري:أترى ؟! إنك تحسَّرتَ !... ثم أنه للحال انفلت وطار وحلَّق بعيدًا.

ولام الأمير نفسه وقال: واحسرتاه ! لماذا تراني نسيت تحذير الطائر لي من أن لا أتحسر...

ثم أنه عاد إلى الغابات الجبلية واستطاع أن يصيد الطائر مرة أخرى، وفي الطريق قال الطائر: دعني أروي لك حكاية أخرى.. كان عند امرأة

قطة مخلصة، وفي ذات يوم ذهبت المرأة إلى البئر لتجلب الماء، وقبل أن تخرج أوصت القطة أن تهتم بالطفل الذي في المهد، وعندما خرجت المرأة تمددت القطة بجانب المهد وأخذت تطرد الذباب والبعوض عنه، وسرعان ما خرج جرذ من وراء الباب وحاول أن يتسلل ويعض أذن الطفل، ولكن القط طرد الجرذ من الحجرة بسرعة.. وأثناء المطاردة جاء جرذ آخر وقطع أذن الطفل، فانفجر الطفل باكيًا من الألم، وعاد القط مسرعًا وأمسك بالجرذ الثاني وقتله، ثم جلس بجانب المهد مرة أخرى، وعادت الأم في تلك اللحظة، فوجدت القط يلعق الدم من أذن صغيرها، ولم تستطع السيطرة على غضبها وصاحت: أوصيتك أن تهتم بالطفل ولكنك اقتطعت أذنه أيها الشرير !... وأحضرت هراوة وراحت تضرب القط حتى مات، ولكنها عندما رأت الجرذ الميت وفي فمه أذن طفلها، أدركت مدى الخطأ الذي اقترفته، وانخرطت باكية...

فتنهد الأمير وقال: واحسرتاه ! يا له من قط مسكين !

وما أن تحسّر الأمير حتى انفلت الطائر وخفق بجناحيه وحلّق بعيدًا..

وعاد الأمير مرة ثانية إلى غابات الشمال البعيدة لمطاردته، وبالفعل استطاع أن يمسك به للمرة الثالثة، وعاد يسير في الطريق الملتوية، وحكى الطائرُ السحري له حكاية أخرى... في إحدى السنوات لم تمطر السماء أبدًا، وهرب من المجاعة أحد الأشخاص، كانت الشمس

شديدة الحرارة، فشعر الرجل بظمأ شديد ولم يستطع المشي من شدة العطش فجلس تحت صخرة ناتئة من الجبل في انتظار الموت ليأتي ويأخذ روحه، ولكنه ما لبث أن سمع صوت قطرات تتساقط من أعلى وتقع قريبًا منه، فعادت إليه قوته من فرط فرحه وأمسك بالوعاء الذي كان يحمله واستطاع أن يجمع نصفه بالماء، وكان على وشك أن يشرب عندما انقض غرابٌ فجأة وضرب الوعاء بجناحه، فغضب الرجل غضبًا شديدًا وصاح: لقد رحمني ربي وأعطاني ماءً جمعته قطرة فقطرة ثم يأتي ذلك الغراب الشرير ويسفحه كله !.. وتناول حجرًا وركض وراء الغراب وضربه فقتله.. وصعد ليرى الغراب الميت فوجد ينبوعًا صغيرًا يخرج ماؤه من شق صخرة في الجبل، ففرح فرحًا شديدًا وشرب من الماء حتى ارتوى وعاد إلى مجلسه السابق، وتناول زوّادته، وكان على وشك أن يستأنف رحلته حين نظر إلى الأعلى ورأى أفعى كبيرة جدًا نائمة على قمة الصخرة وكان السم يقطر من فمها، فقال: آه ! إذن فقد كان الذي جمعته سُمًّا! وقد أنقذ الغراب حياتي... وبكى نادمًا على فعلته.

فصاح الأمير: واحسرتاه ! ياللغراب المسكين ! ضحَّى بحياته لإنقاذ قاتله !.

فقال الطائر: أراك تحسَّرتَ مرة أخرى... وحلَّق مبتعدًا.

قال الأمير: واحسرتاه حقًا ! فإن هذا الطائر أذكى من أن يكون معنا.

ثم عاد الأمير إلى بلاده...

الدجاجة المسحورة

كان يا ما كان في قديم الزمان، أن هناك امرأة كانت تعيش لوحدها، فاشترت دجاجة لتؤنسها ولكي تستفيد من بيضها.

اعتادت هذه المرأة أن تخرج بين يوم وآخر إلى السوق لتشتري ما تحتاجه من غذاء وحاجيات. وعند خروجها تقوم الدجاجة بنزع جلدها وهو الريش وتظهر على هيئة فتاة جميلة وتشرع بتنظيف البيت وترتيبه، وبعد الانتهاء من التنظيف تخرج إلى الساقية القريبة لتغتسل وفي الجانب الآخر من الساقية كان يوجد بستان الملك، وبعدها تعود إلى البيت مسرعة وتلبس ثوبها أي الريش وتجلس في مكانها وتأخذ تقوقي، وعندما تعود صاحبة البيت من السوق تشاهد الدجاجة في مكانها ولكنها تعجب من تنظيف البيت وترتيبه واستمرت هذه الحال معها لوقت ليس بالقصير.

وفي أحد الأيام، وعند وصول الفتاة إلى الساقية شاهدها البستاني، فتعجب من جمالها، وما إن وقعت عيناها عليه حتى تمتمت بالعبارة التالية : " شندل مندل صير بستوكة وتدندل "، وفي الحال انقلب

البستاني رأسه إلى الأسفل ورجلاه إلى الأعلى، ويبقى البستاني على هذا الوضع حتى تعود الفتاة إلى البيت فيعود هو إلى حالته الطبيعية.

في يوم من الأيام، كان ابن الملك يتجول في البستان فوقعت عيناه على البستاني وهو يقف بهذه الحالة المعكوسة، وبعد أن استعاد وضعه الطبيعي سأله ابن الملك ما الذي جرى له، فقص عليه البستاني القصة، تأتي فتاة جميلة لتغتسل في الساقية وعندما تشاهدني تقول لي : " شندل مندل صير بستوكة وتدندل " فأجد نفسي متدليًا بالمقلوب حتى لا أراها إلى أن تغادر الساقية فأعود إلى حالتي الطبيعية.

وعندما سمع ابن الملك هذه القصة الغريبة، قرَّر أن يشاهد هذه الفتاة دون أن تعلم فاختبأ في مكان لكي يتأكد من كلام البستاني، وبالفعل جاءت الفتاة وحصل الذي كان يحصل في كل مرة، فاندهش ابن الملك وصدّق كلام البستاني، وذهب وراء الفتاة إلى أن دخلت البيت، فقرر أن يخطبها، وطرق الباب فخرجت له المرأة العجوز، فعرض عليها أن يخطب ابنتها وعرّفها على نفسه بأنه ابن الملك، فقالت له المرأة العجوز، ليس عندي في البيت أية فتاة، فقط تعيش معي في هذا البيت دجاجة ويمكنك أن تسمعها تقوقي.

رجع ابن الملك إلى بستان أبيه حائرًا لا يدري ماذا يفعل، خاصة بعد أن وقع قلبه في غرام الفتاة، إلا إن هذه الفتاة استمرت على خروجها من البيت بعد أن تذهب صاحبته للتسوق، فتغتسل في الساقية وتعود

وتجلس في مكانها، فيعود ابن الملك وراءها ويتقدم لخطبتها بعد عودة المرأة من السوق، إلا إن هذه المرأة صاحبة البيت تأخذ تفكّر بهذا الشيء العجيب الذي يحدث في البيت : التنظيف و الترتيب ثم إصرار ابن الملك بأن لديها فتاة جميلة، ففكرت المرأة التي تريد أن تعرف السر الذي يحدث في بيتها، فاختبأت في مكان منه بحيث لا يراها أحد، وبالفعل شاهدت العجب فرأت دجاجتها وهي تنزع ريشها وتتحول إلى فتاة جميلة جدًا، تقوم بتنظيف البيت وترتيبه على أحسن وجه، ثم تخرج إلى الساقية وبعدها تعود الفتاة إلى مكانها، لكن المرأة أخفت ثوب الدجاجة وهو الريش وأحرقته، وعند رجوع الفتاة إلى البيت لم تجد ثوبها وزال السحر عنها، وجاء ابن الملك الولهان كعادته لخطبتها، وتزوجها وعاشا عيشة سعيدة وصارت المرأة العجوز بمثابة أمها.

حكاية "القانون"

هذه حكاية طريفة من واقع الريف العراقي في الأوقات القريبة الماضية وتبتدئ بالقول:

كان يا ما كان في قديم الزمان، كان أحد القرويين يعيش في الريف ولم يفارقه يومًا، وكان يسمع بالمدينة وما فيها من متعة وجمال وتقدم، هذه المدينة لم يشاهدها صاحبنا ولم يزرها.

وفي أحد الأيام قرَّر هذا القروي أن يزور المدينة ليقف على ما فيها من متعة وجمال.. شدَّ الرحال نحو المدينة ووصلها ليلاً، ليدخل في أحد ملاهيها ليجد الناس في هرج ومرج وسرور وحبور يرقصون ويغنون ويُصفقون يملأهم المرح والسعادة، فما كان من صاحبنا إلا أن وقف بالقرب من عازف القانون مندهشًا من هذه الآلة العجيبة الغريبة، وكيف يداعب العازف أوتارها فتنطلق منها نغمات جميلة تبعث المتعة والسرور في نفوس الحاضرين، وفي حقيقة الأمر فإن هذه الآلة قد أسرت لُبَّه، فما كان منه إلا أن سأل أحد الحاضرين عن اسم هذه الآلة، فأجابه هذا أن اسمها القانون.

أمضى القروي ليلته متمتعًا بهذه الأجواء المخملية، إلا أن أكثر شيء بقي عالقًا في ذهنه هو آلة القانون والنغمات العذبة المنبعثة منها.

في اليوم التالي ارتكب هذا القروي جُرمًا ما في المدينة ليجد نفسه بعد أيام من التوقيف واقفًا أمام القاضي وهو يتلو عليه قرار المحكمة قائلاً : (حكمت المحكمة عليك وفق المادة كذا من القانون بالحبس مدة ستة أشهر)...

فما كان من هذا القروي إلا أن عقَّب قائلاً : (هذا شلون قانون، بالليل يونسون بيه الأوادم وبالنهار يحبسونهم بيه !!).

شُكر و خلف الراعي

كان لأحد الملوك راعٍ يرعى له الغنم، وكان اسمُه "خلف"، وفي أحد الأيام طلب خلف من أبيه أن يخطب له ابنة الملك، فقال له أبوه:

- يا بني إن الملوك لا يُعطون بناتهم زوجاتٍ لأحد الرعاة فهو يعتبره عبدًا له أو أدنى من ذلك، وإن كنت مصرًا فاذهب بنفسك واخطبها منه.

وعندما ذهب الراعي خلف إلى الملك وجد عددًا من الوزراء جالسين في حضرته، فتجرأ وعرض على الملك طلبه، فاستخف به الملك، ثم أن الوزراء أشاروا على الملك أن لا يصرف الراعي بل يطلب منه أمورًا يستحيل تحقيقُها، فقال له الملك:

- أريد منك أن تحضر لي بساطًا يكفيني ويكفي جميع عسكري، وأريد منك سُفرةً عليها طعامٌ يكفيني ويكفي جميع عسكري أما الطلب الثالث، فأريد منك شيئًا لم أره من قبل.

فرجع خلف إلى أمه وقال لها: هاتي متاعي، فأعطته رغيفين من الخبز وضعهما في عليجته، وخرج، وصار يمشي ويمشي حتى أخذ منه التعب كل مأخذ، وأنهكه الجوع والعطش، ووصل أخيرًا إلى نهر، فجلس

وأخرج الخبز وبلله بماء النهر وأكل ثم شرب ماءً، ولما انتهى من ذلك قال: يا ربي لك الحمد والشكر.. فإذا برجل يخرج إليه من النهر ويقول له: ماذا تريد مني، أنا شكر.. فقال الراعي: أنا لم أطلبك، بل قلت؛ يا ربي لك الحمد والشكر.. فقال الرجل: على كل حال أنا شكر، فتعال معي.

وذهب خلف معه ونزل في الماء وراح الرجل يدرِّسه ويلقنه علومًا ومهارات لم يكن يعرفها من قبل، حتى جاءت فترة الراحة، فاغتنمت زوجة الرجل فرصة ذهاب زوجها لبعض شأنه وقالت لخلف: سيمتحنك زوجي قبل حلول العطلة، فإن سألك؛ هل تعلمت ؟ قل له؛ لم أتعلم شيئًا، لأنك إن قلت إنك تعلمت أي شيء فإنه سيقتلك.

وحان موعد الامتحان، فأحضر شكر رزمة من العصي وأخذ يضرب بها الراعي خلف بعد سؤاله ماذا تعلمت، فيقول؛ لم أتعلم أي شيء، لم أتعلم أي شيء !... واعتبر شكر الامتحان منتهيًا، فقال له: خذ هذه السُفرة إلى أهلك يأكلون منها ما يشتهون.

فذهب خلف إلى أهله، وأخذوا يأكلون ويأكلون دون أن تنتهي السُفرة.

وانتهت العطلة، وأخذ خلف متاعه وجلس لدى النهر وخرج له شكر، وأخذه معه واستأنف تعليمه وتلقينه، وحان موعد الامتحان، وأخذ شكر يضرب خلف بالعصي ويقول؛ ماذا تعلمت، فيقول خلف لم أتعلم شيئًا، فأعطاه شكر بساطًا يتسع متى شاء، فذهب إلى أهله وقضى

العطلة بينهم ثم عاد إلى شكر بعد أن حمد ربه وشكره وأكل متاعه من الخبز، ودرَّسه شكر وامتحنه، وأجاب خلف أنه لم يتعلم شيئًا، فأعطاه في هذه المرة رحى وقال له: لو أدرتها دورتها الطبيعية يتساقط منها إليك الذهب ولو أدرتها بالاتجاه المعاكس تساقطت إليك فضة. وذهب بها إلى أهله وكانوا يديرونها ليلاً باتجاهين فتدر عليهم ذهبًا وفضة.

وانتهت العطلة، وعاد خلف إلى شكر كما كان يرجع في كل مرة، وحدث أن كسرت الرحى التي في بيت الملك، فأرسلوا في طلب رحى من بيت الراعي، فقالت الخادمة لام خلف، هل لديكم رحى ؟ فلم تجب أم خلف أي جواب، غير أن الخادمة قالت إني أسمع لديكم ليلاً صوت رحى تدور، ففتشت الدار، وعثرت على الرحى وأخذتها إلى قصر الملك، وأدارتها فتساقط منها الذهب وعكست الدورة فتساقطت فضة، فأخبرت زوجة الملك بذلك، وسمع الملك بأمر الرحى وأصدر أمره بأن تُصادر فوراً.

وأكمل خلف دراسته لدى شكر الذي امتحنه فأجاب بالجواب نفسه؛ لم أتعلم شيئًا، أي شيء، فأعطاه شكر حبلاً وميجنة*، وقال له: إن أردتَ شيئًا، فقل فقط يا حبل لف ويا ميجنه دقي.

---

* الميجنة؛ آلة غليظة تشبه الهراوة مصنوعة من الخشب الصلب، كانت تستعمل في البيوت لغرض دق الحبوب كالحنطة والشعير والشلب وغيرها، ويتم الدق بها في وعاء خشبي كبير نسبيًا يسمى (جاون).

ثم عاد إلى أهله، فأخبروه عن الرحى، وكيف اغتصبها الملك، غير أن خلف لم يُعرهم التفاتًا، وقال لأمه: سوف أقلب نفسي بغلة وخذيني إلى السوق واعرضيني للبيع، ولكن حذار أن تبيعي (الرشمة) أي اللجام لأن روحي فيها، ثم قلب نفسه بغلة وعرضته أمه للبيع في السوق، واشتراها الملك لجمالها بمائة ليرة واستردت اللجام، فوضعها الملك في حديقة بيته وصار يتفرج عليها، فذهبت البغلة إلى إبريق ماء وصارت تشم فيه فأدخلت رأسها فيه ثم رقبتها واختفت البغلة في الإبريق، فهال الملكَ هذا المنظر وراح يصيح بأعوانه: إن البغلة اختفت في الإبريق... ولكن لم يصدقه أحد وقالوا إن الملك جُنَّ.

ثم عاد خلف إلى أمه وقال لها: سوف أقلب نفسي إلى ناقة، ولكن حذار أن تبيعي اللجام... فذهبت بها إلى السوق.

وعلم شكر بما يفعله تلميذه خلف وأنه راح ينافسه في أعماله الخارقة، فأغرى الأم بكثير من المال واشترى الناقة واللجام، وقاده إلى الحداد وهو يقول له: يا خلف أتعلم ماذا ينتظرك ؟ كنت أسالك هل تعلمت شيئًا فتجيبني: لا، لم أتعلم شيئًا... سوف أقتلك شر قتلة !.

ثم جاء به إلى الحداد وطلب منه أن يوقد نارًا حامية، وربط شكر الناقة التي راحت تنظر إلى النار، وفيما الحداد وشكر منشغلان، قلب خلف نفسه من ناقة إلى جرذ، فرآه شكر فقلب نفسه قطًا وراح يطارده. فقلب الجرذ نفسه طيرًا، فتحول القط إلى صقر ولحق الطير الذي نزل

إلى حديقة الملك وتحول إلى وردة فيها، فتحول الصقر إلى درويش، ووقف أمام باب الحديقة فخرج إليه الفلاح وظنَّه شحَّاذًا فأعطاه قليلاً من النقود، غير أن الدرويش رفضها وطلب منه وردة في الحديقة، فقال له الفلاح: لا وجود للورد في هذا الفصل، أمجنونٌ أنت؟ فقال الدرويش: انظر إليها، تلك هي الوردة التي أريدها.. فنظر الفلاح ورأى الوردة، فقال؛ لا أُعطيها إلا إلى الملك، عساه يُكرمني شيئًا... فأعطاها للملك الذي فرح بها كثيرًا.

وذهب الدرويش ووقف أمام باب القصر فأمر الملك أن يُعطى بعض النقود غير أنه رفض وطلب الوردة، فرفض الملك، وقال الوزراء؛ أيها الملك إن الوردة ستذبل في مدة قصيرة ولن تفيدك شيئًا فأعطها إلى هذا الدرويش المسكين... ومدَّ الدرويش يده لأخذها، إلا أنها تحولت إلى رمانة قبل أن تصل إليها يد الدرويش وسقطت على الأرض وانفرط حَبُّها عليها، فتحول الدرويش إلى ديك وصار يلتقط حَبَّ الرمان بمنقاره، ولم يبق سوى حبتين، فدُهش الملك لهذا المنظر، وراح الديك يقلّب نظره بين الحبتين؛ واحدةٌ تحت كرسي الملك وأخرى تحت كرسي أحد الوزراء، وكان حائرًا لا يدري أية حبة يلتقط، لأنه إذا التقط واحدة فلعل خلف الراعي يخرج من الأخرى، وأخيرًا استقر رأيه أن يلتقط الحبة التي تحت كرسي الملك، فتناولها، فتحولت الحبة الأخرى إلى ثعلب سرعان ما انقض على الديك وأكله... ثم قلب الثعلب نفسه

رجلاً، وإذا بالرجل خلف الراعي، فدُهش الملك، وقال له خلف: أيها الملك، هذا أول شيء أحققه من طلباتك.. فقال الملك: صدقتَ فإني لم أرَ مثل هذا قبلاً، ولكن أين السُفرة وأين البساط ؟ فقدم خلف الراعي سُفرته وبساطه وجربهما الملك ولم يجد فيهما أي خلل، وقال خلف الراعي للملك: والآن، ألا استحق أن تزوجني ابنتك؟ فسكت الملك ولم يُحِرْ جواباً وعاهده أن يزوجه ابنته فيما بعد.

وظلّ خلف صابرًا والملك يماطله يومًا بعد يوم... وأخيرًا قرَّر الملك أن يرفض تزويج ابنته من خلف الراعي... فتوجه خلف إلى قصر الملك بالحبل والميجنة وأمرهما باللفِّ والدق، فوقع الملك ووزراؤه تحت ضربات الميجنة وراحوا يستنجدون بخلف الراعي ويعاهدونه أنهم سيزوجونه ابنة الملك، فأوقف خلف الحبل والميجنة، وأمرهما أن يكفَّا عنهم، وقال الملك له: ابنتي زوجتك، وأنت الملك فهاك تاجي.

وتنازل الملك لخلف الراعي عن عرشه، ورضي أن يكون حاجبًا له.

ست الحِسِن ، أو سندريلا بغداد

كان يا ما كان في قديم الزمان، كان لرجلٍ بنتٌ جميلةٌ جدًا أطلق عليها أهالي المنطقة اسم "ست الحسن"، ماتت أمها فتزوج أبوها امرأة أخرى، صار له منها بنتان.

ذهبت الزوجة ذات يوم مع بنتيها إلى حفلة عرس، ولبست هي وبناتها أجمل الملابس، وتركن ست الحسن في البيت وأمرتها زوجة أبيها أن تغسل الأواني والصحون وملابس أختيها ثم تكنس البيت وترتب الأثاث وقالت لها أخيرًا: إذا انتهيتِ من كل شيء فاملأي (حِب الماء) الفارغ بدموعك.

وعملت ست الحسن كل ما أمرتها زوجة أبيها أن تقوم به، ثم توجهت إلى حِب الماء تحت شجرة التوت الكبيرة، وراحت تبكي، غير أن دمعة واحدة لم تنزل من عينيها، فخافت كثيرًا من زوجة أبيها، وسمعت صوتًا يكلّمها: ست الحسن لا تحتاري !... فرفعت رأسها إلى الأعلى نحو شجرة التوت، لأن الصوت جاءها من هناك، فرأت حمامة جميلة أكملت قولها: ولا تخرجي، املأي الحِبَّ من ماء البئر، وإذا

جاءت زوجة أبيك فستجده مليئًا، وإن شئتِ فضعي في الماء مقدارًا من الملح فيكون مالحًا كالدموع، احفري يا ست الحسن بجانب البئر ستجدين صندوقًا، افتحي الصندوق وألبسي الملابس والقبقاب الذهب واذهبي إلى العُرس.

لبست ست الحسن أجمل الثياب من الصندوق المسحور، وغسلت قدميها، وانتعلت القبقاب، فبدت كأنها القمر، وتوجهت إلى حفلة العرس، وسمعت وهي في الطريق أعذب الألحان، ولما دخلت، دهش الجميعُ لحسنها ولم تعرفها حتى أختاها ولا زوجة أبيها، وتحوَّل الناس بأنظارهم إلى ست الحسن وتركوا العروس.

وبعد أن انتهى الرقصُ والغناء، خرجت ست الحسن مسرعة إلى بيت أبيها كي تصل قبل الزوجة والأختين، وضعت قنطرة على الجدول وهي تركض، فسقط القبقاب من إحدى رجليها وغاص في الماء.

ومرَّ ابن السلطان ذات يوم على حصان وكان الحصان عطشان، فنزل إلى الماء ليشرب غير أن الحصان جفل وتراجع، وأعاده مرة أخرى إلى الماء، ولكنه جفل مرة أخرى، فنظر ابن السلطان إلى قاع النهر، فرأى شيئًا يلمع نزل إليه واستخرجه من الماء، فإذا به قبقابٌ جميلٌ من الذهب الخالص لم ير مثله من قبل، وقال في نفسه: إن القدر هو الذي ساقه إليه، وأنه سيتزوج الفتاة التي يلائم قدميها هذا القبقاب.

وذهب إلى قصره، وأمرَ رجالَه أن يفتشّوا في المدينة عن صاحبة القدم الملائمة... وطافوا بالقبقاب من بيت إلى بيت دون جدوى، فلم يلائم قدمًا من أقدام النساء، فهو أما صغير أو كبير، ولم يبق في المدينة إلا بيت والد ست الحسن، وجرَّبته الأختان، ولما أصابهما الفشل لم تسمحا لست الحسن أن تجرِّبه، غير أن رجال الأمير طلبوا أن تلبسه، فلاءم قدمَها، وفرحوا، فقالت لهم: إن عندي الفردة الأخرى من القبقاب.

وانفق ابن السلطان على اليوم الذي تُزفُّ فيه ست الحسن عروسًا له، مالاً كثيرًا... وفي ذات اليوم اخفت الزوجة ست الحسن في التنور وغطّته عليها، وزيّنت ابنتها العوراء وعطَّرتها وألبستها القبقاب وهيأتها للزفاف.

وعند المساء، جاء أهل الأمير يزفون العروس، وفيما هم يتهيأون للخروج بالعروس المزيفة، صاح الديك: "عيعي، عيعو ! ست الحسن بالتنور وأم عين عورة برّه" ! وصاح مرة أخرى وثالثة فانتبه الناس واخرجوا ستَّ الحسن من التنور، وألبسوها ثيابها الجميلة وقبقابها الذهب، وذهبت عروسًا لابن السلطان.

الحطَّاب والأفعى *

اعتاد الحطَّاب أن يأخذ معه عُدة الاحتطاب وقليلاً من الطعام، الذي كانت زوجته تضعه في زوّادته، ويذهب إلى الغابة من أجل الاحتطاب، حتى يعود بحزمة أو حزمتين من أغصان الأشجار اليابسة، يحملها الي السوق، فيبيعها ويشتري بثمنها القليل، طعامًا لا يكاد يكفي لإشباع البطون الجائعة، ولم تكن لديه حيلة في ذلك، فمهنة الاحتطاب الشاقة قد ورثها عن أبيه وهذا ورثها عن أبيه وهكذا، ولا سبيل أمامه إلى استبدالها بغيرها، على الرغم من أنه حاول ذلك مراتٍ عدة، إلاّ أنه كان يفشل في كل مرة، فيعود كرةً أخرى إلى مهنة أبيه وأجداده التي أصبحت قَدَرا مقدّراً...

في أحد الأيام خرج الحطَّاب كعادته، وسلك طريقًا أخرى في الغابة، وقرَّر أن يمضي قُدُمًا في عمق الغابة، وانهمك في الاحتطاب حتى وقت الظهيرة، واستطاع أن يرزم حزمة كبيرة من الحطب الجيد، غسل يديه بماء النبع القريب وشرب منه، ثم أسند ظهره إلى شجرة كبيرة، وفتح

---

* هذه الحكاية رواها لي شفاهًا الشاعر ولاء الصواف، وهو كان سمعها من أبيه الحاج حسين علي إبراهيم الصواف.

زوّادته مستخرِجاَ كسرةً من الخبز وقليلاَ من التمر، وشرع يأكل، وبعد أن انتهى من طعامه شكر الله على نعمة العافية، وأُفعِم قلبُه بالنشوة والجذل وهو يسمع أصوات أعداد كبيرة من البلابل وهي تشدو وتغرد فوق شجرة السنديان العملاقة التي يستريح تحتها، وبعد أن طابت نفسه، استخرج من زوّدته مزمارًا وأخذ يعزف متصاديًا ومتناغمًا مع زقزقات الطيور..

لم يمضِ إلا وقتٌ قليلٌ، حتى أبصر أفعى كبيرة تخرج من تحت إحدى الصخور، وأخذت ترقص أمامه متمايلةً على أنغام مزماره، ولمَّا كفَّ عن العزف أسرعت إلى جحرها لتخرج منه ثانيةً وبفمها ليرة ذهبية، تقوم بإلقائها أمامه، ثم تمضي لحال سبيلها..

أمسك الصياد بالليرة الذهبية وتصفحها جيدًا فوجد أنها حقيقية، وفهم أن الأفعى أرادت أن تكافئه، أو ربما هي مشيئة القدر التي أرادت أن تكافئه على صبره وطول أناته وتحمله المشاق من أجل عائلته.

وعلى أية حال، أمسك الحطَّاب بالليرة الذهبية ووضعها في جيبه، وهو لا يكاد يصدِّق ما حدث له... عاد مسرعًا إلى السوق وباع حزمة الحطب، ثم أخرج الليرة الذهبية واستبدل بها نقودًا كثيرة، اشترى حاجياتٍ ومؤنًا مختلفة، ثم استأجر حمَّالاً مع عربته ليوصلها إلى بيته. فرِحتْ الزوجةُ كثيرًا حين رأت كل هذه الأغراض والحاجيات والأفرشة تدخل إلى بيتها ذي العوز الشديد، فقد كانت تعتقد أن مجرد التفكير

بمثل هذه الأمور هو وهمٌ من الأوهام أو على الأقل ضربٌ من الخيال.. فركت الزوجة عينيها لتتأكد من أنها لم تكن تتخيل أو تحلُم، وأن ما تراه الآن هو حقيقة ومن صميم الواقع، فطار قلبها من الفرحة، وسألت زوجها كيف تسنى له أن يحصل على كل هذه الأمور فأجابها باقتضاب شديد: إنها ضربة حظ، وهو قد آل على نفسه أن لا يُخبر أحدًا مهما كلف الأمر، بما حصل له مع الأفعى.

واظب الحطَّاب على الذهاب يوميًا إلى ذات المكان من الغابة، يستخرج مزماره بعد أن يكمل عمله في الاحتطاب، ويأخذ في العزف، فتخرج له الحية وترقص على أنغام مزماره ثم تلقي إليه بالليرة الذهبية.

وفي أحد الأيام، مرض الحطَّاب مرضًا شديدًا، واضطره المرض أن يبقى قعيد الفراش لمدة طويلة، نفدت خلالها كل مدخرات العائلة أو أوشكت على النفاد، ولما أحسَّ أن عائلته باتت على وشك الإفلاس، انتحى بابنه الوحيد، وكان شابًّا قويًّا، انتحى به جانبًا وأخبره بحكايته مع الأفعى، وطلب إليه أن يذهب إلى المكان الذي تتواجد فيه السنديانة العملاقة في عمق الغابة، وأعطاه أوصافها، وأوصاه أن يقوم بالاحتطاب كالعادة قبل ذلك، لأن الحية سوف لن تخرج له أبدًا إذا لم يكد ويكدح، ثم إن عليه أن يجلس إلى جذع الشجرة ويستخرج المزمار ويعزف مثلما كان يفعل هو..

فعل الابن كل ما أمره به أبوه، وذهب إلى المكان ذاته، الذي لم يستطع أن يستدل عليه إلا بعد مشقة وجهد جهيد... خرجت الحية كعادتها من جحرها بمجرد أن طرق سمعها صوت المزمار، وأخذت ترقص وتتمايل ثم ألقت بالليرة الذهبية، وفي هذه اللحظة انقضَّ ابن الحطَّاب عليها وأهوى بفأسه على رأسها إلاّ أنها استطاعت الزوغان فأخطأ هدفه وأصاب جزءًا من جسدها فقطعه، إلا أنها وبأسرع من لمح البصر أنشبت نابيها بقدمه، لتنسلَّ هاربة إلى جحرها بعد ذلك.

مرَّ يومٌ، ويومان، ثلاثة، ولم يعد ابن الحطَّاب من رحلته، فكَّر الأب المريض الذي لا يقوى على شيء، وانتابته الوساوس والهواجس، وأصابه الجزِع، وأخذ يلوم نفسه؛ كيف تراه يسمح لابنه اليافع في الدخول إلى عمق الغابة مع ما يتضمنه ذلك من أخطار محدِقة، فربما يكون قد التهمه ذئبٌ أو نمر أو ضاع في متاهات الغابة ولم يعد باستطاعته أن يعود ثانية...

وفي اليوم الرابع بعد غياب الابن، طرأ تحسُن على صحة الأب، فتحامل على نفسه وذهب إلى عمق الغابة حيث السنديانة العملاقة، فوجد جثة ابنه، فاحتضنها وبكى بكاءً مُرًّا، ثم أنه أخذ يتفحصها ليتعرَّف ماذا أصابه، فأبصر ثقبين غائرين بأعلى قدمه أدرك للحال أن أفعى ضخمة لدغته، ثم فحص المكان بعينيه فإذا به يبصر ذنبًا طويلاً لأفعى مرميًا بالقرب من المكان، وساوره إحساسٌ بأن أمرًا ما قد حدث.

حمل الحطَّاب جثة ابنه، وعاد بها إلى البيت، ليقوم بدفنها بعد ذلك، ومرَّت أيام أخرى، خرج بعدها وقد تماثل للشفاء تمامًا، إلى المكان ذاته في عمق الغابة، وبعد أن أكمل الاحتطاب، استخرج مزماره، وأخذ يعزف، وبقي يعزف لساعات طوال من دون أن تخرج له الحية، ثم أمعن في عزف شجي يخرج من أعماق قلبه وروحه، فإذا بالحية تخرج، فأبصرها الحطَّاب، وهاله ما رأى، فقد رأى نصف جسمها مقطوعًا.

فهم الحطَّاب على الفور القصة من ألفها إلى يائها، فقد انتاب ابنه هاجس الطمع والحصول على المال الوفير بأسرع طريقة، ومن أجل ذلك فأنه قرَّر أن يقتل الأفعى، ليستحوذ على الكنز الذي قدَّر أنه لا بد وأن يكون موجودًا في جُحرها... لم ترقص الأفعى هذه المرة وإنما وقفت أمامه، وقالت له بحزم: امضِ لحال سبيلك أيها الحطَّاب، فلم تعد بيني وبينك بعد الآن صداقة، فلا أنت بمقدورك أن تنسى ابنك، ولا أنا بمقدوري أن أنسى ذيلي !!.

أرذل الصفات

كان ياما كان في قديم الزمان، أن أحد الملوك أراد أن يكتشف مدى نزاهة وإخلاص وزيره الأكبر، فأرسل في طلبه وأجلسه قريبًا منه، ثم سأله: أريد أن أعرف منك، ما هي أرذل صفةٍ في الإنسان ؟

فأجابه الوزير على الفور، إلا أن الملك لم يقتنع بجوابه، فطلب الوزير من الملك أن يمهله لبعض الوقت، فأُجيب إلى طلبه، ونزل الوزير إلى دواوين وزارته يسأل كبار موظفيه وصغارَهم، وكان كلما ظفر بجواب عاد به إلى الملك، الذي سرعان ما يردّه خائبًا، فقرَّر الوزير أن يلبس ثوب الدراويش ويخرج إلى الريف بحثًا عن جواب لسؤال الملك المحيّر، وراح يسال الناس هناك، فيُجيبونه بنفس الأجوبة التي كان سمعها من قبل، حتى يئس وقرَّر العودة إلى المدينة وقد أظلمّت الدنيا أمام عينيه، ثم تراءى له أنه يرى راعيًا يدخن نركيلته وهو جالس أمام خيمته، فسأله الوزير عن أرذل صفةٍ في الإنسان، وطلب أن يعطيه جوابًا غير الأجوبة التي حصل عليها من الآخرين. فأجابه الراعي على الفور؛ إن أرذل صفةٍ في الإنسان هي الطمع !... وأثناء ذلك كان الراعي ينفخ في نركيلته والوزير يتكلم، فطفرت من النركيلة ليرةٌ من الذهب، وهكذا

لثلاث مرات، فاندهش الوزير، وقال للراعي؛ أراك لا تهتم بالليرات التي تسقط على الأرض، ولم يقل له الراعي أنه جمعها من تعبه وكدّه، بل قال: إن أبي شيخٌ واسع الثراء وهو يُحبني كثيرًا فأعطاني عددًا كبيرًا من الأكياس المليئة بالليرات، وأنا حائرٌ الآن ماذا أصنع بها !... فقال الوزير على الفور: هلا أعطيتني شيئًا منها. فرد الراعي: حسنًا سأعطيك ما تشاء، ولكن بشرط، ثم صمت الراعي، فقال الوزير: ما هو شرطُك ؟ فقال الراعي: أن تعوي الآن أمامي كالكلب فقام الوزير من مكانه ودار حول نفسه وأخذ يعوي كالكلب تمامًا، فقال له الراعي: حسنًا، أريدك الآن أن تموء كما لو كنت قطة، فراح الوزير يتمسّح بأذيال الراعي ويموء كما لو كان قطة، وهنا قال الراعي: أريد منك هذه المرة أن تنهق كالحمار، فرفع الوزير رأسه إلى الأعلى وصاح كالحمار ثلاث مرات !.. وما فتئ الراعي يطلب والوزير يلبي مقلدًا أصوات أعداد كبيرة من الحيوانات... وعند ذلك، قال الراعي للوزير: اذهب الآن إلى ملكك واخبره بجوابي، واجلب معك الحمير والبغال لتحمّل عليها أكياس الليرات التي سأعطيك إياها !... ذهب الوزير فرحًا جذلاً إلى بلاط الملك وصاح وهو يدخل: لقد وجدتها، لقد وجدتها ! فقال له الملك: وماذا وجدت؟ قال: إن أرذل صفةٍ في الإنسان يا مولاي هي الطمع، فقال الملك: هذا الجواب ليس منك، فمن الذي علّمك إياه ؟

فذهب الوزير إلى الراعي وأتى به إلى بلاط الملك، فسأله الملك: هلاّ قصصت عليَّ قصتك مع وزيري ؟

فقصَّ الراعي ما حصل له مع الوزير، وكيف أن هذا الأخير سأله، فأجابه بأن الطمع هو أرذل صفةٍ في الإنسان، وأن هذه الرذيلة جعلت الوزير يقلد أصوات الحيوانات بل ويتمرغ عند قدميه، على الرغم من أنه وزير.

فعزل الملك الوزير على الفور، وعيّن الراعي في محله، لحكمته ورجاحة عقله.

قبيح ومليح

كان ياما كان في قديم الزمان كان شاب شهم لكنه فقير اسمه مليح، حاول أن يجد في مدينته عملاً شريفًا، أي عمل، يعتاش منه ويرعى أمه فلم يجد، فطلب إلى أمه أن تعد له متاعًا للرحيل عسى أن يجد في مكان آخر رزقه الذي يقيه العوز ويتمكن من خلاله من إعالة أمه المسكينة، حاولت الأم أن تثني ابنها الوحيد عما اعتزم عليه فلم تُفلح، ومن دموع عينيها عجنت له بعض العجين وخبزت له بعض الخبز ولفّته في صرة من قماش وودعته فانصرف.

وبينما هو سائرٌ في الصحراء إذ صادفه رجل، سلّم مليح عليه، فرد الرجل السلام وسأله عن وجهته، فقال: لقد ضقتُ ذرعًا بالفقر في بلدي فخرجت أبحث عن الرزق في غيرها، وأنت ؟.. قال: أنا مثلك، فإن شئتَ سرنا معًا.. قال مليح: نعم.

فمشيا يتحدثان، فسأل كل منهما صاحبه عن اسمه، فعرّف مليح صاحبه باسمه، ثم عرف أن اسم صاحبه هو : قبيح.

وجاء وقت الغداء، فقعدا وفتح كل منهما صرّته يريدان الأكل، فقال قبيح لمليح: يا مليح، لماذا يأكل كل منا من طعامه؟، لماذا لا نأكل معًا

من طعام أحدنا، فإذا نفد طعامه أكل من طعام صاحبه؟... قال مليح : لا بأس في ذلك... قال قبيح: فلنبدأ بطعامك.. قال مليح: حُبًا وكرامة. وأكل قبيح من طعام مليح.

وبعد يومين انتهى طعام مليح، فلما جاء وقت الظهر وأراد أن يأكل من طعام صاحبه منعه هذا متذرعًا بأنه يخشى أن ينفذ طعامه قبل أن يصل إلى مكان فيه طعام، ولم تنفع مليح توسلاته، وطرده قبيح شر طردة، فقام من فوره متألمًا وسار وسار حتى حل وقت العصر، فرأى ساقية عبرها وكان الجوع والتعب قد أخذا منه مأخذًا.

وفيما الشمس توشك على المغيب، أحسَّ أن لا مكان في هذه البقعة يمكن أن يحتمي فيه من عوادي الليل، ونظر إلى يمينه فرأى بناءً متهدمًا مهجورًا وشاهد بالقرب منه تنورًا، فاتجه إليه وفتش فيه فلم يجد فيه حيوانًا أو دابة، فنزل فيه وأغلق فوهته، فلما جاء الليل واشتد الظلام، سمع مليح أصوات أرجلٍ لحيوانات كبيرة تقترب من التنور، فخاف واشتد خوفه حين ميَّز صوت الأسد وهو يقول : أشمُّ رائحة بني آدم، ولكن الذئب قال: وكيف يصل بنو آدم إلى هنا؟.. وأردف الثعلب وكان ثالثهما: هذا مستحيل. فسكت الأسد وظن أن حاسة الشم لديه قد خانته هذه المرة.

وجلست الحيوانات المفترسة الثلاث بالقرب من التنور، وأرادوا أن يقطعوا شطرًا من الليل بالحديث، فاقترح أحدهم : ليروِ كل واحد منا ما

سمعه هذا اليوم. قال الأسد: سمعتُ أن في المدينة المجاورة ملكًا له بنت مجنونة، لم يتمكن من علاجها أيٌّ طبيب وإن الملك يقول لكل طبيب يتقدم لعلاجها، سوف أزوجك إياها وتكون ولي عهدي إن أنت شفيتها، فإن لم تستطع فإني أقتلك !.. حتى تكدست الرؤوس أمام باب قصر الملك وعمل منها أعوانه تلاً.

فقال الذئب: أتدرون أن شفاء هذه الفتاة يكون إذا أمسك إنسان بقط لونه كذا موجود في كذا مكان فيذبحه ويُخرج مخه فيدهن به جسد الأميرة فتشفى.

قال الثعلب : وسمعت أنه يوجد في مكان كذا فأر بحوزته مائة ليرة من الذهب الخالص يقوم بإخراجها كل يوم مع شروق الشمس فيلعب بها وهي تلمع تحت وهج الشمس، ثم أنه يقوم بإعادتها إلى جُحره.

وما أن أنهت الحيوانات حكاياتها حتى نامت وكان مليح يسمعها، فلما أصبح الصباح انطلقت الحيوانات الثلاثة تبحث عن رزقها بين الأدغال، وانطلق مليح يتحقق مما روته الحيوانات، فرأى القط في المكان الموصوف فاصطاده وانطلق به إلى مكان الفأر، فإذا به كما وصفه الثعلب، فأطلق عليه القط الذي سرعان ما التهمه وجمع هو ليرات الذهب.

وذهب مع قطه إلى المدينة حيث الأميرة المجنونة، وهناك رأى على باب قصر الملك تل الرؤوس وسأل عن أصحابها، فقيل له إنهم أطباء

لم يتمكنوا من علاج ابنة الملك فقطع الملك رؤوسهم. فتبين مليح نواحي من صدق كلام الحيوانات وبقي أن يتبين صدق معالجة مخ القط للأميرة فبنجاحه يعيش ويثرى وبفشله يضاف رأسه إلى الرؤوس والجماجم المقطوعة، وقرَّر المغامرة فذهب إلى السوق وأكل وشرب ثم اشترى ثيابًا تليق بالأطباء وحقيبة كحقائبهم وعُلبًا كعُلبهم، ثم ذبح القط وأخرج مخه فوضعه في إحدى العلب ومشى في المدينة وهو ينادي : "طبيب... طبيب، يشفي من الجنون"... فأشفق عليه الناس وتهامسوا وأشاروا إليه أن يسكت، فلم يسكت وطلب أن يرشدوه إلى قصر الملك، بعد أن عرف منهم قصة ابنته المجنونة، فحزنوا على شبابه ودلوه على القصر، فحاول الوزير أن يُثنيه عن عزمه فلم ينفع ذلك معه، ودخل على الملك بوصفه الطبيب الجديد الذي سيعالج ابنته من مرضها، فسأله الملك عما إذا كان قد عرف شرطه، فإنه إن عالج الأميرة تزوجها وصار وليًا لعهده وإلا أضيف رأسه إلى تل الرؤوس التي عند باب القصر... قال مليح : قد عرفت ووافقت.

فدعا الملك بالأميرة المقيدة فجاؤوا بها ومعها وصيفتها، فقام مليح إليها وكأنه يفحصها بصورة متأنية، وبعد فحصها، قال: إن دواءها عندي بإذن الله، وأن على وصيفتها أن تدخلها إلى الحمام حتى إذا ما عرقت دهنت جسمها بهذا الدهان. وأعطى الوصيفة العلبة التي فيها مخ القط. وفعلت الوصيفة ما أمرها به.

وبعد مرور وقت قصير، بدأ الهدوء يدب في جسد الأميرة وأخذ عقلها يعود إليها وللحال سألت عن سبب تقييدهم إياها، فأمر الملك أن تفك قيودها وملأ قلبه الفرح الغامر، وقرَّر أن يزوجها من الطبيب العظيم الذي عالجها فشفاها. وأسند إليه ولاية العهد وأمر الملك ببناء قصر لهما بجوار قصره.

وبينما كان مليح يشرف على بناء القصر رأى رجلاً مهدودًا يعمل في نقل الصخور فناداه بعد أن عرفه، وسأله هل يعرفه ؟ فأنكر معرفته به قائلاً: كيف يتسنى لرجل معدم فقير أن يعرف أميرًا خطيرًا مثله، فذكره مليح بما كان بينهما من لقاء وفراق فاعتذر قبيح عما كان بدر منه، وأكرمه.

ثم أن مليح استدعى أمه إليه، ليعيشوا جميعًا في سعادة وهناء.

بنت الملك

يُحكى أنه كان في قديم الزمان ملك يعيش في قصره هو وزوجته وبناته السبع، وكان قصر الملك هذا كبيرًا وبه سبعة طوابق جعل في كل طابق إحدى بناته، وكان لهذا الملك خدم وحشمٌ كثيرين.. كانت صغرى بنات الملك تسكن في الطابق السابع، وكان أبوها يحبها جدًا ويفضلها على باقي بناته لجمالها وعقلها وحسن تدبيرها، ومن أجل هذا فقد خصص لها أبوها الملك عددًا كبيرًا من الخدم والخادمات يتناوبون على خدمتها وهم رهن إشارتها.

وفي أحد الأيام، وبينما هذه البنت نائمة رأت في حلمها شرشفًا كبيرًا وجميلاً مطرزًا بالحرير الملون وعليه زخارف من خيوط الذهب والفضة، فأعجبها ذلك الشرشف كثيرًا، وبعد أن استيقظت من نومها وأدركت إن ما رأته كان حلمًا، نادت الخادمة قائلة لها؛ إنها رأت في الحلم شرشفًا جميلاً جدًا ووصفته لها وأمرتها أن تذهب إلى السوق لتشتري لها مثله.

ذهبت الخادمة إلى السوق الذي تباع فيه الأقمشة الغالية الثمن، وبحثت عن الشرشف وهناك رأت أحد التجار وهو يمسك بشرشف

يشبهه تمامًا وهو يصيح بأعلى صوته: هل من أحد يشتري هذا الشرشف البديع ؟ ثم يضحك ويقول: لا اعتقد إن أحدًا قادرٌ على شراء هذا الشرشف، لأنه لا أحد قادر على دفع ثمنه.

وما أن رأت الخادمة الشرشف وتفحصته جيدًا، حتى فرحت وقالت له: أنا قادرة على أن أشتري منك هذا الشرشف أيها التاجر المكابر، فأجابها قائلاً: وهل أنت قادرة على دفع ثمنه ؟ فقالت: أجل... وبعد أن ساومته قليلاً أخرجت له النقود واشترت منه الشرشف. وحملته معها وجلبته لسيدتها الأميرة الصغيرة، التي فرحت به كثيرًا، لاسيما وإنها رأته مطابقًا تمامًا للشرشف الذي رأته في منامها. وكان أول عمل قامت به هو أنها فرشته في غرفتها، فأخذت الغرفة تشع من كل أركانها.

وبينما هي نائمة في الليل أحست بالشرشف وكأنه يتحرك، فخافت، ولكنها قالت مع نفسها؛ (لماذا تُراني أخاف، لربما كنت أحلم، ونامت) وبعد أن نامت انقلب الشرشف إلى مارد طويل أسود عيناه تلتمعان كما لو إنهما خرزتان حمراوان، انتبهت البنت الصغيرة من نومها، وبعد أن رأته أصيبت بالفزع والخوف فصاحت ونادت على حرّاسها وأبيها بكل قوتها ولكن لا أحد بوسعه أن يسمعها، وعند ذاك قال لها المارد: لا تخافي فانا لا أريد إيذاءك.. ثم أنه أقفل الباب عليها ونزل إلى أسفل وكلما نزل طابقًا فإنه يقبض الأرواح التي فيه، فاخذ أرواح البنات الست وأمهن وأبيهن والخدم والحرّاس جميعهم، ووضع أرواحهم في قنينة

صغيرة كانت معه، ونزل أسفل الدرج ودفنها هناك، وغطاها بالتراب... أما البنت الصغرى، فأخذت تصرخ أكثر من ذي قبل، إلا أنها لم تجد جوابًا، وعند ذاك صعد المارد إليها، وقال لها بأنه أخذ أرواح جميع من في القصر، وأنها بقيت وحيدة، وفتح الباب ونزل إلى أسفل القصر، ولما شاهدت الأميرة إن الباب قد انفتح، خرجت من غرفتها وصعدت إلى سطح القصر وأخذت تنظر إلى الأسفل، فرأت المارد وهو يحفر حفرة كبيرة أشعل فيها النار وأتى بقدر كبير وضع فيه الماء، ثم أخذ الماء يغلي، فاعتراها الخوف الشديد لأنها اعتقدت أن المارد يستعد لذبحها واكلها، ثم رأت الفتاة المارد وهو يصيح: الله، ما أطيب لحم البشر، وأشار إليها قائلاً: إلى أين تهربين مني أيتها الحسناء المدللة ؟.. فأخذت البنت تتضرع إلى ربها أن يتكفل أمرها ويحميها من هذا المارد، قائلة؛ أنا وحدي هنا يا ربي ولا أحد يحميني، فخلصني من هذه المشكلة، وظلت تدعو ربَّها وهي تقول: يا قريب الفرج، يا عالي بلا درج، عبدك بشدة يطلب منك الفرج... وظلت تدعو ربها، إلى أن سمعت مناديًا يقول لها: لقد استُجيب دعاؤك، اذهبي إلى أسفل الدرج.

قالت البنت مع نفسها، ترى، ماذا يوجد أسفل الدرج.. ثم أنها نزلت ورأت حفرة محفورة للتو، وقالت: هذه الحفرة لم تكن موجودة، فأزاحت التراب عنها فظهرت لها قنينة صغيرة لم تشاهد مثلها من قبل،

فجاءت بمطرقة صغيرة وكسرتها، فرأت الأرواح وهي تتطاير منها لتعود إلى أجسادها الهامدة فأخذت تتمطى وتتحرك، ففرحت البنت كثيرًا.

وبعد أن استيقظ أبوها الملك قال لها: يا بنيتي أين كنّا ؟ وما هي القصة ؟ فحكت عليه القصة من ألفها إلى يائها، فقال لها الملك: وأين المارد الآن ؟ فقالت له: إنه يقوم بغلي الماء في أسفل القصر وهو يريد أن يضعني فيه، ويأكلني بعد ذلك.

فأمر الملك الخدم وحراس القصر بأن يعملوا دائرة حول المارد ويضيقون الخناق عليه ثم يرمونه بالقدر الذي هيَّأه، ففعل الخدم وحرّاس القصر ما أمرهم به الملك وأحاطوا بالمارد ورموه بالقدر حتى رأوه يذوب ويتلاشى.

اللصوص الثلاثة *

كثُرت في أيام أحد الملوك السرقات، وبلغ الأمر باللصوص أنهم سرقوا دار كبير الوزراء، فخشي الملك أن تُسرق خزائنُهُ، فقرر أن يتدبَّر الأمر بنفسه، بعد أن عجز الوزراء عن حماية أنفسهم، فتنكر وجاب المدينة ووصل إلى خارجها فرأى ضوءًا خافتًا منبعثًا من سرداب في إحدى الخرائب، اقترب منه فوجد ثلاثة أشخاص يتكلمون بصوت خافت، وأرهف سمعه فعلم أنهم لصوص، وأنهم اتفقوا الليلة أن يسرقوا قصر الملك، وسمع أحدهم يقول: لدينا كل الإمكانيات فلنسرق بيت الملك، فردَّ أحدهم: ولكننا لا نعلم أين يخفي الملك كنوزه.

فنزل الملك عندئذ بملابسه الممزقة وبيده المعول فسألوه: من أنت؟ قال: أنا لص مثلكم ولدي شيء يفيدكم، ولكن اخبروني بأسراركم أولاً وسأخبركم بسري.

فقال الأول: يمكنني أن أقرأ على الحائط فأشقّه ونستطيع أن ندخل من هذا الشق.

---

* حكاية عراقية من العهد العثماني.

وقال الثاني؛ أما أنا فأقرأ على الحرس فأُنيمهم..

وقال الثالث؛ أما أنا فبمقدوري أن أقرأ على الأقفال فتفتح.

وسألوه؛ وأنت ماذا يُمكنك أن تفعل لتكون ندًا لنا ؟.. فقال الملك: أنا أستطيع أن أُدِلكم على خزائن الملك الخفية.
فرحبوا به وضمُّوه إليهم.

وجاءوا ليلاً إلى قصر الملك فأناموا الحُرَّاس وفتحوا الجدران وكسروا الأقفال، ودلّهم الملك على الخزائن التي أخفاها بنفسه، وفتحوا أكياسهم وراحوا يُعبئونها بقلائد الذهب والأحجار النفيسة، وفجأةً صاح أحد اللصوص: اتركوا كل شيء، وسوف نغادر، واندهش الملك إذ رأى اللصوص يتركون كل شيء ويتهيأون للخروج، فتوسل إليهم ألا يتركوا الكنوز، فتضيع منهم فرصة عظيمة، ثم سألهم عن سبب اتخاذهم قرارهم بالمغادرة من دون الكنز... فقال له أحدهم: إنك لا تعرف عاداتنا، ولذا لا تتدخل في شؤوننا، إن أحد أخواننا تذوّق في الظلام قليلاً من الملح كان موضوعا في إناء، فإذا ذاق أحدنا طعام إمرئٍ فإننا لن نوقع به الأذى... وخرجوا دون أن يأخذوا شيئًا.

وذهب الملك إليهم في اليوم التالي بحلّته الملكية ولكن كان بمفرده، وأخبرهم بمحاولة الأمس، وصارحهم بأنه ملك وأنه بحاجة إلى حُرَّاس مخلصين وأوفياء، وأنه يجدهم أفضل من سواهم فقد جرَّبهم. ووافقوا وقسموا الليل بينهم ثلاث مراحل.

وفي إحدى الليالي التي كان يحرس فيها الأخ الأصغر، شاهد الفتى أفعى كبيرة تقترب من رأس الملك فجرد حسامه وقتلها، وفي هذه اللحظة فتح الملك عينيه ورأى الحارس يضع السيف في غمده، فظن أنه ينوي به شرًّا.

ولما جاء دور الآخر، سأله الملك: ما هو أعز شيء لديك في الدنيا؟ فأجاب: نفسي!.. فقال له الملك: إذن، آمرك أن تقتل أخاك الأصغر!. فقال له: لن أقتله، فلو قتلت أخي، فإنك ستندم كما ندم ملكٌ على طائره... فسأله الملك عن حكاية الطائر، فقال له الحارس: إن هذا الملك ترك أمور الناس وإدارة شؤونهم ولم يكن له أنيس سوى ببغاء ناطق، فكان يجلس إليه في شرفة قصره يكلمه عن كل شيء، ومرَّ ذات يوم سربٌ من الببغاوات على قصر الملك وأبصرت ذلك الطائر، وتوقفن وكلّمنه كلامًا لم يعرفه الملك، فاستفسر من طائره، فقال الطائر: إن لديهم عطلة أمدها ثلاثة أشهر للراحة وطلبوا مني أن أرافقهم فهل توافق أيها الملك ؟ فلما رأى الببغاء حيرة الملك، عاهده عهودًا مغلَّظة على العودة فاقتنع الملك، وطار معهن، وقضت الطيور أطيب الأوقات في أجمل بقاع الأرض، ولما أوشكت المدة على الانتهاء، عقد الطيور مؤتمرًا وتشاورن في أمر إهداء الملك هدية مناسبة، واستقر الرأيُ أن يهدين إليه ثلاث بذرات من بذور التفاح إذا زرعها الملك وأثمرت الأشجار وتناول منها تفاحةً فان الملك الشيخ سيعود شابًا فتناول طير

الملك البذرات الثلاثة، واحدة في كل رجل والثالثة في منقاره، ورحلت الطيور وحط الببغاء أمام الملك الجالس في الشرفة المطلة على البستان، ففرح به، وقدم هذا هدية الطيور، وأعلمه بسر البذور، فأمر الملك فلاح القصر أن يزرعها، فلما كبرت الأشجار وحملت ثمرًا، أمر الملك أن يؤتى له بتفاحة منها، فأتى له الفلاح الشيخ بتفاحة كانت قد سقطت على الأرض، وقدمها له، ولما علم أولاد الملك بما يعتزم أبوهم القيام به، اقترحوا عليه بإيعاز من الفلاح أن يقدم التفاحة إلى الغزالة ليرى مدى صحة قول الببغاء، فلعله يريد قتله كي يتحرر منه، ولما أكلت الغزالة التفاحة ماتت في الحال، فقتل الملك طيرَه وتألم لخيانته، ومرَّت الأيام، وفيما كان الملك جالسًا في شرفته مغمومًا فرأى الأشجار تهتز بعنف لم يألفه، وتعجب للأمر فأرسل الحارس لكي يستطلع السر، فاخبره هذا بأن في البستان شابًا يتسلق الأشجار بكل سهولة ويسرق الثمار، وأمر الملك بجلبه فجيء بالشاب، وسأله الملك: من أنت؟ فقال الشاب: أنا البستاني الشيخ، وقد أكلت تفاحة من إحدى شجيراتك فصرتُ شابًا كما ترى، فسأله الملك عن التفاحة التي قدمها له ذات يوم، فقال البستاني؛ لقد طلبت مني تفاحة من الشجرة، فأتيتك بتفاحة وقعت على الأرض، لأني لم أكن أقوى على تسلق الشجرة، فعرف الملك أن التفاحة الساقطة المقدمة إليه لابد أنها كانت مسمومة وندم على قتله طيره ندما شديدًا وتبين له أنه كان صادقًا في قوله.

ولما طلع الصباح وتداول الأخوة الثلاثة في الأمر ضحك الصغير وأخبرهم عن الأفعى التي أرادت أن تلدغ الملك فقتلها، وأنه أبقى أشلاءها تحت سرير الملك، فذهبوا إلى الملك وأخبروه الحقيقة وأُخرجت أشلاء الأفعى من تحت سريره.

ولما وقف الملك على مدى إخلاصهم ونصحهم اتخذهم مستشارين له.

الميزان والذهب

خرجت المرأة العجوز الطيبة فجرًا وقصدت سوق الغزل لتبيع ما غزلته من صوف على شكل خيوط، كانت عيناها ضعيفتين ولم تنتبه إلى أن الوقت مبكر نوعًا ما بالنسبة للصباح، ثم خُيِّل لها أنها ترى مخلوقًا ما يسير على قدمين، كان غريبًا في شكله أو هكذا بدا لها، ولما اقترب منها تبين أنه يشبه الإنسان، ولكنه في رداء عجيب، ثم فوجئت به يتوقف أمامها ويسألها بصوت واضح: إلى أين أنتِ ذاهبة؟ فأجابته: لأبيع الغزل. ثم سألها: لماذا أنتِ مبكرة جدًا؟ فأجابته: لم أنتبه إلى ذلك بسبب ضعف بصري. وسألها سؤالاً لم تتوقعه أبدًا: ما رأيك بما أرتديه من ملابس؟ وكان في لهجة صوته ما يوحي بأنه لا يودُّ سماع رأيٍ لا يعجبه، لذا رأفت العجوز الطيبة بحاله فقالت له: إنك ترتدي ملابس لائقة بك.

فرح الرجل كثيرًا وقال لها إنك امرأة طيبة القلب وطلب منها أن تتبعه ليقدم لها مكافأة أو هدية تساعدها في شيخوختها وتعينها على ما تبقى لها من عمرها.

سارت المرأة وراءه حتى وصل إلى صخرة منتظمة الشكل في جبل فرفعها ثم هبط درجات سلم طالبًا منها أن تتبعه، ولم يكن أمامها غير ذلك، فهي من ناحية امرأة عجوز ضعيفة لا تستطيع الاعتراض عليه وإغضابه، وهي لا تعرف عن طباعه أي شيء، ومن ناحية ثانية كانت لهجته مطمئنة، تبعته في مغارته لكنها فوجئت بقطط غاضبة جدًا واقفة على طرفي درجات السلم من اليمين واليسار تهم بالانقضاض عليها وتمزيقها بمخالبها وأنيابها، فجفلت ولكن عاد إليها اطمئنانها عندما سمعت الرجل يأمر القطط بحزم أن تكف عن الغضب فالمرأة ضيفته وفي حمايته، فتركتها القطط على مضض، وسارت وراءه حتى وصلت إلى مكان وجدت فيه قدوراً تنبعث منها رائحة طعام شهي، طلب الرجل منها أن تأكل قليلاً من زاده، فهي ولا شك لم تتناول طعام الفطور بعد، ولم ترغب المرأة في الاعتراض فمدَّت يدها إلى أحد القدور ولكنها فوجئت بالملعقة الكبيرة المثقبة التي تستعمل لصب الرز المطبوخ (أي الجفجير)* فوجئت به يرتفع ليضربها على يدها، ولكن الجفجير توقف فجأة لأن الرجل أمره بذلك مكرراً قوله السابق بأن المرأة ضيفته، فأكلت قليلاً وشكرته... ثم طلب منها أن تتبعه لتستلم المكافأة أو الهدية، فتبعته إلى غرفة فيها أكياس كثيرة، طلب منها أن تأخذ منها ما

---

* الجفجير : مفردة مستعملة باللهجة العراقية وهو عبارة عن ملعقة كبيرة تستعمل لنقل الرز من القدر الكبير إلى الأواني الصغيرة .

تشاء، لكن المرأة العجوز لم تأخذ إلا كيسًا واحدًا، أكّد عليها بأنها تستطيع أن تأخذ المزيد، لكنها اعتذرت وقالت بأن الكيس الواحد كافٍ، وعلى الرغم من أنها لم تكن تعرف محتويات الكيس إلا أنها شعرت بأنه يحوي معدنًا ثقيل الوزن، ثم ودعها وأوصلها إلى السلم حتى خرجت من الكهف وابتعدت وهي تكيل له الشكر وتدعو له بالصحة والعافية.

كانت منفعلة جدًا حتى أنها نسيت بيع الغزل، ووجدت نفسها تسير بسرعة نحو بيتها من أجل أن تتعرف على محتويات الكيس الذي كان كاهلها ينوء بحمله. ولما وصلت إلى غرفتها أفرغت محتويات الكيس على البساط العتيق المتهرئ ففوجئت بلون الذهب يشع في جنبات غرفتها الفقيرة، وتأملته جيدًا، فتأكدت أنه ذهب، وقد دفعها عقلها البسيط وفضولها أن تستعير من جارتها ميزانًا من أجل أن تزن فيه الذهب، استغربت الجارة من طلب المرأة العجوز وأضمرت في نفسها أمرًا، ثم أنها وضعت شيئًا من القار في إحدى كفتي الميزان، وتمنت في سرها أن تكون الكفة التي فيها القار هي ما سيوضع فيه المادة المجهولة التي ترغب العجوز في وزنها. ولم تنتبه العجوز الطيبة إلى تلك اللعبة الماكرة وحدث أن الذهب قد احتل الكفة التي فيها القار فالتصق بعضه به، ولما

أعادته العجوز إلى جارتها شاكرة، انتبهت الأخيرة وعيناها تلمعان بالسرور والطمع، فتساءلت بعجب: من أين لهذه المرأة الفقيرة هذا الذهب وبهذه الكمية التي تستدعي وزنها بهذا الميزان الكبير، وقرَّرت أن تباغت المرأة وتضغط عليها وتحاصرها وتقول لها بتهديد: بأنها ستغضب منها إذا لم تخبرها عن المصدر الذي حصلت منه على الذهب.

ارتبكت المرأة العجوز البسيطة وكادت أن تنكر وجود أي ذهب لديها، لكن الجارة الخبيثة فاجأتها بقولها: إنكِ لن تستطيعي أن تنكري شيئًا، فها هو الذهب عالق بكفة الميزان، فاضطرت العجوز أن تخبرها بأن رجلاً غريب الأطوار عطف عليها لأنه وجدها وهي عجوز ضعيفة، قد خرجت مبكرة جدًا لطلب الرزق، فقرر مساعدتها. قالت الجارة : إذن كنت تريدين إخفاء السر عني، ولذا وعقابًا لك على ذلك، فإني سأخرج غدًا في الصباح الباكر، فإذا لم أنل من الرجل شيئًا من الذهب، فإني سآخذ نصف الذهب الذي لديك، فقالت لها العجوز: إن أكياسًا أخرى عديدة بقيت موجودة في مغارة الرجل.

وفي فجر اليوم التالي نهضت الجارة الخبيثة، التي لم تنم الليل من فرط انفعالها وطمعها، وأسرعت إلى سوق الغزل، وكأن بها مسًّا من الجنون، ولم يخب ظنّها، إذ لمحت الرجل ذا الهيئة العجيبة قادمًا يسير

باتجاهها، فخفق قلبها من فرط الانفعال والسرور وتوقع الثراء السريع الفاحش، توقف الرجل وسألها عن الداعي لكونها تسير بمثل هذه السرعة، فقالت له بعد أن نسيت سؤاله ! إن ملابسك جميلة جدًا وفخمة ولائقة بملوك المال والذهب ! وتوقعت أن يرضيه هذا الجواب، إلا أنه قال لها: كيف عرفتِ بأني أريد أن أسمع رأي الناس بملابسي ؟ فاضطرت أن تصارحه بما حدثتها جارتها العجوز البسيطة الفقيرة، وبأنها تطمح أن تنال ما نالت، فأشار لها بأن تتبعه، تبعته بلهفة، حتى أن أنفاسها أخذت تتقطع على الرغم من أن المسافة التي قطعتها ليست طويلة، رفع الرجل الصخرة المنتظمة الشكل كالمعتاد، ثم وجدت المرأة نفسها تتبعه عند هبوط درجات السلم، والقطط الغاضبة جدًا تهجم عليها، لكن المختلف في الأمر أن الرجل لم يمنع القطط من عضها وتمزيق بشرتها، فأخذت تقاوم وتعارك بضراوة لئلا تقتلها القطط حتى سمعت الرجل يطلب منها (أي من قططه) أن تكف عنها وتكتفي بما قامت به، فتركتها القطط ولم تبال المرأة بما أصابها من جروح، ثم سمعت الرجل يأمرها بأن تتبعه إلى غرفة الأكياس، لتستلم المكافأة أو الهدية مثلما قال، فأسرعت وراءه ودخلت الغرفة.

اضطرب قلبها اضطراباً شديدًا وهي ترى هذا العدد الكبير من الأكياس، فهجمت عليها وأخذت منها كل ما تستطيع قواها أن تحمله،

وتساءلت مع نفسها: كيف اقتنعت العجوز بأن تأخذ كيسًا واحدًا فحسب.

سارت بأثقالها وسمعت الرجل يتبعها حتى السلم ويطلب منها بكدر أن تخرج وهو سيعيد إغلاق الفتحة بالصخرة فيما بعد، ولما عادت إلى بيتها وهي في إعياء تام، قرَّرت أن لا تستريح، حتى لو ماتت من التعب، إلا بعد أن تزن كل الذهب بميزانها دون أن تهمل منه شيء.

فتحت عُقَد الأكياس، لتهيئتها لعملية الوزن، وأغلقت باب الدار والغرفة، ثم أمسكت بأحد الأكياس وأفرغت محتوياته في كفة الميزان ورمت الكيس الفارغ بعيدًا، وبعدها امتدت يديها إلى الكيس الثاني لكنها شهقت وانفتحت عيناها على سعتهما من الجزع والفزع، فكفة الميزان التي امتلأت بالمحتويات بل فاضت بها فأخذت تسقط أرضًا لم يكن فيها أيُّ ذهب أو معدن آخر بل أشياء خطرة مرعبة. دفعت الكفة بعيدًا وابتعدت عنها برعب وأرادت أن تهرب من الغرفة لكن قدميها تعثرت بالأكياس الأخرى، فانسكبت محتوياتها أيضًا، فإذا بها حشرات وعقارب وأفاعي قاتلة، وأخذت كل هذه المخلوقات تتحرك باتجاهها نهمة لفريستها التي لم تنفع صرخات استغاثتها.

الحطَّاب والأسد

كان ياما كان في قديم الزمان، كان هناك رجل حطَّاب يخرج في الصباح الباكر إلى البساتين ليجمع بعض الحطب لغرض بيعه... وذات صباح خرج الحطَّاب من البيت وكانت السماء تمطر بغزارة، وعند وصوله إلى المكان الذي اعتاد أن يحتطب منه، شاهد أسدًا نائمًا عند جذع شجرة وقد قيل إن الحيوانات في تلك الأزمنة كانت تتكلم فعرض الأسد على الحطَّاب أن يصادقه قائلاً له: أريد أن أقدم لك المساعدة لأني أراك رجلاً فقيرًا، فوافق الحطَّاب على ذلك، وفي أحد الأيام قاد الأسد الحطَّاب إلى مكان في البستان، وقال له: احفر هنا، فحفر الحطَّاب، وكم كان سروره عظيمًا حين رأى كنزًا أمامه يلصف الذهبُ فيه والجواهر واللآلئ.

في أحد الأيام وبينما كان الأسد في الغابة لوحده أمطرت السماء وسقط الثلج بغزارة وازدادت برودة الجو، ففكر السبع أن يذهب إلى بيت صديقه الحطَّاب الذي كان شيده للتو فخرج له الصياد ورحب به، وأثناء دخوله أحسَّ الأسد إن عددًا من الرجال جالسين في بيت الصياد، فطلب من صديقه أن يخفيه بمكان في البيت حتى لا تقع أعين

ضيوفه عليه فيفزعوا منه، ريثما يتحسّن الجو فيعود إلى الغابة، وأثناء جلوس السبع في مكانه سمع أصدقاءِ الصياد وهم يتحدثون معه، قائلين له: أيها الحطَّاب، نحن نعرفك، إنك رجل فقير، فمن أين أتتك كل هذه الأموال؟... فأجابهم بكل ثقة: لقد حصلتُ على المال بكدي وتعبي، وأنكر مساعدة أحد له... وما أن سمع السبع كلام الصياد حتى غضب غضبًا شديدًا، وبعد أن هدأ الجو عاد إلى الغابة.

وفي الصباح الباكر ذهب الحطَّاب إلى حيث اعتاد أن يرى الأسد بين أدغال الحقل، فشاهده مريضًا، فسأله الحطَّاب؛ ما بك يا صديقي العزيز ؟ فسأل السبع الحطَّاب إن كانت فأسه قويةً كفاية لتقطع أي شيء، فأجابه هذا بـ(نعم) فسأله قائلاً: أرجو منك أن تضربني ضربة قوية بفأسك لعلني أموت بسرعة وأتخلص من الألم، فوافق الحطَّاب وضربه ضربة قوية على رأسه، وقع الأسد على أثرها على الأرض، وذهب الحطَّاب إلى بيته معتقدًا أن السبع قد مات من أثر الضربة.

وبقي الحطَّاب مدة من الزمن في بيته، ثم عاد إلى نفس المكان فشاهد صديقه الأسد حيًّا وأخذ يناديه: يا صديقي لقد أخطأت بحقك فأرجو المعذرة. وهنا طلب السبع من الحطَّاب أن ينظر إلى رأسه، وإلى الجرح الذي فيه إن كان قد شفي أم لا، فنظر الحطَّاب في رأس الأسد قائلاً: نعم، لقد شفي الجرح، فقال له: اعلم أن جرح البدن يشفى وجرح اللسان يبقى فهل لك أن تقول لي لم جحدتَ فضلي عليك بين أصدقائك؟... اذهب فليس ثمة مودة بيني وبينك بعد الآن !

الفأس الذهبية*

خرج الشوَّاك حسن يومًا من كوخه وحمل معه حبلاً وفأسا قديمة من الحديد، وتوجّه إلى البرية ليقطع الأشواك... كان النهار حارًا والطريقُ طويلاً، ولكنَّ حسن ظل يسير ويسير حتى وصل إلى قنطرة على نهر، وقال في نفسه: لِمَ لا آخذ قسطًا من الراحة في ظل هذه الشجرة المطلة على النهر؟

وبينما هو يعبر القنطرة ليصل إلى الشجرة تذكر فطوره، فمدَّ يدَه إلى عِبِّه يريد أن يُخرج صرة فيها قليل من التمر ورغيفُ خبزٍ من شعير، غير أن حزامه تحرّك لمَّا مدَّ يده في عِبّه، وأفلتت فأسُهُ وسقطت في ماء النهر العميقة، فحزن حزنًا شديدًا وأخذ يبكي ويبكي حتى خرج له من النهر رجلٌ وسأله: لماذا تبكي؟... فأجابه الشوّاك والعبرةُ تخنقه: وقعت فأسي في النهر ولن أستطيع أن احتطب، لي زوجة وأطفال وأم وأب ينتظرون أن أبيع باقة الشوك لاشتري لهم طعامًا وخبزًا، فماذا أفعل الآن وقد فقدتُ فأسي ؟

---

* استخرجنا هذه الحكاية من كتاب (الحكاية الشعبية العراقية) للباحث الفولكلوري كاظم سعد الدين، وهو صادرٌ عن وزارة الثقافة والفنون في العام ١٩٧٩.

فابتسم له رجلُ النهر وقال له: لا تحزن يا صاحبي، سوف أجلب لك الفأس !.. وغاص الرجل في ماء النهر، وفي مثل لمح البصر أخرج له فأسًا لمّاعة من الفضة وسأله: أهذه فأسُك؟.. أجابه حسن الشوّاك: كلا يا أخي، هذه ليست فأسي، إن فأسي من حديد.

فغاص الرجل مرة أخرى، وأخرج فأسًا أخرى تشعّ لو كانت شمسًا، ذلك إنها كانت مصنوعة من الذهب الخالص، وسأله: هل هذه فأسُك؟! فقال الشوّاك: لا، ليست هذه فأسي، إن فأسي من حديد.

وغاب الرجل ثالثة في الماء وأخرج فأسًا من حديد وقال له: هل هذه فأسك؟... نعم، هذه فأسي، فأسي التي وقعت مني.

وفرح بها فرحًا عظيمًا، وتناولها منه وشكره على صنيعه، وسلّم عليه مستأذنًا بالذهاب.. ولكن رجل النهر قال له: إنك رجلٌ صادق وشريف، خذ الفأسين الفضة والذهب وبعهما وتصرّف بالثمن.

ولما عاد حسن الشوّاك إلى أهله بعد أن باع شوكه والفأسين، قص عليهم قصة رجل الماء وما جرى له معه.

وسمع جارٌ له اعتاد على حياة البطالة والجلوس في البيت أو المقهى، فكانت زوجتُه وأطفاله يذهبون ليكسبوا له العيش، فقرر الجار أن يذهب إلى رجل النهر، فسأل الجارَ الشوّاك: أين مكان الرجل ؟.. فقال له: عند القنطرة البيضاء، قرب شجرة التوت.

فذهب الجارُ وألقى فاسَه في النهر وراح يبكي بكاءً عاليًا، فخرج إليه رجلُ النهر وسأله:

- ماذا جرى لك أيها الرجل ؟

- سقطت فأسي هنا، ماذا سأفعل ؟

- لا تبكِ يا رجل، سوف آتيك بها في الحال.

وغطس في الماء واخرج له بعد لحظة فأسًا من الذهب، وسأله: هل هذه فأسك ؟.. فاختطفها الجارُ منه وقال: نعم إنها فأسي !.

ورجع يركض فرِحًا، وصل إلى أهله وقال لهم: لقد خدعت رجل الماء وأخذت منه الفأس الذهبية... ومدَّ يدَه إلى عبّه وأخرجها قائلاً: ها هي ! فضحكوا منه إذ رأوا فأسًا صدئةً من حديد وليس من الذهب، وقالوا له: هذا جزاء الكاذب الطمَّاع، هذا جزاءُ من لا يعمل.

المحاريث المسروقة

كان هناك في قديم الزمان تاجران صديقان، أحدهما من أبناء القرية والآخر من المدينة... أودع القروي لدى ابن المدينة خمسمائة محراث حديد، فباعها هذا واحتفظ بأثمانها، ووضع في مكانها فضلات جرذان.

ثم جاء صاحبها القروي، وطلب من صديقه استرجاع المحاريث.. فقال هذا له: لقد أكلتها الجرذان !!... قال ذلك، وأشار إلى مكانها حيث تكومت فضلات الجرذان... فقال صاحب المحاريث: حسناً، لقد حصل الأمر، فماذا نستطيع أن نفعل بأشياء أكلتها الجرذان ؟!

وفي وقت الاستحمام، أخذ القروي، كعادته، ابن صديقه التاجر، وأودعه في بيت صديق آخر، وطلب منه أن يضعه في إحدى الحجرات الداخلية وأن لا يسمح له بالخروج إلى أي مكان.. وبعد أن استحم هو نفسه عاد إلى بيت صديقه التاجر، الذي سارع إلى السؤال: وأين ابني؟! فردَّ عليه: يا صديقي العزيز، لقد أخذتُ ابنك وتركته على ضفة النهر، وعندما نزلتُ للسباحة جاء بازٌ واختطفه بمخالبه وطار في الجو، فضربتُ الماء وصرختُ، ولكني لم أستطع أن أجعله يترك الولد.

فقال الأب: إنك تكذب! فإن البُزاة لا تستطيع أن تخطف الصبيان!.
فقال الأول؛ لكنّ الأمر كذلك يا صديقي، وإذا حصلت أمورٌ لا يمكن أن تحصل فما حيلتي، لقد خطف البازُ ابنك كما قلتُ لك، ولك أن تصدق أو لا تصدق.

وأخذ الأب يسبّه قائلاً: أيها الوغد ! يا قاتل ! سأذهب إلى القاضي وأجبرك على الحضور أمامه لتنال جزاءك العادل... وغادر المكان... وقال القروي: كما تشاء.

وذهب الأب إلى القضاء، وخاطب القاضي قائلاً: "سيدي، لقد أخذ هذا الرجل ابني معه ليستحم، فعاد لوحده وعندما سألته أين ولدي أجاب أن بازًا اختطفه، هذه هي قضيتي، فاحكم بها".

فسأل القاضي الرجل الآخر: قل الحق... فأجاب: "في الحقيقة يا مولاي، لقد أخذته معي وجاء بازٌ فاختطفه مني".. فسأله: ولكن أين البُزاة في هذه الدنيا التي تستطيع اختطاف الصبيان؟...فأجابه: مولاي؛ عندي سؤال أوجهه إليك إذا سمحت، إذا كانت البزاة لا تستطيع خطف الصبيان، فكيف تستطيع الجرذان أكل الحديد ؟... فسأله القاضي: ماذا تعني بذلك ؟... فقال: سيدي، لقد أودعتُ لدى هذا الرجل خمسمائة محراث، ثم أتيتُ أطالب بها، فإذا به يقول؛ إن الجرذان قد أكلتها، وأراني فضلات الجرذان التي أكلت المحاريث، سيدي إذا كانت الجرذان تأكل المحاريث فالبُزاة تخطف الصبيان، وإذا

لا تستطيع الجرذان أن تأكل الحديد فالبُزاة لا تخطف الصبيان، فأرجو منك يا سيدي أن تقضي فيما إذا أكلتها الجرذان أم لا، وهذه هي قضيتي.

ففكر القاضي، وكان فهِمًا فطِنًا، وقال مع نفسه: "لابد أنه يقصد محاربة المحتال بسلاحه نفسه، حقًا إنها خطةٌ حسنة"، وأنشد في ذلك شعرًا مفاده؛ نعم الفعلُ؛ اللادغ ملدوغ، والخادع مخدوع، إنها ضربة موفقة ! فإذا استطاعت الجرذان أن تأكل المحاريث، فلماذا لا تستطيع البُزاة خطف الصبيان ؟ الوغدُ مغلوبٌ؛ دقّة بدقّة !!

وقال للأول: "أيها الرجل أعد المحاريث، وبعد ذلك سيعيد الرجلُ ولدك في الحال"!.

وهكذا عاد الابن المفقود إلى أبيه ثانية، وعادت المحاريث إلى صاحبها، مع فرض غرامة باهظة عليه جرّاء فعلته وخيانته لصديقه... ورجع كل واحد منهما إلى عمله.

الفتاة الذكية

في إحدى الليالي المقمرة من ليالي الصيف، تمددت الأم على الحصير ووضعت رأسها في حضن ابنتها الصغيرة التي لم تتجاوز الحادية عشرة.. وفرحت الصبية بأمها وراحت تفلي رأسها فتشعر الأم بزوال التعب...

وفيما البنت تفعل ذلك رفعت نظرها إلى الأعلى فرأت على الحائط ظلاً لرجل غريب يتسلق الجدار، ولما رأى المرأتين نزل بكل هدوء واتجه نحو التنور واختبأ فيه ريثما تنام المرأة وابنتها ليسرق ما تقع عليه يده في بيت الأرملة.

غير أن الصبية لم تخشَ اللص ولم تُخبر أمَّها عنه بل سألتها:

– ماما.. هل سأكبر وأصبح جميلة ؟

فأجابتها أمَّها:

– نعم يا ابنتي.

– ماما وأتزوج ؟

فأجابت الأم:

- بكل تأكيد يا ابنتي تتزوجين.

وسألت البنت أمها مرة أخرى:

- ويصير عندي ولد يا ماما ؟

فقالت الأم:

- نعم ويصير عندك ولد يا ابنتي.

- وأسميه أحمد؟

فقالت الأم:

- نعم يا ابنتي.

فقالت البنت لأمها فرحة:

- ويصير عندي ولدٌ ثانٍ وأسميه حسين ؟

فردت الأم بلهجة فرحة:

- نعم يا بُنيتي سميه حسيناً.

غير أن البنت لم تكتفِ بالولدين فقالت:

- ويأتيني ولدٌ ثالثٌ وأسميه إبراهيم؟

فقالت الأم:

- نعم لكِ أن تسميه إبراهيم.

كان اللص يستمع إلى الصغيرة ويلعنها في سره لأنها لم تنم ولم تدع أمها تنام حتى الآن فيما هو محصور في هذا المكان الضيق إلا أنه كان يستمع إلى تمنيات الصغيرة بلهفة.

- وإذا جاء العيد، سأشتري لهم أجمل الثياب وأذهب بهم إلى العيد، حيث الأراجيح ودواليب الهواء والرقص والغناء، لكنَّ الصغار يا أمي يعبثون في التراب فتتسخ ملابسهم وآخذهم إلى النهر القريب لأغسل لهم أيديهم ووجوههم فيقع إبراهيم في النهر ويغرق ولا أستطيع انتشاله وأصيح بأعلى صوتي، وتصيح الفتاة بأعلى صوتها فعلاً؛:

- يبو.. إبراهيم.. يبو إبراهيم، تعال..

وعادت الفتاة تكلم أمها بلهجتها الاعتيادية:

- والتفتُ إلى حسين، فإذا به يقع في النهر أيضًا، فأصيح بأعلى صوتي، فتجلس الأم بينما الفتاة تصيح وتخمش خدها.

وتقول الأم لابنتها:

- ماما عيب من الجيران !

غير أن الفتاة تواصل صياحها:

- يبو.. يبو حسين ! يبو حسين تعال !

وتقول لأمها:

- وفي هذه اللحظة يلقي أحمد أخوهم الأكبر نفسه محاولاً إنقاذ أخويه من الغرق فيغرق هو أيضًا، فأصيح: يبو أحمد.. يبو أحمد.. تعال..

بينما الأم تحاول أن تُسكت ابنتها وتضع يدها على فمها، لتمنع صراخها المتصاعد، غير أن الجيران ينتبهون إلى الصوت ويأتون إليها، فقد كان أحد جيرانهم اسمه أحمد والآخر إبراهيم والثالث حسين.

فسألوهما؛ ماذا حصل ؟... فأشارت الصبية إلى التنور قائلة: إن في التنور لص !.

وكان اللص متكوراً في التنور يتابع آمال الفتاة، ولم يفطن إلى الخدعة التي ورطته فيها حين كانت تصيح بأعلى صوتها على جيرانها الرجال الذين أسرعوا لنجدتها وأمسكوا به.

الأم الحنون و ابنها العاق

كان ياما كان في قديم الزمان أن امرأة توفي عنها زوجها وترك لها طفلاً صغيرًا عمره بضعة أشهر، وكان الزوج المتوفى حطَّابًا فقير الحال، فلم يترك لها ما يعينها على عيشها وتربية طفلها، فأخذت تعمل بغزل الصوف في بيتها، ولمَّا لم تدرِ عليها هذه المهنة موردًا كافيًا، فإنها أخذت تعمل إلى ساعات متأخرة من الليل تصل أحيانًا إلى الفجر، ذلك أنها كانت حريصة على راحة طفلها وعدم بكائه، فتضعه في حضنها ليرضع من ثديها وهي تغزل الصوف.

وكبر الابن وأصبح متعلقًا بأمه أشد التعلق، ولشدة حرصها عليه وحبها له لم تسمح له أن يلعب في الطريق مع الأولاد، ولم تسمح له أن يعمل بأي عمل مهما كان بسيطًا، وكانت تلتمس له الأدعية والتعاويذ ليحفظه الله من كل مكروه.

كبر الابن وأصبح شابًّا، فبدأت أمه تلح عليه بأن تجد له بنت الحلال التي يتزوجها، وهو يرفض بشدة لئلا تأتي هذه الزوجة وتعكّر عليهما صفو حياتهما وتؤذي والدته بأي فعل كان، ولكن الأم كانت

تعاود وتلح عليه كي ترى أولاده قبل وفاتها وتشاهده سعيدًا هانئًا مع زوجته، والابن يرفض، إلى أن أقنعته بأن بنت الجيران فتاة طيبة وجميلة ويمكن خطبتها له، فوافق على مضض. وهكذا شاء النصيب أن يتزوجا.

وبعد فترة طلبت منه الزوجة أن يعمل بأي عمل ليجلب لها ما تحتاج إليه، وأن لا يكون عالة على أمه، وقد احتار بأي عمل يعمل وهو لا يعرف القيام بأي عمل، لعدم اشتغاله سابقًا، فأشارت عليه والدته بعد إلحاح الزوجة أن يعمل بمهنة أبيه، فعمل حطّابًا، ولكن مورد عمله لم يسد حاجات زوجته... وبمرور الأيام وبازدياد مطاليب الزوجة اتخذت عشيقًا، ففكرّت بالتخلص من الأم ليخلو لها الجو، فاتفقت مع عشيقها على خطة، فوضعت (الكركم) على وجهها ليظهر أصفر اللون، ووضعت خبزًا يابسًا في فراشها ليتكسر عند الحركة ويُظهر أن أضلاعها تحدث صوتًا لشدة مرضها.

ومرّت الأيام وهي على هذه الحال، والزوج يعتصر قلبه ألمًا، فقرّر أن يذهب إلى أي مكان ليبحث عن حكيم فيجلبه ليداويها ويُشفيها من علتها و(المُشافي رب العالمين)، ولمّا عرفت الزوجة بمقصده، وصفتْ له حكيمًا هو عشيقها وقالت اجلبه وسيكون الشفاء على يديه إن شاء الله، فجاء الزوج بالحكيم المزعوم، ولما فحصها قال للزوج؛ إن دواءها صعب ولا يمكن الحصول عليه، ولما ألحَّ الزوج عليه قال العشيق هامسًا: إن شفاءها يتطلب منك أن تأكل قطعة من قلب والدتك.

فجفل الزوج وامتعض، وكلما سألته أمه عن قول الحكيم كان يتهرب من الإجابة، بينما كانت الزوجة تلح على الزوج بأن يجلب الدواء، على أساس أنها لا تعرف نوع الدواء، ويقول المثل: (كثر اللحاح يطك اللحيم)، وبعد أن أقنعته أنها شابة ويجب أن تعيش عمرها الذي كتبه الله سبحانه وتعالى له وإنها ستموت بالمرض ناقصة عمر.

فأخذ والدته لزيارة أحد أقارب والده للتعرف عليه، حيث أنه يسكن في مكان بعيد... وفي مكانٍ خالٍ في الطريق طلب من والدته أن تريح نفسها وتنام لتأخذ قسطًا من الراحة، لطول الرحلة، وعند نومها قام بذبحها وأخذ قلبها.

وفي طريق عودته وهو مرتبك خائف عثر الابن بحجر، فأوشك أن يسقط على الأرض، فقال له قلب أمه: اصملّه ! (أي ليحرسك اسم الله)، فندم على فعلته واعتراه الجزع، فجلس يبكي وينتحب فشاهده أحد المارة فسأله ماذا به، فحكى له الحكاية، فقال له هذا الشخص: إن لزوجتك عشيقًا وهي قد اصطنعت هذه الحيلة للتخلص من والدتك، فلم يصدق الزوج المخدوع لكثرة ما كانت تُظهره له زوجته من حُبٍّ وودٍّ،.. فسأله الشخص: هل معك مفتاح باب البيت؟ فأجابه هذا بالإيجاب، فقال له: اذهب وافتح الباب بهدوء ولا تُحدث صوتًا وانظر ما ترى... وعندما فعل ذلك، شاهد زوجته بأحلى زينتها والحكيم الذي جاء به معها في الغرفة، وعندما شاهده هرب... فقال لها: من أجل هذا

جعلتِني اقتل أمي... فهوى عليها بالسكين الذي يحمله وهو يقول: لأقتلنك بنفس السكين التي قتلتُ بها أمي أيتها الجاحدة... فقتلها ثم قتل نفسَه.

فرمان الوالي

كان ياما كان في قديم الزمان، كان هناك أحد الولاة الجائرين، استيقظ هذا الوالي ذات يوم من نومه منزعجًا وأصدر فرمانًا أي أمرًا إداريًا جاء فيه:

يُغرَّم كل فرد مبلغًا من المال قدره قران* عن كل حالةٍ من الحالات الآتية :

- كل من يبيع الدجاج.
- كل من يعمل بأمر زوجته.
- كل من كان أصلع الرأس.
- كل من كان أعرجًا.
- كل من كان اسمه جمعة.

خرج قائد الشرطة من عند الوالي ليطبِّق هذا الفرمان ويستوفي الغرامات من المخالفين.. مرَّ بالسوق ليجد أحدهم جالسًا يبيع الدجاج فأصدر أمرًا للبائع بأن يدفع له قرانًا، ردَّ عليه البائع: ولماذا أدفع ؟

* القران : عُملة نقدية كانت متداولة في العهد العثماني.

أجابه: لأنك تبيع الدجاج وأن فرمان الوالي هو الذي حدَّد هذه الغرامة أخذ البائع يتوسل إليه قائلاً: بأن الدجاج الذي يبيعه لا يعود إليه و إنما إلى زوجته التي أجبرته على الخروج إلى السوق لبيعه، هنا أجابه قائد الشرطة بأن عليه أن يدفع قرانين، فما كان من بائع الدجاج إلاّ ونهض واقفًا متوكئًا على عكازه مستنكرًا هذه الغرامات العشوائية.. فما كان من قائد الشرطة إلا أن قال له : الآن عليك أن تدفع ثلاثة قرانات لأن فرمان الوالي يغرّم الأعرج مبلغ قران... فما كان من صاحبنا إلاّ وأزاح عن رأسه اليشماغ الذي يرتديه ليكشف عن كونه أصلعًا، رافعًا يديه إلى السماء قائلاً : ربَّ هل ترضى عن الظلم الواقع على عبدك جمعة.

وهنا قال قائد الشرطة : إن عليك الآن أن تدفع خمسة قرانات، لأنك أكَرع وأيضًا اسمك جمعة !!.

خبـاثة

تقول الحكاية : كان ياما كان في قديم الزمان كان هناك صياد يخرج يوميًا إلى النهر لكي يصطاد ما يعتاش عليه من السمك.

وفي أحد الأيام رمى هذا الصياد شبكته وبعد أن أحسَّ أنها علقت بشيء سحبها ليجد فيها سمكة واحدة، هذه السمكة طلبت من الصياد متوسلةً إليه أن يطلق سراحها وأخبرته أنها عروس الماء. وأنها سوف تكافئه إذا استجاب لطلبها، بأن تنفذ كل طلباته مهما كانت... هذا العرض أغرى الصياد. وبالفعل أطلق سراحها وأعادها إلى الماء، وقبل أن تغوص في الماء اشترطت هذه السمكة عليه شرطًا يتمثل بأنها إذا حققت له طلبًا فإنها وبالمقابل تحقق لجاره ضعف الطلب، وافق الصياد على هذا الشرط.

وفي اليوم التالي خرج الصياد إلى النهر ونادى على سمكته طالبًا منها أن توفِّر له مسكنًا يليق به وبأسرته... وافقت السمكة قائلةً له: ارجع إلى كوخك ستجد أنه قد تحول إلى قصر فخم.. وبالفعل عاد الصياد ليجد أن كوخه قد تحول إلى قصر فخم، ووجد أيضًا أن لدى جاره الفقير قصرين فخمين.

وفي اليوم الثاني خرج الصياد إلى النهر طالبًا من سمكته أن تُعينه بالحصول على المال الذي لا يملك منه شيئًا، أجابته السمكة طالبةً منه الرجوع إلى قصره ليجد في باحته تلاً صغيرًا من الليرات الذهبية، وبالفعل عاد الصياد إلى بيته ليجد التل الصغير من الليرات الذهبية البراقة، ثم ألقى نظرة إلى بيت جاره، فرأى تلّين من الليرات الذهبية، وهنا شعر الصياد بالانزعاج وأخذ الحسد تجاه جاره يعمل عمله في قلبه، وأخذ يسأل نفسه؛ تُرى كيف تسنى لجاره أن يحصل على قصرين فخمين وتلّين من الذهب وهو لم يفعل شيئًا بل ولم يعرف بأمر السمكة؟

بات الصياد يفكّر، كيف يستطيع أن يلحق الأذى بجاره... بيَّت مع نفسه أمرًا منكرًا..

في الصباح، ذهب إلى النهر طالبًا من سمكته أن ترفع كِليةً واحدة من جسمه. أذعنت السمكة لهذا الطلب الغريب، وقالت له: بمجرد أن يرتعش جسدُك فان كلية واحدة ستُرفع منك، وبالفعل شعر الصياد بعد قليل بأن جسده يرتعش. وتيقن أن كلية واحدة قد رفعت منه... عندها عاد إلى بيته فوجد الصراخ والعويل والبكاء يملأ بيت جاره.

البنت الصغيرة والأمير

كان ياما كان في قديم الزمان، كان لرجل سبع بنات، وكانوا يعيشون عيشة سعيدة على الرغم من أن أم البنات كانت قد توفيت منذ مدة ليست بالقصيرة، كان الرجل والد البنات غنيًا جدًا.

وكانت تعيش على مقربة منهم سعلوة شريرة إلا أنها كانت تظهر على هيئة امرأة جميلة تعيش لوحدها، فلمَّا علمت بأمر الرجل وثروته الكبيرة، فإنها طمعت فيها، وقرَّرت أن توقعه في حبائلها، وبعد فترة يسيرة تعرفت إليه وعرضت عليه أن يتزوجها ويعيشوا معًا في بيتها الكبير، وبعد تفكير قليل وافق الرجل على اقتراحها، على الرغم من أن بناته كنَّ يتوجسن خيفة منها كلما جاءت تزورهم إلى البيت.

وعلى أية حال تزوج الرجل منها، وعاشا في بداية الأمر عيشة سعيدة، وتظاهرت السعلوة بأنها حريصة على بناته السبع، وأنه ليس لها من مأرب سوى خدمتهن ومن أجل أن تعوضهن عن الحنان الذي افتقدنه بسبب وفاة أمهن؛ على حد قولها.

وفي أحد الأيام طلبت الزوجة (السعلوة) من الرجل أن يذهب إلى السوق لشراء بعض الحاجيات ونهضت لترشده إلى الطريق لاسيما وأن

بيتها كان كبيرًا وواسعًا، فأدخلته في غرفة وأجهزت عليه بآلة حادة وقتلته... وفي المساء، قلقت البنات من تأخر أبيهن، فقالت السعلوة للبنت الكبرى: إن أباكِ قد تأخر في القدوم، ألا تذهبين وتبحثين عنه، فوافقت البنت على ذلك، وأيضًا صحبتها السلعوة إلى ذات الغرفة وقتلتها... وفي اليوم التالي فعلت الشيء ذاته مع البنت الثانية، وهكذا، استمرت بقتل البنات... وفي النهاية جاء دور البنت الصغيرة وكانت جميلة جدًا، فجاءتها السعلوة وقالت لها: "سَمّنيتچ ما كليتچ"، انتظريني لحظة حتى تبرد أسناني لأستمتع بأكلك، فزعت البنت الصغيرة، لما رأته وسمعته من السعلوة التي كانت تظنها زوجة لأبيها، فحاولت الهرب، وعن طريق الصدفة تدخل إلى الغرفة التي ذبحت فيها السعلوة أباها فرأت ملابسه مرمية، فلبستها، وفرَّت هاربة مذعورة.

وبعد أن أنهكها الركض جلست قرب بائع خبز، فأحست بالتعب والجوع وأدخلت يدها صدفة في جيب دشداشة أبيها فوجدت بعض النقود، ففرحت كثيرًا واشترت خبزًا وأكلت، ثم واصلت مسيرها واقتربت من أحد القصور التي قيل لها إنه قصر الملك، وأخبرت البواب برغبتها في أن تعمل خادمًا في القصر، وبعد أن أخبر البواب سيده الأمير ابن الملك برغبة هذا الفتى يوافق الأخير، واستمرت البنت في عملها هذا كخادم لعدة شهور. ولم يعرف أحد أنها بنت، وكانت البنت في كل يوم وخاصة عندما يحل المساء وينام جميع من في القصر تخرج

إلى إحدى حدائق القصر الخلفية وتخلع الدشداشة،ثم تستحم في البركة وتبدأ بتسريح شعرها الذهبي، وتذهب إلى قفص الدجاج والبط الموجود هناك وتخرج بطة وتذبحها وتطبخها بسرعة وتأكلها... واستمرت على هذا المنوال لفترة طويلة.

بعد فترة من الزمن، أخذ الأمير ابن الملك يحس بأن البط أخذ يتناقص، فبذل محاولات عديدة لمعرفة السبب، إلا أنة فشل، وأخيرًا قرَّر أن يأخذ الأمر على عاتقه لمعرفة السبب في نقصان البط، فصعد على شجرة عالية قريبة من قفص البط، وجرح يده ووضع على الجرح قليلاً من الملح حتى يجفوه النوم ويبقى مستيقظًا.

وفي إحدى ساعات الليل، وكالعادة، خلعت البنت الصغيرة دشداشة أبيها واستحمت ببركة الماء وسرَّحت شعرها الذهبي، فاندهش الأمير لرؤية هذا المشهد المحيّر، وبعد ذلك شاهد الأمير هذه البنت تذهب إلى قفص البط وتخرج إحداها وتذبحها ثم تقوم بطبخها ومن ثم تشرع بأكلها... تعجَّب الأمير واندهش كثيرًا عندما أيقن بأن هذه الفتاة الجميلة هي التي كانت وراء نقصان البط.

وفي اليوم التالي، طلب الأمير من خادمه أن يجلب الطعام على المائدة ويغلق الباب، ففعل الخادم ما طُلب منه، ثم طلب الأمير من الخادم أن يخلع ملابسه، فاعتذر الخادم عن فعل ذلك، لكنَّ الأمير أصر على خلع ملابسه وإلاّ فانه سيعمد إلى قتله، وفي الأخير خضع

الخادم لطلب الأمير، فخلع ملابسه، فإذا هي بنت جميلة ذات قوام فاتن وآسر، وبكت وجثت على ركبتها وقصّت قصتها وما حدث لها ولأخواتها وأبيها من السعلوة التي تظاهرت بأنها امرأة... فعرض الأمير عليها أن يتزوجها، فوافقت، لكنها اشترطت عليه أن ينتقم لها من السعلوة قبل ذلك، ففعل ما طلبت منه.

وفي يوم الزفاف، كان من بين الحاضرين ابن الوزير. فانبهر بجمال هذه البنت التي ستصبح زوجةً للامير، وجُن جنونه، فهمس في أذن الأمير إن كانت لزوجته أخت لكي يتزوجها لكن الأمير نفى ذلك وأخبره بقصة البنت.

رجع ابن الوزير منكسرًا إلى بيته، وتذكر أن له خادمًا وسيمًا، فساورته الهواجس بأن خادمه هذا إن هو إلاّ بنت تتخفى بهيئة خادم فطلب من خادمه أن يجلب الطعام له في غرفته ويغلق الباب ففعل الخادم المسكين ما طُلب منه، بعدها أمره ابن الوزير أن يخلع ملابسه، فتعجب الخادم واعتذر عن ذلك، لكن ابن الوزير أصر على طلبهِ وأخذ يهدده طالبًا منه أن يخلع ملابسه... وأخيرًا لم يجد الخادم بدًا من أن يخلع ملابسه، وعندما لم يظهر فتاة غضب ابن الوزير وطلب منه ارتداء ملابسه والخروج فوراً..

الحظ والعمل

يُحكى أنه في يومٍ غائم، جلستْ العرَّافةُ العجوز على الدرب، نشرت منديلها الأبيض، ووضعت فوقه أحجارًا ملونة وحفنة من رمل، تطلعت العرّافة في وجوه المارة، ابتسمت فبانت أسنانها السود النخرة، وقالت مع نفسها؛ بعد قليل سيأتيني الذين يبحثون عن حظهم الضائع، ثم رفعت رأسها وتمتمت: ها هو ذا قادم !.

كان شابًا صغيرًا، يمشي في الطريق حاملاً زنبيلاً بيده، متوجهًا نحو السوق، كانت تبدو على وجهه علاماتٌ كئيبة، فأومأتْ إليه وقالت: تعال، واجلس لأقرأ لك حظك، وأرى ما يخبئه لك القدر.

جلس الشاب أمامها واضعًا زنبيلَه إلى جانبه، تفرَّست العرَّافة في وجهه وقالت:

- ألست نبهان ابن حسنة ؟
- أجل، أنا نبهان ابن حسنة.
- انظر إلى السماء اليوم.

رفع نبهان رأسه وراح ينقل نظره في السماء فرأى غيومًا سودًا تجثم فيها لا تتحرك، والرياح هادئة، وأدرك أن الغيوم السود تُنذر بسيول من المطر.

فرشت العرّافة الرمل فوق منديلها المتسخ، ورمت عليه أحجارها الملونة، تطلعّت في وجه نبهان مليًا بعينيها الضيقتين وقالت: يا أرضًا بلا ماء.. ويا سماء بلا نجوم. ويا نارًا بلا دخان.. ثم صمتت لحظة وتابعت وهل يطير الباز بلا جناح ؟

- وما هو الجناحُ يا خالة ؟ إني لم أفهم شيئًا مما قلتِهِ.
- الجناح يا ولدي هو حظُّكَ الذي يرفعك، ولكنك الآن بلا جناح، إن حظَّك الآن أسود مثل غيوم اليوم، ولكن في بطنها مطر !
- وماذا أفعل يا خالة كي يهطل عليَّ المطر وأحصل على الجناح ؟
- الأمور بنهاياتها يا ولد. ولا بد من الكد والصبر.

ثم هزّت العرّافة رأسها عدة مرات وقالت:

- لا تقبض على الريح، وارجع اليوم إلى بيتك. ولا تخرج منه إلاّ بعد أن يطرق بابكم الحظ. انتظره يا نبهان، ولا تدعه يفلت من يديك. ربما يأتي بعد يومين أو شهر أو سنة أو سنتين.. ما عليك سوى أن تنتظره ولا تيأس.
- آه، لقد أثقلت عليَّ الأيام..

- في التأني السلامة، أفاهمٌ أنت يا نبهان ؟ اصبر ثم اصبر.. وانتظر.

هزّ نبهان رأسه موافقًا، والحزن مرسومٌ على وجهه وقال متعهدًا:

- لن اخرج من البيت.. وسأفعل كما قلتِ.

- طيّب، هاتِ ما في يدك.

وأعطاها نبهان الدراهم التي بيده، ورجع إلى البيت دون أن يذهب إلى السوق كما أمرته العرّافة.

- سألته أمه: هل أتيت بالمسواق ؟

- لا يا أمي.. رجعت إلى البيت، كي انتظر حظي، كما قالت لي العرّافة.

- آه.. العرّافة، وهل صدّقت ما قالت، يا ويلي منك !

ومرَّت الأيام، وبقى نبهان المسكين حبيسِ البيت ينتظر حظَّه، فما زالت كلماتُ العرّافة العجوز ترن في أذنيه..

حاولت أمه أن تخرجه إلى السوق كي يشتغل مع والده في البناء، أو يجلب الحاجيات من السوق، إلاّ انه رفض بصورة مطلقة، وقال كلمته التي سمعها من العرَّافة:

- لن أخرج.. سأنتظر حظي يطرق بابَنا.

في اليوم التالي جاء عمُّه إليه وكان حدادًا وقال له: تعال واشتغل معي.

إلاّ أن نبهان رفض وقال كلمته:

- لن أخرج إلى أي مكان.. سأنتظر حظي يطرق بابَنا.

ثم بعد مدة جاء خالهُ، وكان يعمل خياطًا وقال له: تعال، لتشتغل معي... ولكن نبهان رفض بشدة وقال:

- لن أخرج.. سأنتظر حظي يطرق بابَنا.

وجاء الكثير من أقاربه من الرجال والنساء، حاولوا إقناعه بالزواج أو الخروج من البيت، ولكن دون جدوى، فقد رفض بعناد وقال قولته التي أصبحت أشبه باللازمة:

- لن أخرج.. سأنتظر حظي يطرق بابَنا!

ومضت أيام طويلة وكثيرة، وأصيب نبهان بالهُزال والشحوب ومن ثم الكآبة.

وفي يومٍ قائظ، مرَّ بالقرية شيخٌ ذو لحية بيضاء، يتوكأ على عصا، ويحمل على كتفه زوّادة فيها قليل من الطعام وأشياء أخرى... طرق الشيخ باب نبهان، وجلس قرب العتبة، خرج نبهان، وسأله:

- ماذا تريد يا عم ؟.

- أريد ماءً... قال الشيخ.

وبعد أن شرب، قال الشيخ: تعال، واجلس أمامي.

تفرّس الشيخ في وجه الفتى نبهان، فرآه شاحبًا كئيبًا، قال: ها.. لماذا أنت هكذا ! لماذا لا أراك في السوق تعمل أسوة بباقي الشباب ؟

_ أنا هنا يا شيخ جالسٌ، انتظر حظي يطرق بابي.

_ ابتسم الشيخ، ثم اطرق، وقال:

_ الحياة قاحلة من دون عمل يا ولدي.

_ قال نبهان؛ أنا ارضٌ بلا مطر.

_ قال الشيخ؛ سيسقط المطر، فابذر وتوكل.

_ قال نبهان؛ وهل ينهض البازي بلا جناح ؟

_ آه، انهض معي يا ولد، لقد وجدت الجناح.

_ إلى أين يا شيخ ؟

_ إلى البحر، فهو قريب من هذه القرية.

وأخذه الشيخ إلى الساحل، وهناك جلس الاثنان متقاربين.. أخرج الشيخ من زوّادته سنّارتين، واحدة له والأخرى للشاب نبهان، وبعد آن عمّرها بالطعم، قال له: ارم الشص بعد الاتكال على الله.

وبعد قليل اصطاد نبهان سمكة بطول ذراع وكذلك فعل الشيخ، وبعد ساعتين امتلأ الزنبيل الذي جلبه معه نبهان بالسمك... قال له الشيخ: الآن اذهب إلى السوق ثم بعه، وأعطني نصف النقود، فأنت الآن شريكي، هيا انهض بسرعة، ففي الحركة بركة.

وهكذا تعلم نبهان صيد السمك، وأصبح صيادًا ماهرًا يزود السوق بأسماكه، ويكسب رزقه بعمله،

وأخيرًا أدرك نبهان أن حظّه هو عمله، وأن لا حظَّ لمن لا يعمل.

حْديدان

يُحكى أنه كان هناك أصدقاء ثلاثة، خرجوا من ديارهم للعب، وذهبوا بعيدًا، فتاهوا، فجاءتهم السعلوة.

تضرّع "حديدان" وهذا هو اسم أحدهم، طالبًا من ربه أن يبني له قصرًا من حديد على أن يكون باردًا من الداخل وحارًا من الخارج، وطلب "رويشان" وهو الصبي الثاني من ربه أن يبني له قصرًا من الريش باردًا من الخارج، وطلب "أرخيصان" وهو الصبي الثالث من ربه أن يبني له قصرًا من الرخيص يكون حارًا من الداخل وباردًا من الخارج.

وللحال حقَّق الرب أمنياتهم، وعندما جاءت السعلوة لـ حديدان محاولةً هدم قصره، اقتربت منه وغرزت نابها فيه فانكسر، فهربت.

ثم أنها ـ أي السعلوة ـ جاءت إلى رويشان، وما إن اقتربت من قصره حتى تطاير ريش القصر الذي بُني منه، وعثرت على رويشان فأكلته.

ثم ذهبت إلى ارخيصان واقتربت من قصره، فإذا بمادة الرخيص التي تمَّ بها بناء القصر إذا بها تتطاير في الجو، فأمسكت السعلوة برخيصان واكلته وأراحت نفسها منه.

وظلَّ حديدان جالسًا فوق سطح قصره، فلم تستطع السلعوة أن تصل إليه لأن حرارة القصر وقوته كانتا تمنعانِها من ذلك.

وبعد أن أعياها أمر حديدان، ذهبت السعلوة إلى عماتها وخالاتها وطلبت منهن أن يساعدنها، فهجمن جميعهن على القصر، إلا أنهن لم يستطعن الاقتراب منه، لقوته أولاً ولحرارته ثانيًا، فعدن خائبات.

ثم أنهن جلسن يعملن تفكيرهن في حيلة يتمكنَّ بواسطتها من الوصول إلى حديدان والإمساك به، فأشرن على قريبتهن أن تترك حميرها تسرح بالقرب من القصر ظنًا منهن أن السعلوة تستطيع بهذه الحيلة من الإمساك بحديدان، ولكن من دون جدوى، حيث أنه فطن إلى هذه الحيلة فأخذ يركب على ظهر الحمار عندما تكون السعلوة بعيدة عنه، ويتركه ويصعد إلى قصره عندما تقترب منه،

وفي إحدى الليالي، جمعت السعلوة حميرها وطلت ظهورها بالقار، وأطلقتها بالقرب من قصر حديدان، وابتعدت عنها، فنزل هذا وصعد على ظهر أحد الحمير، وعندما شاهد السعلوة قادمة نحوه أسرع لينزل من على ظهره، إلاّ انه وجد نفسه ملتصقًا به فاقتربت منه وأمسكته ثم راحت تقول له: من أين آكلك ؟ فقال لها: من أي مكانٍ تشائين، لقد أصبحتُ أسيرك، ولكنني لا أشبعك، لأنني ضعيف البنية، ولو تتركيني لفترة لأشبع وأسمن لأمكنك أن تأكلي لحمًا شهيًا!، فقالت له: لأتذوقك، فتذوَّقته من أذنه، فإذا به حقيقة غير صالح للأكل، فربطته،

كالحصان، وظلت لمدة أسبوعين تقدم له الطعام والثمار وهو مربوط، حتى سمن، فقالت له: هيا، تهيّأ، سوف أذبحك، وطلبت من ابنتها أن تذبحه وتطبخه وأن تنظف البيت وتفرشه حتى تعود من زيارتها لعماتها وخالاتها بعد أن تدعوهن للوليمة.. وذهبت.

أخذت البنت تشحذ سكينها، وحديدان ينظر إليها بلا حول ولا قوة، فقال لها: أنتِ لا تعرفين كيف تشحذين السكين، هاتِها لي لأشحذها لكِ بسرعة حتى لاتؤلمني عند الذبح، فوافقت.. فأخذ السكين وشحذها جيدًا، بحيث أصبحت تقطع رقبة البعير، وقال لها: الآن تعالي واذبحيني، وعندما اقتربت منه، قطع رأسها وحلَّ وثاقه بها، ثم خلع ملابسه وارتدى ملابسها وقام بتنظيف البيت جيدًا، وقطع أوصال ابنة السعلوة وطبخها، وخبز الخبز.

وعندما حضرت السعلوة وقريباتها، قدم لهن الأكل فأكلن، وبعد أن انتهين من الأكل رجعن إلى بيوتهن.

فطلب حديدان من السعلوة، وكان يمثل دور ابنتها؛ كما أسلفنا، أن تسمح لها أي (له) باللعب في قصر حديدان، فوافقت ظانةً أنها قد تخلصت من حديدان وجعلته طعامًا لها ولبنتها وقريباتها، فذهب إلى القصر وأغلق بابه عليه من الداخل، وخلع ملابس بنت السعلوة ورماها خارج القصر وارتدى ملابسه، وأخذ يصيح من أعلى القصر: (اچرنتهه، اچرنتهه، أجّالة بنتهه، ملفوفه برغيف الحنطة) !!.

وعندما سمعت السعلوة الصراخ خرجت من مغارتها، وشاهدته على القصر، وملابس ابنتها مرمية على الأرض، فصرخت به: ماذا فعلت بي؟! وأرادت أن تتقيًا ما أكلته من لحم ابنتها، إلاّ أنها لم تستطع، وظلت تلطم صدرها وتنوحِ حتى ماتت وهمدت جثتها..

فنزل حديدان من القصر، ورحل للبحث عن أهله، فوجدهم بعد صعوبة ومشقة.

حسن أكّال كشور الباكلة

كان هناك في قديم الزمان والأوان، شاب كسلان، لا يحب العمل والتعب، يعيش في منزل مهجور (أي خرابة)، يعتاش على أكل قشور الباقلاء، حيث يقوم بجمعها بعد أن يرميها الناس خالية من اللب.

وفي تلك المدينة التي كان يعيش فيها حسن، كان هناك ملك، له ثلاث بنات، وفي أحد الأيام، جمع الملك رجال حاشيته ووزراءه وأخبرهم أنه يريد اختبار بناته الثلاثة بحضورهم..

سأل الملك ابنته الكبيرة قائلاً: من هو الأكثر قدرةً على إدارة البيت؛ الرجل أم المرأة ؟

فردت عليه : إنه الرجل.

فرح الملك كثيرًا بجواب ابنته الكبرى وزوّجها إلى أحد الأمراء ممن كان حاضرًا، بعد أن أغدق عليها بالهدايا الثمينة.

بعد ذلك سأل الملك ابنته الوسطى نفس السؤال، فكان جوابها كجواب شقيقتها الكبيرة، فرح الملك لهذا الجواب، وزوّجها من أحد أمراء ولايته ممن كان حاضرًا، وخلع عليها الخُلع والهدايا الثمينة.

ثم جاء دور البنت الصغيرة، فسألها سؤاله المعهود فردّت عليه قائلة: المرأة يا أبي هي التي تقوم بتدبير شؤون البيت !..

اغتاظ الملك كثيرًا من جواب ابنته وقال لها: إنكِ مخطئة، وأرجو منك أن تغيِّري رأيك هذا... إلا أن الفتاة أصرت على رأيها، فصاح الملك بوزيره قائلاً: اجلب لي أكسل رجل في المدينة وأكثرهم فقرًا وزوجه من هذه البنت العاقّة.

وبحثوا عن هذا الزوج... فوجدوه... إنه حسن أكّال گشور الباگلة، الذي تزوجها رغمًا عنه، بعد أن طردها أبوها من قصره شر طردة.

خرج حسن وزوجته الجديدة من قصر الملك، دون أن يعرف ماذا يفعل بها، لكنها كانت شاطرة، حيث أنها أخفت في ملابسها بعض الليرات الذهبية عندما جرّدها والدها من جميع حُليّها الذهبية. سألت الفتاة زوجها حسن عن عمله وسكناه، فلم يجب، لأنه كان يشعر بالخجل الشديد.

استخرجت الليرات الذهبية وأعطتها له، وقالت له: بعها واشتر بثمنها طعامًا وصوفًا وأدوات للغزل وفراشًا للنوم..

ذهب حسن إلى السوق واشترى ما طلبته زوجته منه، وعاد إليها خجلاً، فطمأنته، وللحال شرعت تحوك من الصوف "بلوزة" فذهب حسن بها إلى السوق وباعها...

وهكذا استمرت الفتاة بعملها، وهو يبيع ما تُنتِجه يداها.

في أحد الأيام طلبت منه أن يبحث له عن عمل ما، فقال لها إنه لا يعرف أي عمل أو شغلة، فقالت له: يجب أن تشتغل... يجب أن تتعلم، تعلّم عقل يا حسن، اذهب واشتغل في العمّالة".

خرج حسن في صبيحة اليوم التالي، واشتغل في (العمّالة)، وعندما عاد إلى البيت (أي الخرابة) سمع شخصًا ينادي المارة وهو واقف أمام صندوق كبير: تعال واشتري لك عقل، تعال تعلم عقل... وتذكر حسن طلب زوجته منه بأن يتعلم عقل، فدفع حسن ما معه من نقود إلى الرجل، أخذ الرجل النقود وفتح بعض الأبواب في الصندوق، ثم قال لحسن: الجميل هو ما تشتهيه العين والقلب.. فقال حسن مستهزئًا: أهذا هو العقل... وندم على نقوده التي خسرها بغتة، هكذا.

وعاد إلى زوجته وهو خجل مما فعل، فاستقبلته أحسن استقبال، وأعدَّت له الماء الدافئ فاستحم وتناول عشاءه..

وهكذا استمر حسن في عمله السابق، زوجته تغزل وهو يبيع ما تنتجه يداها، فجمعوا نقودًا واشتريا أرض الخرابة وبنا عليها دارًا لهم.

في أحد الأيام، قالت الزوجة لحسن: إنك تتعب في عملك هذا، يجب أن تجد لك عملاً آخر، كالتجارة مثلاً، فقال لها: أنا لا أعرف شيئًا عن هذه الحرفة... إلا أنه في اليوم التالي ذهب إلى سوق التجار وأخذ يستطلع أحوالهم عن كثب، وشيئًا فشيئًا أخذ يتعلم منهم بعض الأسرار.

وفي اليوم التالي شد الرحال مع جماعة من التُجَّار للسفر إلى مدينة أخرى بعيدة... وفي طريقهم الصحراوي، نضب ما معهم من ماء، وبحثوا عنه، فوجدوا بئرًا عميقًا، وكان هذا البئر يلتهم كل من ينزل إليه، إلا أن حسن أصر على النزول إليه وجلب الماء.

وعندما بدأ حسن بالنزول، جذبته يدٌ عملاقة إلى الأسفل، فشاهد غرفة كبيرة، يتوسطها ماردٌ أسود، وشاهد فتاتين، إحداهما جميلة بيضاء، والثانية زنجية كالليل، فسأله العملاق الزنجي: أيهما أجمل ؟ فإن لم تجب الإجابة الصحيحة فإني سوف أقطع عنقك.

احتار حسن كثيرًا، بماذا يجيب؟ وكيف، هل يقول إنها البيضاء، وفكّر؛ ربما ستُغضِب هذه الإجابة المارد فيقرر قتله. أم هل سيقول إنها السوداء، إلا أنه خشى أن يرد عليه المارد: أتترك الجمال وتختار القبح؟

وراح يفكر ويفكر؛ أيهما الجواب الصحيح؟ فصاح به العملاق: يبدو أنك كأصحابك الذين جاؤوا قبلك، بدون عقل، في هذه اللحظة، تذكر حسن قول صاحب الصندوق العجيب، فقال للعملاق: إن الجميل هو ما تشتهيه العين والقلب. فصفق العملاق الأسود لهذه الإجابة وضحك وقال: أصبت، أصبت، فاطلب ما تشاء... وجذبه إلى إحدى الغرف وقال له: خذ هذا الطابوق الذهبي، ولكن عليك أن تطليه كي لا يعرف به جماعتك ويسلبوك إياه.

حمل حسن الطابوق وقِرَب الماء، وخرج من البئر بمساعدة المارد.

وعاد إلى زوجته وشيّدا لهما قصرًا كبيرًا لا يدانيه حتى قصر الملك نفسه من حيث الجمال والأبهة، واشتريا له أثاثًا ثمينًا...

تعجّب الملك كثيرًا عندما شاهد هذا القصر، وسأل وزراءه عن صاحب هذا القصر الفخم... وفي أحد الأيام قدم حسن دعوته إلى الملك ووزرائه لزيارته في قصره، فلبى الملك الدعوة، وقُدمت إليهم المأكولات في أواني الذهب، فلم يصبر الملك ووزراؤه، فصاح بحسن: من أنتَ؟... فخرجت زوجة حسن وقالت له: إنه حسن أكّال گشور الباگلة زوجِ ابنتك التي طردتها، والآن ماذا تقول يا أبي عن جوابي السابق ؟.

تعجب الملك كثيرًا، وقال لها: اعترف إنني مخطئ يا ابنتي، فليس الرجل هو كل شيء.

وأصدر أمرًا بأن يكون حسن وليًا للعهد، لأن الملك لم يكن عنده أولاد ذكور وليس ثمة من يثق به من أزواج بناته الأخريات.

من دار العجزة إلى الثراء

كان ياما كان في قديم الزمان، أن أحد الملوك خرج يتجول في المدينة بحثًا عن المصابين بعاهات مستعصية تعيق أصحابَها عن العمل من أجل أن يرسلهم إلى دار العجزة الذي أنشأه الملك حديثًا، فقرر شابٌ كسول أن يدخل الدار، وغلّف رجليه بلفائف كبيرة متظاهرًا بالعجز، وألقى نفسَه أمام موكب الملك، غير أن الملك فطن إلى الأمر وأدرك أن الشاب يتظاهر بالعجز والمرض، فقال له: (إذا بيك خير، سوي براسك خير). فأثرت الكلمة في الشاب، وفكّر، ثم أرسل بعض الأطفال لكي يجلبوا له كثيرًا من القحوف والأحجار ووضعها في صناديق أحكم إغلاقها وأرسلها إلى الميناء وسافر معها، واتخذ صاحبًا له حتى وصلا إلى بلاد الهند، فاستأجر له شقة في خان واستدان بعضًا من الليرات من صاحب الخان ريثما يبيع بضاعته فيرد له دَيْنَه.

ثم أن الشاب أرسل صاحبه إلى أحد المطاعم وأعطاه ليرة يشتري طعامًا لهما، وقال له: إذا أعطيت صاحب المطعم هذه الليرة فلا تأخذ منه الباقي، وسيسألك مَنْ صاحبُك ؟ قل له: لا تقل لأحد واجعل الأمر سرًا بيني وبينك؛ انه ابن الملك، ترك بلاده وجاء إلى الهند لسوء تفاهم وقع بينَه وبين أبيه.

وذهب صاحبه إلى المطعم، وفعل كما أمره الشاب، فذهب صاحب المطعم إلى جاره وقال له: لا تقل لأحد، إن الشاب الذي ينزل في الخان المجاور هو ابن أحد الملوك، وقد جاء مغتاظًا من أبيه.

وبطبيعة الحال، انتشر الخبر حتى وصل إلى مسامع (راجا) الهند أي ملكها، فأرسل معتذرًا إلى الشاب، وبعث إليه بصواني مليئة بالدر والماس ومختلف الجواهر، فكان الشاب يأمر الحمالين أن يتركوها في المطبخ ولا يبدي تأثرًا كي يثبت انه ابن ملك حقًا.

وامعانًا في تكريم ابن الملك، زوَّجه الراجا ابنته، وأرسل إلى الملك (الذي ادّعَى الشاب انه ينتسب إليه) رسالة يعتذر منه لأنه لم يستطع أن يكرم ابنه حال وصولِهِ إلى بلاده، لأنه لم يعرفه، وأنه قد زوّجه ابنته، وهما الآن في طريقهما إليه... فسكت الملك على مضض.

وعَلِم الناسُ فخرجوا لاستقبال ابن الملك غير المعروف لديهم، ولم يكن يعرفه حتى الملكُ نفسُهُ، الذي قال في سرّه؛ أودُّ أن اعرف هذا الذي يدّعي بأبوتي !.

ووصل الركبُ، واستُقبل الشابُ استقبالاً حافلاً يليق بابن ملك، وبعد انتهاء المراسيم انتحى الملك بالشاب جانبًا وقال له: هلاّ ذكرتَ لي أيها الكلب من أين أتتك أبوتي ؟

قال الشاب: ألا تذكر أيها الملك، يوم أردتُ أن أدخل دار العجزة، فمنعتني وزجرتني وقلتَ لي: (إذا بيك خير سوّي براسك خير). وها أنا جئتُ إليك وكلّي غنى وثراء وزوجني راجا الهند ابنته. أفلا يكفي هذا ؟!

ارحموا مَنْ في الأرض *

اعتاد القصَّاب، حين كان يقوم بعمله أن يرى عددًا من القطط وكلبًا أو كلبين وهي تحتشد في دكانه أو على مقربة منه، تنتظر لحظة العطف لدى القصَّاب، فيرمي إليها ببعض القطع الصغيرة من اللحم، ولم تكن هذه الحيوانات تتصارع فيما بينها من أجل الحصول على رزقها، وإنما كانت تنتظر حتى يأتي دورُها، وهكذا هو حال الدنيا منذ الأزل، تعتمد بعضُ الحيوانات والكائنات على الإنسان أو بقاياه من أجل الحصول على الطعام..

في أحد الأيام، وفيما القصَّاب منهمك بعمله، مُلقيًا بين الفينة والأخرى بقطعة من اللحم إلى هذا القط أو ذاك، في هذه الأثناء كانت إحدى القطط تنظر إليه، واقتربت منه أكثر مما يكفي لكي تنال نصيبها المعتاد، إلاّ أن القصَّاب لم يلحظ وجودَها، ربما لانشغاله بتقطيع

* كما يبدو فإن عنوان الحكاية هو الشطر الأول من الحديث النبوي الشريف الذي نصه: "ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء".

ـ هذه الحكاية رواها لي شفاهًا السيد جمال عباس من أهالي بغداد.

أوصال الذبيحة أو لازدحام الناس أمام باب دكانه، المهم أن القطة لم تنجح في إثارة انتباه القصَّاب إلى وجودها، وبالتالي فإنها لم تظفر بنصيبها من الطعام، بينما القطط الأخريات يتلمظن مما حصلن عليه، فلم تتمالك القطة نفسها وهي ترى القصَّاب يقتطع شريحةً من فخذ الضأن ويضعها جانبًا، وللحال قفزت وافترستها، فيما القصَّاب منشغل لبعض شأنه في دكانه، فأنتبه إليها وهي تهم بالهرب، فأمسك بعظمة كبيرة ورماها بها، فأصابها في رأسها، فتركت القطة قطعة اللحم، وولت هاربةً وهي تموء من شدة الألم.

في مساء ذلك اليوم، جلس القصَّاب في بيته، منتظرًا هو وأطفاله أن تقدم لهم الزوجة طعام العشاء، وبينما هم يأكلون، إذ سمعوا طرقًا على الباب، ذهبت الزوجة لتتعرَّف منْ الطارق، وبعد قليل عادت لتُخبر زوجها أن ثمة عجوزًا واقفة بالباب وهي تريد منه أن يساعدها في نقل بعض قطع الأثاث، لاسيما وأنها امرأة وحيدة وغريبة، وليس ثمة من يساعدها في ذلك، وقد أخبرتها أن بعضهم أشار عليها أن تذهب إلى القصَّاب لِما عُرِف عنه من نخوة ونجدة ورغبة في تقديم المساعدة للآخرين.

طلب القصَّاب من زوجته أن تُدخِل المرأة إلى البيت، وتقدم لها الطعام في غرفة الضيوف وأن تجلس معها ريثما ينتهي هو من تناول طعامه، وبعد أن انتهى منه غسل يده وفمه وحمد الله على نعمة الصحة

والعافية،ذهب إلى العجوز التي طلبت مساعدته، وسألها أين يقع بيتها، فقالت؛ إنها تسكن قريبًا منهم، وخرج معها، وظلت تقوده من دربونة لأخرى، حتى وصلت إلى إحدى الخرائب، فأخبرته أنهما يوشكان أن يصلا، ودفعت بابًا محطَّمًا كان موجودًا في نهاية الخرابة، فانفتح الباب على درج بسلالم كثيرة تنزل إلى الأسفل، ثم وجد نفسه في دهليز مظلم، وفي هذه اللحظة أحسّ القصَّاب أن يد العجوز أصبحت أكثر قوةً وصلابة وهي تُمسِك بيده، وتقوده إلى مكان لا يعلم عنه شيئًا، وفي الأخير انفتح المكان على قاعة كبيرة قديمة الطراز، كانت مضاءةً ببعض الفوانيس الموضوعة في الزوايا العالية، شقّت العجوز وهي تجر خلفها القصَّاب الذاهل، شقت طريقَها وسط جمهرة من الناس كانوا يجلسون على كراسيّهم في القاعة وكأنهم ينتظرون شيئًا ما، وساد لغطٌ وضجيج لدى وصولهما، قبل أن يرفع أحد الأشخاص، وكان يجلس على كرسي مميّز وسط القاعة، يرفع يدَه آمرًا الجميع بأن يلتزموا الصمت ويركنوا إلى السكينة، وفي هذه اللحظة وصلت العجوز وأوقفت القصَّاب في مكان أُعد خصيصًا بإزاء متصدّر الجلسة، وذهبت إلى حال سبيلها، نظر القصَّاب حواليه، فرأى امرأةً ممددة على مقربة منه، ملفوفة بعباءتها، وهي تئنُّ من الألم، وللحال سأل متصدرُ الجلسة القصَّاب: هل لك أن تُخبرنا عن السبب الذي دعاك أن تضرب هذه المرأة المسكينة وتفقأ عينها ؟

فكَّر القصَّابُ مليًا، وفرك عينيه، ليتأكد من أنه لم يكن يحلم، وأجاب: متى ياسيدي ضربتُ هذه المرأة ؟.. قال المتصدر: اليوم!.

تذكر القصَّاب مجريات يومه، منذ ساعات الصباح الباكر، وحتى لحظة إغلاقه لدكانه وذهابه إلى بيته وأجاب بثقة: أنا لم أضرب اليوم أو البارحة أو في أي يوم آخر أيّ أحد... قال متصدر الجلسة: بلى، إنك ضربت هذه المرأة التي تراها ممددة أمامك، ولدينا العديد من الشهود في هذه القاعة ممن يشهدون على أنك ارتكبت هذا الجرم.

فكّر القصَّاب، وتوصل إلى أن ثمة محاكمة أصولية تُجرى له الآن من قبل هؤلاء الأشخاص الغرباء الذين لا يعلم من أين أتوا، فكَّر مع نفسه، وأعاد التفكير، وأخيرًا قال:

- أستطيع التأكيد لك يا سيدي أني لم أضرب أحدًا هذا اليوم قط، لم أضرب سوى قطةٍ سرقت من دكاني قطعة لحم!.

- هذا هو بالضبط ما نقصده، فهذه المرأة التي تراها ممددةً أمامك تئنّ وتتألم هي في حقيقة الأمر القطة التي ضربتها وفقأت عينها من أجل قطعة لحم، وبناءً على ذلك قررنا جلبك إلى هنا وإجراء محاكمتك على هذا الجرم.

فكر القصَّاب مع نفسه، وأدرك انه يقف بإزاء عالم الجن والعفاريت، إلاّ أنه تمالك نفسه وقرَّر أن يدفع التهمة عنه، وقال: سيدي القاضي، تعرف جميع القطط وكذلك الكلاب في مدينتنا، وكذلك من يحتاج

المساعدة من بني الإنسان، بأني لا أبخل بتقديم المساعدة إليهم ما دمتُ قادرًا عليها، وإلا لما احتشد أمام باب دكاني كل يوم هذا العدد الكبير من الحيوانات، ولما قادتني قدماي إلى هذا المكان !

هنا سأل القاضي الحاضرين: هل هناك من يشهد له في دعواه هذه ؟ أجاب عددٌ منهم: نعم أيها القاضي، كان يفعل ذلك، وكان رحيمًا بنا.

وفي هذه اللحظة تململت المرأة الملفوفة بعباءتها، وجلست، فرأى القصَّاب رأسها ملفوفًا بقطعة ضماد تغطي إحدى عينيها، قالت المرأة مخاطبة القصَّاب: إنك لم تكن اليوم رحيمًا معي مثلما تزعم، فلقد أعطيتَ الجميع، وبقيت أنظر إليك، إلاّ أنك لم تعبأ بي ونسيتني تمامًا، فلم أتمالك نفسي أن آخذ حقي منك ولو عنوةً، لا سيما وأن لديّ أمًّا مريضة وقططًا صغارًا ينتظرون قدومي لأجلب لهم ما يَقيم أودهم.

قال قاضي الجن: كان عليك يا سيدي أن تعبأ بالآخرين، مهما قلّ وصغُر شأنُهم... ثم أخذ يتداول مع القضاة الآخرين الجالسين من حوله، بشأن الحكم الواجب اتخاذه بحق القصَّاب، هل هو أن يتم فقأُ إحدى عينيه استنادًا إلى الحد الشرعي "العينُ بالعين والسنّ بالسن" أم أن يأخذوا في الاعتبار كلّ ملابسات القضية، وشهادة الشهود..

وأخيرًا قرروا بالإجماع أن يكسروا له يده، حتى تكون هذه العقوبةُ درسًا له وللآخرين، في أن يأبهوا جيّدًا مرةً أخرى بمن حولهم، ولا سيما الكائنات الصغيرة التي لا تقوى بمفردها على تحصيل رزقها.

أسطة عبد الله

كان هناك في قديم الزمان، ملكٌ يعيش في مملكته منغمسًا باللهو والمسرات والملذات، غير عابئ بشؤون رعيته، وفي أحد الأيام قرَّر هذا الملكُ أن يبني قصرًا لم يرَ أحدٌ مثيلاً له، فجلب المهندسين والأسطوات... وأخيرًا وافق الملك على إحدى الخرائط، وقرَّر المباشرة من فوره بالبناء.

وبعد مرور أيام عديدة، وفيما هيكل القص قد استقام انتاب الملك شعورٌ بأن قصره الذي انفق على بنائه أموالاً كثيرة ليس على ما يرام، وأنه لم يكن وفق ما تمَّ التخطيط له، فلم يرضَ عن العمل، وقام بقتل أسطة البناء الذي كان يعمل لديه، وقتل كذلك الأسطة الثاني والثالث، ثم توقف العمل، وبقي البناءُ ناقصًا.

وفي إحدى مدن المملكة، كان هناك بَنَّاءٌ ماهر اسمه (عبدالله)، وكانت زوجته أجمل نساء المدينة على الإطلاق، وما إن سمع عبد الله بقصر الملك الذي لم يكتمل، حتى جمع أدواته وخرج متوجهًا إلى

مدينة السلطان، فأخبر حاشية الملك بعمله وما يجيده، فأخذه هؤلاء إلى مجلس الملك، وكان أول سؤال وجهه إليه الملك:

- ما هو اسمك يا أسطة ؟

- اسمي عبد الله يا مولاي.

فسأله الملك:

- أسطة عبد الله، أترى القصر الذي هناك، أتستطيع أن تكمله لي ؟

فأجاب عبد الله:

- أطال الله عمرك أيها الملك، سأُكمل لك القصر، ولكن بشرطين !..

قال الملك:

- ما هما؟؟

قال عبد الله:

- أن تجهزني بالبنائين والمواد التي أحتاج إليها، والشرط الثاني أن تتعهد لي بأنك لا ترى القصر قبل اكتماله

فوافق الملك، وأرسل البنائين والمواد إلى أسطة عبد الله.

فقال عبد الله للعمال: عليكم أن تسمعوا وتطيعوا ما أقول.

وما إن بدأ عبد الله العمل وبعد انقضاء يومين لا غير حتى رأى الملك مقبلاً ليلقي نظرة على القصر، فقال عبد الله لعماله: عليكم أن تستمروا بالعمل ولكن لا تنطقوا بكلمة واحدة، بل ناولوني الجص والطابوق... وجاء الملك بصحبة وزيره وأمين خزائنه ورجال بلاطه، ثم وقف أمام

القصر وقال للأسطة: الله يساعدك !... وألقى له بكيس مليء بالذهب، فتناول عبد الله الكيس ووضعه على الحائط وبنى فوقه واستمر بالبناء، ولم يلتفت إلى الملك ولا إلى تساؤله، بل كان يلتفت إلى عماله ويقول لهذا: أعطني قليلاً من الجص، ويقول لذاك: هات طابوقة، أو يقول: هاتوا مزيدًا من الجص.

نظر الوزير إلى الملك، ونظر الملك إلى الوزير، وكان الوزير قد سمع أن زوجة أسطة عبد الله فائقة الحسن والجمال، فهمس الوزير الماكر بأذن الملك: أنا متأكد يا مولاي بأن خلف براعة هذا الأسطة تقف امرأة بارعة الجمال!... فهمس الملك في أذن الوزير: عليك أن تتأكد من ذلك بصورة شخصية.

فالتفت الوزير إلى عبد الله وسأله: أين يقع بيتك في تلك المدينة ؟

فقال عبد الله: بيتي يعرفه الجميع.

فقرر الوزير أن يذهب إلى بيته ليرى رأي العين فيما إذا كانت زوجة عبد الله جميلة كما وصفوها، لكي يُخبر الملك بذلك، وخرج في رحلته متوجهًا إلى تلك المدينة، وعند الغروب دخل الوزير المدينة وسأل أول من رآه، وكان امرأة عجوزًا: أين بيت أسطة عبد الله يا أمي ؟.. فأجابت العجوز، وهي تشير إلى بيت أبيض جميل: إنه هناك يا ولدي.

وكانت زوجة عبد الله واقفة عند الشباك، ورأت الوزير راكبًا حصانًا ويتوجه إلى باب بيتها... فخرجت إليه، ودعته أن يدخل، ثم أخذت

حصانه إلى الإسطبل، ولما عادت طلبت من الوزير أن يصعد السلم إلى غرفة الضيوف... وما إن وصل الوزير إلى الدرجة الخامسة على السلم، حتى انفتحت تحت قدمه وسقط إلى الأسفل، ووجد نفسه في سرداب، وسرعان ما انفتح باب السرداب وخرجت منه هراوتان غليظتان وهما تهتفان به: والآن أيها الوزير، أخبرنا عن العمل الذي أنت بارعٌ فيه.. وطرحتاه أرضًا، وصارتا تنهالان عليه بقوة، فتوسل الوزير: لا تقتلوني ! لاتقتلوني ! فأنا أستطيع أن أصنع طاقياتٍ للرأس!.

وظلَّ الملك وأمين خزائنه ينتظران أيامًا كثيرة عودة الوزير، ولمَّا لم يعد، التفت الملك إلى أمين خزائنه، وقال له: لا بد أنه أُغرم بزوجة عبد الله، فعليك أن تذهب وتجلبه.

اشترى أمين الخزائن كثيرًا من الأقمشة الحريرية والصوفية باهظة الثمن، كما اشترى حليًا وجواهرًا، وركب حصانه وأنطلق به، ولم يعلم أحد فيما إذا سار كثيرًا أو قليلاً، ولكنه وصل أخيرًا إلى مدينة عبد الله، والتقى العجوز نفسها وسألها أن تدله على بيت أسطة عبد الله، فوجده من دون عناء.

فخرجت زوجة عبد الله هذه المرة أيضًا لتحيي الضيف الكبير، وقادته إلى السلم، وطلبت إليه أن يصعد إلى غرفة الضيوف، ريثما تتهيأ، ولما وصل هذا إلى الدرجة الخامسة سقط إلى الأسفل، ووجد نفسه في السرداب، ولما نظر حوله رأى الوزير منهمكًا في عمله بصنع طاقيات

للرأس، وحوله سلال فيها فراء وإبر وخيوط، وفي هذه اللحظة انقضّت هراوتان على أمين الخزائن، وراحتا تضربانه وتقولان له: ماذا تجيد من عمل أيها الخازن ؟... فصاح الخازن: ارحموني ! لا تقتلوني؛ فأنا اسكافي ! أستطيع أن أصنع أفضل الأحذية !.

وانتظر الملك عودة وزيره وأمين خزائنه، فيئس وقرَّر أن يلحق بهما إلى تلك المدينة وكانت العجوز نفسها أول من رأى، فسألها: أين بيت أسطة عبد الله ؟ فدلته عليه.

وكانت زوجة عبد الله تراقب الملك، حتى إذا شاهدته يتجه إلى باب المنزل، نزلت مسرعة للترحيب به، وأخذت حصانه إلى الإسطبل، ثم أشارت إلى السلم، وطلبت إليه أن يصعد إلى غرفة الضيوف، فبقي الملك مبهوراً بجمالها، وأسرع في الصعود إلى غرفة الضيوف، وعلى الدرجة الخامسة سقط في السرداب، ورأى وزيره منهمكًا بصنع الطاقيات وأمين خزائنه بصنع الأحذية، فسألهما: ما هذا !.. فهمس الاثنان: صه ! لا تفهْ بكلمة، لقد أصابتنا مصيبة، وللحال انفتح باب وانقضت عليه الهراوتان وأخذتا تضربانه على ظهره دونما رحمة وتقولان له؛ وأنتَ يا هذا ماذا تجيد من صنعة ؟... فقال بسرعة: قبل ان أصير ملكًا كنت أعمل ندّافًا !.. وفي مثل لمح البصر، ظهر صوف وقطن ومضرَب وكل ما يحتاج إليه الندّاف في عمله... وبدأ الملك كصاحبيه الوزير وأمين الخزائن بالعمل.

وعندما أكمل عبد الله بناء القصر، عاد إلى بيته في مدينته، ولما دخل الدار سأل زوجته: ماذا صنعتِ يا زوجتي العزيزة عندما كنتُ أعمل بعيدًا عنكِ ؟ فقالت له: انزل إلى السرداب وسوف ترى !.

ونزل عبد الله إلى السرداب ورأى الوزير يصنع طاقياتٍ للرؤوس وأمين الخزائن يصنع أحذيةً والملك نفسُه يندف الصوف.

فقال عبد الله: حسنًا أيها الملك، لقد أكملتُ لك قصرَك، ولكني أرفض أن أخذ أجري منك، ومكافأتي هي أني جعلتك تعمل كالآخرين، والآن أُطلق سراحَك لتخرج وتحاول أن تكون نافعًا لرعيتك.

يقول راوي الحكاية عندما وصل إلى هذا الحد....

وسقطت ثلاث تفاحاتٍ من السماء: واحدةٌ لي، والأخرى لي، والثالثة لمن حكى الحكاية، أي أنه جعلها كلها له...

ولكننا نقول: واحدة لكم، وواحدةٌ له، وواحدةٌ لنا.

حصان كاكا علي

يُحكى أن أحد سكنة الجبال كان اسمه علي وكان الجميع ينادونه بـ(كاكا علي)، وكان يملك جوادًا رائعًا، جعل جميع فتيان القرية ورجالها يحسدونه عليه عندما يأخذه إلى النهر أو المرعى، وقد فاز هذا الحصان في جميع السباقات التي كان يُدعى إليها فرسان المدن المجاورة، وخلاصة الأمر أن الحصان خلب لُبَّ الجميع، حتى أنهم كانوا لايملون من الحديث في ليالي أنسهم وسمرهم، من دون أن يأتوا على ذكر صاحبه، حتى أن الأعمى كان يقول: (انظروا إلى قوامه الرشيق وعيونه التي يتقادح منها الشرر).

وعندما يسأل أهلُ القرية هذا الأعمى؛ ولكنك أعمى، فكيف رأيته ؟!
كان يُجيبهم: وهل يحتاج المرء إلى عينين ليعرف بأن الحصان جميل ؟

كان كاكا علي وحده قد عثر على الحصان البري في وادي الذئاب، وأنقذه منها بأعجوبة، ثم أخذ يدجّنه ويهتم به إلى أن أصبح على هذه الروعة والجمال..

وقد سولت نفوس بعض شبان القرية أن يسرقوا الحصان، ولكن كاكا علي كان لهم بالمرصاد، حيث أنه لم يكن يتركه حتى في الليل، فكان يقضي شطره الأكبر في حراسته بدل أن يكون مع زوجته الفاتنة...

وأخيرًا، نجح أحد السُرّاق من إحدى القرى البعيدة في سرقة الحصان ليلاً عندما ذهب كاكا علي لبعض شأنه، عندما سمع كاكا علي وقع حوافر الحصان التي يعرفها جيدًا وهي تبتعد، أدرك ما حدث فأسرع وأيقظ جاره وأخذ حصانه ولحق بالسارق، ولم يكن يتصور بأن في مقدوره اللحاق بحصانه السريع على جواد جاره، ولكنه ارتبك عندما وجد نفسه يسير بمحاذاة السارق، فصرخ به بغضب: النسر لا يصطاد الذئاب، لقد أهنت حصاني، ألا ترى أني لحقت بك بهذا الحصان ؟ أضرب ناصيته برفق ما بين الأذنين، وأربت على عنقه بلين، فأخذ السارق بنصيحته وعمل بها، فانطلق الحصان كالريح بين الحقول، أما كاكا علي، فقد كان يراقب حصانه باعتزاز وهو يبتعد عن بصره !.

حكاية (عمر باشا) *

مرَّت بغداد عبر تاريخها الطويل بسلسلة من الحروب والنكبات والمحن، التي لو مرَّت على غيرها من العواصم والمدن لما استطاعت الصمود والوقوف على قدميها ثانية، ويسجل لنا التاريخ عددًا من الوقائع والحوادث التي حصلت في خضم ذلك، من بينها أن العصابات الإجرامية و اللصوص كانوا ينشطون إبان تلك الفترات العصيبة التي يختل فيها الأمن وتضطرب الأمور، فيعيثون في الأرض فسادًا، ويجعلون الناس في خوف وقلق على حياتهم وحياة عوائلهم وثرواتهم وممتلكاتهم

في تلك الآونة، كان عدد الخيرين من الولاة العثمانيين قليلاً جدًا، وعلى قلة هؤلاء فإن فاعليتهم وتأثيرهم على المجتمع العراقي كان كبيرًا، ذلك أنهم كانوا ينتدبون أنفسهم لإقامة العدل وإشاعة الأمن، و يقطعوا دابر الجور والتعسف التي كان يقوم بها ناشطو الليل.

وفي إحدى المراحل ضجَّت العاصمة بغداد من كثرة السرقات التي طالت الدور والدكاكين وحتى بيوت الفقراء وقد وصل خبر تلك

* (حكاية عراقية واقعية من العهد العثماني)، وعمر باشا؛ هو أحد الولاة العثمانيين، وهو من المماليك، تولى الحكم ببغداد عام ١٧٦٣.

السرقات إلى الوالي العثماني المعيّن حديثًا عمر باشا الذي اشتهر عنه بأنه كان رجلاً شجاعًا صارمًا يُحب إشاعة العدل والاستقرار بين الناس. ولم يكتف هذا الوالي بوضع العسس والجندرمة في حالة تأهب دائم في العاصمة بغداد ولاسيما في الليل، وإنما قرَّر أن ينزل بنفسه ليلاً إلى الدروب والأزقة والطرقات، وهو قرَّر أن ينزل منفردًا ومتخفيًا.

وهكذا فعل، فقد استبدل ملابسه، وغيَّر من شكله، فأضحى وكأنه رجلٌ غريب يدخل المدينة لأول مرة، وفي ليلة شديدة الظلمة، خرج الوالي عمر باشا إلى الطرقات يتفقد أحوال الناس ويتطلّع إلى الجدران والأبواب والبيوت، ثم مرَّ بالأسواق ونظر إلى الخانات وبيوت المعيشة وإلى أبواب فنادقها ومرابط خيول المسافرين، وتطلع في وجوه المارة وعابري السبيل وهم ينقلون خطواتهم في خوف ووجل إلى أماكن سكناهم ينتظرون بقلق بزوغ فجر يومٍ جديد.

ومضى الوقتُ ثقيلاً، وبعد منتصف الليل وجد عمر باشا نفسه وحيدًا، من دون أن تقع عيناه على ما يريد، فيعود أدراجه إلى قصره عند حلول الفجر من دون أن يعلم به أحد... وتكرر هذا الأمر أيامًا عدة.

وفي ليلة كانت الريح الباردة العاتية تهب فيها على المدينة المتوجسة خرج عمر باشًا ليمارس هوايته المفضلة بالتلصص على أحوال الليل وخباياه، وبعد أن حلَّ منتصف الليل، وجد ثلاثة رجال يقفون عند مفترق أحد الطرق، وجدهم يتحدثون همسًا فيما بينهم، وعندما اقترب منهم

سكتوا وكفوا عن الحديث، وحينما ابتعد استأنفوا حديثهم من جديد... فرجع نحوهم وتوقف بالقرب منهم بعد أن راوده الشك في أمرهم، فسلَّم عليهم فردوا عليه السلام، ثم سألهم عن أحوالهم وما الذي يبتغونه في هذا الليل القاسي.

قال الأول: أراك يا صاحبي شجاعًا وتتدخل في أمر لايخصك ؟!

قال الثاني متبجحًا: إعلم أيها الغريب أننا لصوص، ونحن في ذلك أصحاب فن.

قال الثالث: وليكن في علمك أن فننا يتعدى الواقع، بالإضافة إلى أننا لا نخشى أحدًا !.

قال عمر باشا: لقد وقعتم على رجل يقدّر الشجعان ويريد أن يعرف ما هو فنكم ؟ لأنني أنا صاحب فن مثلكم أيضًا.

قال الأول؛ أنك إذن لصٌ مثلنا.

قال عمر باشا حدثوني عن فنكم هذا ؟

نظر الثلاثة إليه والظلام يلف المكان، والبرد القارص يهز الأجسام ويدخل في العظام.

قال الأول: أنا أتمتم شيئًا على جميع الأقفال فتنفتح، وعلى جميع المغاليق فتنكسر !.

قال الثاني: وأنا أعرف كلام الكلاب، وأستطيع حل شفرة النباح!

قال الثالث: وأنا يخترق بصري حندس الظلام فلا تفوتني شاردة ولا واردة

وبعد صمتٍ قليل، سألوه جميعًا: وأنت ؟ هلا حدثتنا عن فنّك أيها الغريب ؟

قال عمر باشا: أنا أستطيع أن أنقذ الصاعد إلى حبل المشنقة من موت مؤكد !.

ثم صمتوا جميعًا وتطلعوا إلى بعضهم، ثم قال كبيرهم: أحسنت أيها الرجل، نحن نريدك معنا وليكن عددنا أربعة !... والآن هات يدك، ولنتعاهد جميعًا، على أن نكون أوفياء لبعض.

قدَّم عمر باشا يده إليهم مؤازِرًا... ثم مروا إلى سوق قريب وهناك توزعوا المهام، اقترب أحدهم من الدكاكين المقفلة، وتكلم شيئًا أمام الأقفال، فانفتحت لوحدها، وفي تلك اللحظة مرَّ كلبٌ شريد مسرعًا، وحينما ابتعد نبح بصوتٍ عال.

توقف الثاني وقال: اسمعوا، إن هذا الكلب يقول؛ إن الوالي عمر باشا معكم هذه الليلة !.

قال الثالث؛ ياله من كلب سائب غبي، أين عمر باشا من هذه الليلة المرعبة القاسية ؟

قال الأول؛ أحسب أن الوالي يغط الآن في فراشه في نوم عميق.

ردَّ عمر باشا قائلاً: يظهر أن لدي شبهًا كبيرًا بالوالي.

ثم ضحك مستخفًا بالأمر؛ وقال: ليت عيناي تقعان على هذا الوالي الذي يتحدث الجميع عن بأسه وشجاعته !.

حمل الأربعة ما سرقوه من أموال، وتوجهوا إلى بيت منعزل يقع في منطقة مهجورة واختفوا هناك.

نال الغريبُ حصته من المال، وأخبرهم بأنه سيذهب إلى أحد الخانات لينام، وطلب إليهم أن يجتمعوا ليلاً في ذات المكان الذي التقوا فيه في الليلة الماضية.

وقبل أن يحل الصباح وجد اللصوص الثلاثة بيتهم محاطًا بالحرس والجندرمة، وتم إلقاء القبض عليهم بسهولة.

وبعد أيام من سجنهم جيء بهم لمقابلة الوالي، بعد أن نصب الجنود لهم مشنقة في إحدى ساحات المدينة، وبعد أن نودي على الناس من أجل أن يأمنوا على أموالهم، وأن عليهم مشاهدة العقاب وهو يقع على من روّع الأمن في داخل المدينة المدورة.

صعد الثلاثة السلالم المؤدية إلى المشنقة، فحانت منهم التفاتة إلى الأرض، فرأوا الوالي عمر باشا يجلس على كرسيه وهو يتطلع إليهم. قال الثالث وهو يراه: أليس هذا هو اللص الذي سرق معنا في تلك الليلة ؟

قال الثاني: إذن لقد صدق الكلب ولم يكذب.

قال الأول: أعتقد أن عليه أن يفي بوعده، ويُرينا فنَّه كما أريناه فننا !.

اقترب الجميع من خشب المشنقة، وفي هذه اللحظة قام عمر باشا، ثم أشار إليهم بأن يقتربوا وأمر الحراس بأن يُحضروهم إليه، قال لهم الوالي: لقد عفوت عنكم... قالوا: الآن نراك صادقًا وأنك قد التزمت بشروط فنك... قال لهم: حرام أن تذهب مواهبكم في الفعل الحرام... فسقطوا على يديه يقبلونهما، وقالوا له: هذا وعدٌ وعهدٌ بأننا لن نسرق ثانية وسنكون عند عهدنا مسؤولين أمامك.. قال عمر باشا لهم: إن ثقتي بكم لا حدود لها، والآن عليكم أن تكونوا نافعين لمجتمعكم.

وعيَّنهم ضمن حرسه الخاص.

بـابـا دُنْبَـحْ*

كان ياما كان في قديم الزمان، كانت هناك امرأة عجوز تعيش مع أختها الصبية الجميلة العذراء ذات السبعة عشر ربيعًا، وكانت تلك العجوز تستغل كدح أختها الصغيرة وعملها أبشع استغلال، حيث تجلب لها في كل يوم صوفًا خامًا وتجبرها على غسله وتمشيطه وغزله، ثم تأخذ العجوز تلك اللفائف المغزولة إلى السوق وتبيعها، وكانت تختلس القسم الأكبر من ثمنها وتكتنزه دون علم أختها حتى تجمعت عندها بمرور الأيام والسنين ثروة كبيرة، ومع ذلك فإنها كانت تبتاع وجبة أخرى من الصوف كي تزيد من دخلها ومدخراتها، وكانت تشتري أيضًا ما تسد به رمقهما من الطعام الرديء وما يستر جسديهما من الملابس والثياب الرخيصة الثمن، بينما كانت الصبية الحلوة تجهد نفسها بالعمل المضني، حتى كادت زهرة شبابها أن تذبل.

مرضت العجوز في أحد الأيام مرضًا شديدًا وأشرفت على الموت، فأثار ذلك هلع أختها وقلقها، وظلت حائرة لا تعرف ماذا تفعل لتدبير

* بابا دُنبَحْ : أحد أسماء الطنطل.

شؤونهما، خاصة وأن النقود التي في يدها قاربت على النفاد، ولمَّا كلَّمت أختها بضرورة الاعتناء بها كشراء الدواء والطعام الجيد المغذي، زجرتها هذه بشدة واتهمتها بالإسراف غير المبرر، وأنكرت في ذات الوقت أنها تمتلك أي مبلغ من المال.

فكرَّت الصبية في حلٍّ لأزمتيهما، فاهتدت إلى أن تأخذ أحد القدور النحاسية وتبيعه في السوق لتوفير النقود المطلوبة.

وما أن حلَّ الفجر، حتى صحت الصبية من نومها وغادرت البيت وهي تحمل القدْرَ النحاسيّ تحت عباءتها البالية، لتذهب به إلى السوق، أما العجوز فكانت تغطُّ في نومٍ عميق.

وفي أثناء ذهابها إلى السوق شاهدت الصبية في طريقها عملاقًا ضخم الجثة إلى حدٍ كبيرٍ، كان رأسه يقترب من سقف السوق، وجسدُه يسد الطريق، كان عاريًا يكسو رأسه شعرٌ كثيف كالغوريلا بوجه بشع وجبهة تتوسطها عينٌ واحدة وأنفه يُشبه أنف الخنزير، أما فمُهُ فبارزٌ إلى الأمام وتظهر على جانبيه أسنانٌ طويلة حادّة كأسنان ذئبٍ متوحش، كان يضع على رأسه عمامة عبارة عن كرشة بعير لم تُنظّف، يخترقها قرنان يُشبهان قرنا ثورٍ كبير، ويشد على بطنه "مصرانًا" يقطر فضلات حيوان ذبيح للتو، فلما رأته الصبيةُ الجميلة خافت وارتعدت وكادت تسقط على الأرض مغشيًا عليها من الرعب..

زمجر العملاقُ المخيف بصوته:

- منْ أنتِ أيتها الصبية؟ وإلى أين أنتِ ذاهبة في هذا الوقت المبكر؟

اضطربت الفتاة وخافت أن تجيبه، ولكنها سرعان ما استعادت رباطة جأشها وقالت له:

- أنا من الناس الطيبين الصالحين، وأنا ذاهبة إلى السوق لأبيع هذا القدْرَ وأشتري بثمنه صوفًا فأغزله وأبيعه وأشتري بثمنه قوتًا حلالاً لي ولأختي العجوز المريضة.

تعجَّب العملاق من جرأتها وشجاعتها وسألها:

- أتعرفينني ؟

- إن لم يخب ظني فأنت الذي يُسمَّى "بابا دُنْبَحْ".

- وماذا أضع على رأسي ؟

رفعت الفتاة رأسها إلى أعلى فرأت كرشَة البعير تعلو رأسه وكانت رائحتها تزكم الأنوف، فردَّت عليه بوضوح:

- أنت تضع على رأسك كرشة بعير وسخة.

سألها:

- وبماذا أتحزّم ؟

قالت وهي تمط شفتيها تقززًا:

- أنت تتحزّم بمصران ثور قذر، وما يزال يقطر نجاسات.

غمغم العملاق بصوت غير مفهوم، ثم قال:

- لله درّكِ من فتاة جميلة وجريئة !.

- وواصل سؤالها: وماذا أضع على كتفي ؟
- قالت بعدم اكتراث: جلد خنزير نتن !

ازداد إعجابُ العملاق بالفتاة، وطلب منها أن تتبعه، فسارت خلفه وهي مرتعبة لا تدري إلى أين يقودها هذا المارد، لكنها أدركت أن لا فائدة من المقاومة، لذا قرَّرت أن تموت دون أن تتخاذل، وتبعته من دون أن تنبس ببنت شفة، وأخيرًا وصلا إلى قصر منيف يقع في خلاء بعيد عن المدينة، فتح العملاق الباب ودخل، وأشار إليها أن تدخل، سار العملاق وفتح باب أحد دهاليز القصر وأمرها أن تلجه.

حينذاك، أيقنت أنه يريد بها شرًّا، ولما فكّرت في الهرب أدركت أن لا جدوى من ذلك، لكنها مع ذلك تقدمت بخطى ثابتة وشجاعة وهي تأمل أن تجد وسيلة ما للتخلص من ورطتها، خاصة وأنها كانت تعتمد على عقلها وإرادتها، ومتى ما اجتمع العقلُ والإرادة فلا يُقهران.

تقدمت أكثر فأكثر، حتى صارت تقف على عتبة الغرفة، فهالها ما رأت، كانت تلك الغرفة مملوءة بالذهب والجواهر، تتدلّى من سقفها ثريّاتٌ من الماس تشع نورًا، كانت الغرفة تبدو ملتهبة بالنيران بسبب شدة تلألؤ تلك الأحجار واليواقيت والجواهر.. انبهرت مما شاهدته، لكنها أظهرت عدم اكتراث مما رأت كي لا يطمع العملاق بشرفها لقاء حفنة من هذه الجواهر.

عرف هو ما تضمر في نفسها، وأُعجب بسمو أخلاقها وإبائها، فضحك ضحكةً مجلجلة اهتزّت لها أركان القصر وزواياه.. قال لها: أملأي قِدْركِ هذا مما ترين، واذهبي لحال سبيلك، واعلمي إن هذا هو جزاءُ إخلاصك بعملك وشجاعتك.

تناولت الفتاة كمية من الجواهر والذب ووضعتها في قِدرها، شاكرةً للعملاق صنيعه وكرمه.

عادت الصبية فرحةً بما كسبت، وأخبرت أختها بما جرى لها، فتعجبت أختها العجوز من ذلك، وتحركت في نفسها نوازع الطمع والجشع، حتى أنها تغلبت على مرضها، واشتد حقدُها على أختها وعصفت بها دواعي الغيرة والحسد، وقرَّرت أن تحذو حذو أختها حالما تشفى، وبالفعل غادرت الفراش ما إن أحسّت بأن صحتها تحسّنت قليلاً، وذهبت مبكرًا إلى المكان الذي وصفته لها أختها، فشاهدت العملاق وهو يسد الطريق، فبادرها بالسؤال:

– منْ أنتِ أيتها المرأة؟ وإلى أين أنتِ ذاهبة؟

أجابت بصوت واهن أرادت أن يكون رقيقًا، فكان أشبه بحشرجة تخرج من صدر محتضر:

– أنا أمتُكَ يا سيدي، ذاهبة إلى السوق لأستجدي الناس كي أعيش وأعول أختي الصغيرة الرائعة الجمال، ذات السبعة عشر ربيعًا التي تصلُح أن تكون جارية لك.

قال في نفسه: "يا لكِ من عجوز شمطاء وقحة، أتريدين أن تُصبحي نخّاسة* وأنتِ في أرذل العمر"؟!... ثم سألها:

- أتعرفينني ؟

أجابت بخبث:

- نعم أعرفك، وهل يخفى القمر ؟ أنت سيد الناس وقدوتهم.

- وماذا أضع على رأسي ؟

أجابت من غير أن ترفع عينيها إليه وكان جوابُها معدًا سلفًا:

- أنت تضع على رأسك تاجًا مرصَّعًا باللآلئ والجواهر يا سيدي، يتمنى أعظم الملوك لو يملكون مثله.

ثارت ثائرته من كذبها وتملقها السمِجْن، لكن مع هذا واصل سؤالها:

- وبماذا أتحزَّم ؟

- بحزامٍ منسوجٍ من الذهب والفضة.

- وماذا أضع على كتفي ؟

- طيلسان من حرير الصين، يسرُّ الناظرين!.

همهم يشتمها في سرِّه، قائلاً: "قاتلك الله من امرأة سيئة مداهنة كذابة"... ثم قال لها: اتبعيني !

فتبعته مشرقة الوجه فرحة، تُمنّي نفسَها بثروة تفوق ثروة أختها.

* النخُاس : هو من يقوم ببيع العبيد والإماء في السوق في العهود القديمة.

فلما وصلا إلى القصر دخل إليه العملاق، فأسرعت هي الأخرى بالدخول من دون أن يأذن لها أو يدعوها، فسألها:

- أتحملين شيئًا ما ؟كي تأخذي جائزتك.

- قالت: نعم.

وأخرجت من تحت أثوابها كيسين كبيرين، فلما رأى العملاق ذلك ازداد حقدُه على طمع هذه العجوز الفنية وخِسّتِها، وقال لها: إن الكيسين لا يكفيان لما ينوي أن يُعطيها، ونصحها أن تأخذ صندوقين كبيرين أشار إليهما وأمرها أن تأخذهما وتذهب.

فكرَّت العجوز في نفسها؛ إنها غنمت أكثر بكثير من أختها وهي تحمل الصندوقين الثقيلين على ظهرها، ولمَّا همَّت بالخروج أوصاها العملاق أن لا تفتح الصندوقين إلا في غرفتها الخاصة، بعد أن تُحكم غلق الباب، مؤكدًا عليها أن تكون لوحدها لحظة فتح الصندوقين...

خرجت العجوز وهي تجرجر نفسها حاملة على ظهرها كنزها مستعجلة العودة إلى بيتها، لتفتحا وترى الغنيمة، وحالما وصلت نفذت وصية العملاق بحذافيرها، ولما فتحتهما، فإذا بهما مملوءان عقاربًا وحيّاتٍ دبّت نحوها وأشبعتها لدغًا ولسْعًا.. حتى لفظت أنفاسها وماتت ضحيةً لطمعها وجشعها وأنانيتها وحسدها.

المسافر

أراد رجلٌ فقيرٌ أعزبٌ أن يسافر إلى مدينة بعيدة يطلب فيها الرزق بعد أن عجز في مدينته عن طلبه، فاخبر أهله برغبته وهيّأ عُدَّة السفر، وفي صباح اليوم التالي كانت الصحراء تحتضن رجلاً على دابة أنهكها السير الحثيث وثقل المتاع، حتى إذا سار مسافة أخرى خرج له من بعض المنعطفات رجلٌ تبدو على سيمائه علائم الهزء والسخرية، فسلّم على المسافر وقال له:

- أين تمضي؟، والزاد قليل، والحِمْلُ ثقيل، والطريق بعيدة..

فأجاب صاحبُنا:

- إلى حيث أجد ما خبَّأه لي القَدر من تعاسة أو سعادة..

قال الغريب:

- ثمة حكمتان عندي لك أيها المسافر، هل تشتريهما بثلاثة دراهم ؟

فلم يُحِرْ صاحبُنا جوابًا، وسرعان ما بدت على ملامحه علامات اليأس والإحساس بالشؤم من هذا الرفيق الثقيل، وفكّر مع نفسه؛ ماذا لو اشتريت منه الحكمتين بهذا الثمن الزهيد الذي عرضه، وبذلك

أستطيع أن أصرفه عني إلى غير رجعة وأمضي في طريق من جديد، فقال له: هات الحكمتين، وخذ الدراهم !.

وبعد أن أصبحت النقود في يد الرجل، ضحك ضحكةً بلهاء، ثم قال:

- الحكمة الأولى تقول: اسأل عن اسم رفيق السفر قبل أن ترافقه... والحكمة الثانية تقول: حتى تصل إلى هدفك بسرعة، لا تُسرِعْ في مشيك!.

فأحس المسافر بخيبة الأمل وضياع الدراهم، على الرغم من ضآلة قيمتها.. إلا أن الذي زاد في تبرمه أن الرجل الغريب اقترح عليه أن يكون رفيقًا له في رحلته فوافق صاحبُنا على مضضٍ أيضًا.

وسارا مسافةً غير بعيدة، وكان المسافر يلكز دابته فتجري بسرعة، بينما كان الغريب يمشي الهوينى وراءه، وفجأة فقدت الأحمال توازنها من شدة الجري، فسقط عن ظهر الدابة، ووجد نفسه حائرًا لا يعرف ماذا يصنع، فصاح في رفيقة الذي كان يسير خلفة بمسافة:

- أيها الرجل، أنت يا صاحبي، تعال وساعدني، فقد وقعت في ورطة...

وبعد حين وصل الغريب إليه، والضحكة تكاد تخنقه، فذكّره بالحكمتين اللتين أعطاهما له، قائلاً:

- ألم أقل لك أن تسأل عن اسم رفيقك قبل السفر، فلو عملت بذلك لناديتني باسمي، وفي الحكمة الثانية أوصيتك أن تتجنب السرعة حتى لا يحدث لك ما تكره، ويبدو أنك خسرت الحكمتين والدراهم.

ومنذ هذه اللحظة، اقتنع المسافر بضرورة الاعتناء بهذا الرفيق، ليشاركه في سفره ومتاعه،

وسار الاثنان من بلد إلى آخر ومن مدينة إلى أخرى، حتى وصلا إلى أبواب مدينة ذات أسوار عالية، وقد ازدهرت التجارة والصناعة فيها، فالأسواق عامرة بالبضائع، والبيوت مترفة، وقد علما من بعض الناس أن حكمة الأمير وعدالته وحسن تدبيره بالإضافة إلى عدد من القضاة العدول الذين لم تكن تأخذهم في الحق لومة لائم، هي ما أوصلت الأمور في مدينتهم إلى ما وصلت إليه من ازدهار وسِعَة..

وعلما أيضًا أن الناس يؤمون المسجد للصلاة، ثم يجتمعون في مجلس الأمير، الذي جعل ديوانَه ملتقى الأدباء والشعراء وكبار وجهاء البلد، بالإضافة إلى الوافدين من كل حدب وصوب.

وقبل أن يدخلا إلى السوق قال الغريب للمسافر يودِّعه:

- قد لا نلتقي ثانيةً، فأعطني ثلاثة دراهم لتأخذ حكمتين أخريين ربما تفيدانك في هذه المدينة !.

وبين الشك واليقين، والحيرة بين الرفض والقبول، وافق المسافر على هذه الصفقة الجديدة الخاسرة، وقلبه ممتلئ من الغيظ، فقال الغريب، بعد أن قبض على الدراهم الثلاثة:

- اعرف مكانك في مجلس الأمير!... لا تُجِبْ إلا عندما تُسأل !.

ثم افترق الصديقان، ليلقى كلٌ منهما ما خبَّأه القدر له... حتى إذا تعب المسافر من تجواله في الأزقة والدروب، وبعد أن حلَّ الليل؛ ربط المسافر دابته في إحدى خانات المدينة، واغتسل في ماء رائق ليُزيل عنه ما علق من غبار السفر، ثم نادى المنادي للصلاة في المسجد الجامع، كان المسافر أول الواصلين إلى المسجد، وبعد أن صلَّى، فكَّر أن يمضي إلى مجلس الأمير الذي طارت شهرته في الآفاق، لعله يجد عملاً يُنقذه ويُنقذ عائلته البعيدة من الجوع.. وفكر أنه ربما استطاع أن يبيع السكين ذات المقبض المذهب التي عثر عليها قبل عدة أعوام في أحد الحقول أن يبيعها للأمير أو لأحد مرتادي مجلسِه من الوجهاء والأثرياء، وفكر لو أن أهله معه الآن لأستوطن هذه المدينة الجميلة، ثم يبحث فيها عن العمل الذي يسد احتياجاتهم..

مرَّت كل هذه الخواطر في ذهنه وهو في طريقه إلى مجلس الأمير، حتى إذا وصل وقد أدهشه الزحام واللغط والمباريات الكلامية المتنوعة داخل المجلس، وجد مكانًا فارغًا على مقربة من كرسي الأمير، فأسرع وجلس فيه متربعًا، وسرعان ما لاحظ الدهشة وهي تعلو وجوه الجالسين وسادت لحظة صمت قصيرة وترقب، ليدخل بعدها بعض الأمراء الوافدين لزيارة الأمير والسلام عليه، فقام الحاضرون احتفاءً لاستقبالهم، فوجدها المسافر فرصة لكي يهرب من كرسيه مفسحًا المجال للأمراء، ثم لينسحب ويجلس في كرسي آخر أبعد قليلاً عن كرسي الأمير.. ثم

دخل وفدٌ آخر من القضاة الزائرين، ووجد المسافرُ نفسه منسحبًا إلى أقصى المجلس، حيث الحرَس وخدام الوالي والفقراء..

وأثناء ذلك لاحظ المسافر أن الأمير أخرج ثلاث بطيخات آتت أكلها قبل موسم قطافها، وقد جاء بها الوفد الزائر هديةً له من أمير بلادهم، فطلب سكينًا ليُقسِّم هذه الهدية على من في المجلس من الأمراء والوجهاء، وأسرع المسافرُ وأخرج سكينه المذهبة، ليُعطيَها إلى أحد حُرَّاس الأمير، فأنزعج الوالي كثيرًا من هذا التصرف الأحمق، إلاّ أنه أمسك السكين وأخذ يتفحصها بعناية، وأخيرًا سأل بصوت صارم وقد بانت على وجهه أماراتُ الغضب:

- من صاحبُ هذه السكين ؟؟

فتقدم المسافر:

- أنا يا سيدي.

- ومن أين حصلت عليها ؟

- إنها عندي منذ سبع سنوات، وقد ورثتها عن أبي.

- إنها سكينتي أيها الصعلوك.. وقد فقدتها في إحدى رحلات الصيد في الصحراء في ذلك التأريخ تمامًا.

- أبدًا والله يا سيدي.

- وسوف أعاقبك على صلفك وكذبك وتطاولك وإنكارك لقولي أيها الصعلوك.

وحين وصل النقاش إلى هذا الحد كان الأمير يغلي من الغضب، فطلب من القُضاة إلقاء التهمة على المسافر وإعدامه فوراً، وأمر أحد الحراس بوضع الأغلال في يدي المتهم، وأمر آخرين بإحضار النطع والسيف، وكان المسافر يصرخ: إني بريء، إني بريء !! أرجوكم لست محتاجًا إلى السكين.. ليأخذها الأمير هديةً مني!!.

وبينما الحاضرون في المجلس منشغلين بأمر هذا الرجل وهم في هرج ومرج، إذْ دخل الغريب صاحب الحكمة وهو يحمل بين يديه قطة يلاعبها، وهو يمشي متثاقلاً، فلم يُثِرْ حضورُه أحدًا ممن كان في المجلس، إلاّ صاحبه المسافر، الذي كان ينتظر النطق بالحكم عليه من كبير القضاة، حتى إذا وصل بالقرب منه أخذ يلاعب قطته ويقول لها بصوت سمعه المسافر:

- أيتها القطة الغبية، ألم أبِعْكِ الحكمة الرابعة؟ كيف تركتِها وراء ظهرك، تبًا لكِ فانتظري إذن حكم الموت من الأغنياء، وليزدهر الفرح قي بيوتهم وبيتُكِ خاوٍ في أقصى الأرض ينتظر الخبز والأمل... ولكن لا بأس يُمكنكِ أن تقولي إني وجدتها مغروزةً في صدر والدي القتيل في الصحراء قبل سبع سنين، ولم يتسنَّ لي أن أعرف قاتلَه، وقد حملتها معي لأعرف صاحبها قاتل أبي..

وهنا انتبه المسافر لهذه الفكرة المذهلة، التي جعلته يصرخ بصوت قوي جدًا:

- أيها القضاة، انتبهوا جيدًا، وأنتم أيها الأمراء والضيوف الأفاضل، الآن وقد تأكدتم بشكل لا يقبل الشك أن السكين تعود إلى الأمير، فأعلموا جميعًا أن الأمير هو الذي قتل أبي قبل حوالي سبع سنوات، وأن السكين هو شاهد الإثبات وكذلك اعتراف الأمير، وإني قد وجدتُ السكين مغروزة في صدره قي ذلك التاريخ، ومنذ ذلك الوقت وأنا أجوب المدن المجاورة والصحارى حاملاً السكين معي بحثًا عن قاتل أبي، لعل أحدًا من الناس يراها عندي فيزعم أنها له، فأقتص منه ثأرًا لأبي المقتول ظلمًا وغدرًا، ويا لسوء حظي أن يكون أمير هذه المدينة خصمًا لي أمام القضاء، فانطقوا بالحق، واحكموا بالعدل، فأنتم مسؤولون أمام الله وأمام ضمائركم.

فاستولت الدهشةُ والرعب على وجوه الحاضرين، الذين رفعوا أبصارهم إلى الأمير فوجدوا وجهه وهو ينتقض من الذعر والدهشة والذهول، وسمعوه وهو يردد: يا للهول.. يا للمصيبة ! إني بريءٌ مما يتهمني به هذا الرجل.

أما القضاة فلم يعطوا له أذنًا صاغية، وبعد أن تدارسوا الأمر فيما بينهم اقترحوا على الأمير أن يقبل بدفع الدية إحقاقًا للعدالة وإرضاءً للمطالب بالثأر..

وهنا أمر الأمير بفك الأغلال من يدي المسافر، وقاده وأجلسه إلى جواره، لإقناعه بأخذ مبلغ الدية المطلوبة، والذي وصل إلى أرقام

خيالية، والمسافر مُحجِمٌ عن القبول، وأخيرًا اقترح الأمير أن يزوجه ابنته الشابة لقاء خروجه من هذا المأزق.

وهكذا عاد الغريب إلى مدينته وقد غدا أميرًا يُشار إليه بالبنان.

حورية الجنة

(ربي آني أصوملك وأصليلك وأتعبدلك ليل نهار، وأريدك أن تحميني من الزلل وتبعدني عن طريق الغواية وارتكاب المنكر، وأريدك أن تهديني حورية من حوريات الجنة، مو طمعًا بيهه، لكن آني ما أكدر أتزوج امرأة من هاي الدنيا، لأن أولاً ما عندي ثقة بنسوانها، وثانيًا لأن ما عندي ولا عند والدي فلوس تمكنّي من الزواج !!).

كان هذا الدعاء هو خاتمة صلاة شاب مؤمن يقضي كل أوقاته في العبادة والتهجد، وكان ذلك الشاب العابد، يعيش في داره البسيطة مع والديه، متفرغًا لأمور الدين و العبادة، مبتعدًا عن الدنيا وما فيها وعن شبان القرية وما هم فيه من لهو الشباب ونزواته، معتمدًا في معيشته على والده الذي لم يكن يحصل إلا على القليل من الرزق الذي يكاد لا يسد احتياجات عائلته الصغيرة،

وكان الأب يرقب عن كثب تهجد ابنه وانهماكه بالعبادة المتواصلة ليل نهار، وكان ذلك مبعث فخره واعتزازه، فلم يكن يجد بأسًا في أن ينصرف ابنه كليةً إلى ما هو فيه، ولكنه، هو وزوجته لم يكونا يعلمان شيئًا عن دعاء ابنهما اليومي المتواصل منذ سنواتٍ عدة.

وفي إحدى ليالي القَدر التي تتفتح فيها أبوابُ السماء ملبيةً دعوات بعض الصالحين الذين يخصهم الله بإحدى كراماته، جلس الشابُ المؤمن بعد فراغه من صلاته الواجبة والنافلة، مرددًا دعاءه المعتاد بحرارة وقوة أكثر من السابق... ثم آوى إلى فراشه راضيًا مطمئنًا مرتاح البال والضمير وكأنه قد حصل بالفعل على ما يريد ويتمنى وعند الفجر، نهض الشاب من نومه وتوضأ وصلى صلاته، وجلس متربعا يتمتم بأدعية أخرى كثيرة.. ثم ختم أدعيته بدعائه الخاص المعتاد، وقبل أن يُكمل طلبه، سمع طرقًا بقوة على باب الدار، فلم يأبه للأمر واستمر في تلاوته الدعاء، إلا أن الطرق اشتد، فاستيقظ والداه سويةً فزعيْن من نومهما.

فتح الأبُ الباب، وإذا بضوء باهر يخترق فتحة الباب ومنتشرًا حتى ساحة الشارع المقابل،أغمض الأبُ عينيه للحظاتٍ مضطرًا، ثم فتحهما مرة أخرى، فرأى أمامه شابةً جميلة لم تقع عيناه على مثلها قط.. كانت ممشوقة القد شقراء اللون بصدر فتي مرتفع، ووجهٍ تعلوه ابتسامةٌ خجلى تسحر الألباب، قالت الفتاة: آنه طِلبة ابنك، خليني أخش، (أي أنا التي طلبها ابنك، فدعني أدخل!).

ولم يفهم الرجلُ شيئًا مما قالته هذه الفتاة، إلا أنه أوسع لها فدخلت وهو دهِشٌ منها ومن ملابسها المزركشة الجميلة، وكانت زوجته واقفة في استقبالها، بينما تسمّر الابن المؤمن في مكانه مأخوذًا... ثم جلسوا جميعًا في فناء الدار وقالت الفتاة للشاب:

- أنت دعوتَ ربك ورب العباد سنين طويلة، تطلب فيها من خالقك أن يهبك امرأةً من الجنة، والله قد استجاب اليوم لدعوتك، وقد وقع عليّ الاختيار لأن أكون زوجتك على سُنة الله ورسوله، وأنا موافقة أن تتزوجني ولكن لي شرط واحد.

- فصاح الثلاثة: قولي !.

- فقالت؛ إن كل ما أعمله في هذا البيت أو خارجه لا أريد أن يعترض عليه أو يسألني عنه أحد، وإذا تمَّ الإخلال بهذا الشرط فسوف أختفي ولن يراني بعدها أحد منكم.

وكان هذا السؤال والشرط موجه بالدرجة الأساس إلى زوجها، فوافق عليه فوراً وكذلك فعل الأب والأم.

وهكذا تزوج الشاب المؤمن من الحورية، وشهدت الأسرة أيامًا سعيدة حافلة بالخير والبركة لم يروا مثلها من قبل، وقد اعتادوا أن يُطلقوا عليها اسم "حورية".

وسعد الشاب بزوجته وعاش معها أيامًا هانئة، أذاقته فيها من لذة الدنيا والآخرة ما يعجز عنه الوصف.

وما إن كمُل العام، حتى ولدت حورية طفلاً جميلاً، فرح به والدُه وجده وجدّته كثيرًا، إلا أن حورية قالت لهم: جيبولي بستوكة جبيرة، فجاؤوا لها بالبستوكة، فأمسكت بطفلها بعد أن أرضعته وقبّلته ووضعته

في داخل البستوكة، ثم أحكمت غطاءه وطيّنته بطين خاص، ثم علّقت البستوكة بحبل في سقف غرفتها والجميع ينظرون إليها.

ولم يقل زوجها شيئًا، ولا والداه، ملتزمين على مضض بشرطها الذي اشترطته قبل زواجها.

واستأنفت العائلة سعادتها، لاسيما وأن الرزق الذي كان يحصل عليه الأب قد ازداد أضعافًا مضاعفة عن العام الذي سبقه... وما إن انقضى العام الثاني حتى حل موعد ولادتها الثانية.. ولدت حورية طفلاً آخر أجمل من الأول، وأكثر صحة وعافية، ولم يفرح أبوه وجده وجدته به سوى دقائق معدودة حتى طلبت والدته أن يُحضروا لها بستوكة أخرى، وبعد أن جلبوها وضعت طفلها فيها وأحكمت إغلاقها، ثم شدتها بحبل إلى سقف الغرفة وعلقتها إلى جوار البستوكة الأولى.

وسكت زوجها وأبواه وألم حاد يعتصر أفئدتهم وأحشاءهم، وأخذوا يُحِسون أن ثمة لعنة ما قد أنزلها الله عليهم وأنه لا مرد لقضائه وقَدره.

اختلى الابن بوالديه قائلاً لهما: إن الله هو الذي أعطاه هذه المرأة وهو أعرف بالذي تعمله، وما علينا إلا أن نتذرع بالصبر حتى نرى إلى أين سوف تصل الأمور. فوافقه أبواه على قوله.

ومضت الحياة بالأسرة رتيبة، يشوبها الفتور والوجوم مع حورية، إلا أنه فتور مؤدب خائفًا استمر لمدة شهرين.

وذات يوم سمع الجميع أصوات صراخ ونحيب، فخرجوا جميعًا، فوقعت أعينهم على جنازة تقترب من الدار، كان عدد المشيعين كبيرًا، وكان نحيب النساء يعلو بالصراخ والعويل، ولما سألوا عن الميت الذي يتم تشييعه، قيل لهم إنه امرأة شابة ماتت وهي تلد ولم يمضِ على زواجها سوى تسعة أشهر.

أسِف الشاب المؤمن ووالداه لذلك أسفًا شديدًا، وحاولوا الالتحاق بالمشيعين والمشيعات، واستغربوا أن يروا حورية وهي تدخل في منتصف حشود المشيعين وهي تُطلق الزغاريد العالية المبتهجة رافعةً رأسَها إلى السماء.

وجم الجميع متعجبين من هذا التصرف الغريب الذي ينم عن صلف واستهانة بمشاعر الآخرين، إلا أن حورية استمرت في إطلاق هلاهلها وزغرداتها،

صاح واحدٌ من الحشد: سكتوا هاي المخبلة، وفعلاً قاموا بجرها من الشارع، وصاح الشاب المؤمن زوجها: إنتوا ما تستحون، وطلب منهم أن يدعوا حورية، وأمسك هو بها وبمعونة والديه استطاعوا جرها إلى داخل دارهم، معتذرين من الناس بأن المرأة مجنونة فعلاً.

واستمر موكب التشييع في مسيرته وعلامات الاستنكار والتعجب تعلوا وجوه الجميع من هذا التصرف غير المتوقع.

جلس الشاب المؤمن ووالداه وزوجته والألم والحيرة تأخذ منهم كل مأخذ، قال الشاب لزوجته:

- أنا أعتقد أن ما حدث اليوم في الجنازة لنا الحق في التكلم فيه، هؤلاء أولادي الذين أقفلتِ عليهم هذه البساتيك وأراهم كل يوم معلقين فيها قد سكتُّ عنهم، لأن هذه القضية قد اتفقنا عليها منذ البداية ولابد أن الله تعالى لديه علمٌ بها وهو الذي قدَّرها عليَّ، ولكن هذه الهلاهل في هذا اليوم خلال الجنازة جعلت الناس تحتقرنا وتغض من شأننا، فأما أن تُعلمينا ما هي القصة وإلا فسوف أقتلك ولا أبالي حتى وإن دخلتُ النار.

ضحكت حورية، ثم قالت:

- أول شي، أنته ما تكدر تسويلي أي شي لأن آني مو من البشر، وثاني شي آني راح أسولفلك كل شي حتى ترتاح ويرتاح أبوك وأمك.

- فقال الثلاثة: هيا تكلمي !.

قالت حورية: نزلوا البستوكة الأولانية. فأنزلها الشاب، ففتحت حورية غطاءها قائلة: والآن انظروا ما فيها. فنظروا فلم يجدوا شيئًا إلا ماءً زلالاً صافيًا، وقبل أن يسألوا عن أي شيء، قالت لهم: انظروا إنه الولد الذي حبلت به وأنجبته، وأنا أريد أن أخبركم بأني أعلم بعلم الغيب، أنه إذا صار هذا الولد عمره عشر سنين فأنه سوف يغرق بالشط القريب، فأنا أردت أن أجنبكم الصياح والبكاء لفراقه، فقمت بتعليقه ها هنا وأنا أعرف مصيره الذي ترونه أمام أعينكم؛ مجرد ماء !.

ثم قالت لهم: والآن أنزلوا البستوكة الثانية. فأنزلها زوجها وفتحتها، فإذا ليس في داخلها إلا حفنة رماد.. فقالت لهم: وهذا هو طفلي الثاني؛ وأنا أعلم بعلم الغيب أنه إذا عاش وصار عمره أربع سنين ويأخذ يلعب وحده، فإنه سوف يأتي يوم ويدخل فيه خلسة في تنور أشعلته جدته لغرض الخبز، فيحترق ويتحول جسده الغض إلى رماد، وها هو قد استحال إلى رماد كما ترون من دون بكاء ولا لطم !.

وذُهِل الثلاثة لحديثها هذا، وصاح زوجُها: زين، وهاي الفضيحة اللي عملتيها اليوم، والي تخص ناس من أهل ولايتنه.. فقالت حورية: نحن حين سألنا عن الجنازة قالوا لنا أنها امرأة ماتت وهي في وضع ولادة ابنها البكر، ونحن، أعني كل حوريات الجنة، يعرفن أن المرأة التي تموت وهي تلد ابنها البكر فإن الله جلّت قدرته سوف يحولها إلى حورية من حوريات الجنة، لأن آلام الولادة أقوى من كل الآلام وهي تمحو الذنوب، وأنا حين رفعت رأسي إلى السماء رأيت أخواتي الحوريات يهلهلن للميتة وهن يرحبن بمقدمها إليهن، وأنا لم أفعل شيئاً سوى أن هلهلت مثلهن.

تعجب الشاب المؤمن ووالداه من هذا الحديث، وخلدوا إلى الصمت، واستأنفت حورية كلامها قائلة: هذه أجوبة أسئلتكم، وأنا الآن سوف أودعكم في أمان الله وحفظه... ثم اختفت عن أنظارهم..

لعل في ذلك خير

يُحكى أنه كان هناك لأحد الأمراء وزيرٌ صالح، وكان هذا الوزير يطفح وجهُه على الدوام بالبِشر والخير، وكان كلما غضِب الملك فإن وزيرَه يقول له: لعل في ذلك خير!.

وفي أحد الأيام قُطِع إصبعُ الملك، فجاءه الوزير وقال له مواسيًا: لعل في ذلك خير !... فغضب الملك غضبا شديدًا وقال؛ وأيُّ خير في ذلك ؟... وأمر حراسَه أن يأخذوه إلى السجن.

فابتسم الوزير وقال: لعل في ذلك خير !.

وبعد أسبوع ذهب الملك في رحلةٍ لصيد الغزلان، فأغراه الصيد وظلَّ هو وحاشيتُه يطاردون الغزلان، فخرجَ من حدود مملكته دون أن يعلم، وإذا بفرسان يُحيطون به من كل جانب، فأخذوه أسيرًا، وكان من عادة هؤلاء القوم أنهم إذا أمسكوا أحد الدخلاء في أراضيهم ذبحوه قربانًا لآلهتهم !... وفي أثناء مراسيم الذبح، فحصوا جسد الملك، فلاحظوا أنه ليس له إصبع، وكان من عادتهم أنهم لا يذبحون قُربانًا ناقصًا.. فأطلقوا سراحه مقابل فدية باهظة.

بعد أن وصل الملكُ إلى دياره، قال لحُرَّاسه: آتوني بالوزير لكي أشكره.. فجاء الوزيرُ، فشكره الملكُ وقال: لقد صدقتَ، فربما يكون في بعض ما ينوب الإنسان خير، فلا يخلُق به أن يجزع.

ثم سأل الملكُ وزيرَه: لماذا حين أمرتُ الحُرَّاس أن يأخذوك إلى السجن قلتَ؛ لعل في ذلك خير ؟

قال الوزير: ولماذا لا يكون في ذلك خير، فلو لم أكن في السجن، لكنتُ في رحلة الصيد معك، ولذبحوني من دون شك !.

حين تخور العزيمة

(حكاية عن طاق كسرى)

وبدايةً نقول إن من يشاهد إيوان كسرى في المدائن، يظنه ناقصًا، غيرَ مكتمل البناء، وفي الحقيقة فإن سبب ذلك هو عامل الزمن بحسب ما يقوله علماءُ الآثار.

ولكنّ الحكاية الشعبية لها رأيٌ آخر، حيث تقول:

عندما بدأ (كسرى) في بناء طاقه في المنطقة المسماة حاليًا "سلمان باك" فإنه انتدب لهذا العمل معماراً ماهرا، ذا قوة بدنية عظيمة، فكان يقف على الأرض ويقذف الحجارة إلى فوق، وكان يُسرع في الصعود إلى فوق فيتناولها وهي في الفضاء قبل أن تسقط، وهكذا كان يبني الـ(الساف)* فوق الساف، وكلما ارتفع البناء، كان ذلك البنّاءُ يزداد قوة على قوة.

وفي ذات يوم نظر أحد الرجال إلى ذلك المعمار، وأبدى إعجابَه بقوته وإتقانه لعمله، وأسرَّ إلى صديقه بذلك، ابتسم الصديق، وهزَّ رأسه

---

* الساف؛ مرحلة في البناء بسمك طابوقة جانبيًا.

وقال: صحيح أن قوته لا تعادلها قوة وإتقانه لا يعادله إتقان، ولكن ما رأيك في أن أجعله في غاية الضَعْف والخَوَر ؟!

نظر الصديق إلى صديقه مستغربًا، وقال: ماذا تقول ؟ لا لا أنا لا أصدق ذلك!.

قال: أتراهنني على ذلك ؟

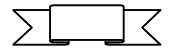
واتفق الرجلان على مبلغ من المال جعلاه رِهانًا بينهما.

وفي اليوم التالي أسرع الرجل إلى ذلك المعمار القوي وافتعل معه عِراكًا، فأخذ أحدهما يسب الآخر ويشتمه، ثم أن الرجل قال لرجل آخر حضر لفك النزاع بينهما: لو أن هذا المعمار الحاذق يعلم ما تفعله زوجته الآن أثناء انهماكه ببناء هذا الصرح ؟!

فجنّ جنون المعمار، وأخذت عزيمتُه تخور يومًا بعد يوم، وصار يتربص بزوجته ليضبطها بالجرم المشهود، وهكذا فقد قدرته وقوته السابقة...

ولهذا السبب فإن بناء طاق كسرى لم يكتمل.

حكاية الغزال



كان ما كان، كان في قديم الزمان رجلٌ وامرأة يعيشان سعيدين، وكان لهما بنت اسمها "نسمة"، وابن اسمُه "سالم"، ولكنّ صروف الزمان لم تشأ أن تتركهم يرفلون في بحبوحة من السعادة والبهجة، إذْ مات الأب، ولكنّ الأم عوضتهما عن فقدان أبيهما، فكانت تحنو عليهما كثيرًا، ولم تجعلهما يشعران بمرارة اليُتْمِ وقسوته، إلا أن القَدر استمر معهم بقسوته، فاختطف الموتُ الأم تاركًا الولد والبنت وحيدين لا عائل لهما بالإضافة إلى أنه لم يكن لهما في المدينة قريبٌ يمكن أن يحنو عليهما ويتكفلهما... فأخذت الأختُ التي أصبحت صبية أخاها الصغير وتركا المدينة، على أمل أن تجد وسيلة للعيش في مدينة أخرى.

وأخذا يمشيان ويمشيان حتى نال التعبُ والعطش من الولد الصغير، ولما بلغا ساقيةً يجري فيها الماء صافيًا ركض الصبي وأراد أن يشرب، ولكن أخته جرت خلفه وأمسكت به وقالت له: لا تشرب من هذا الماء، لأن من يشرب منه يتحوّل إلى خروف.

فسمع قولَها وأطاع نصيحتها، ولم يشرب.

واستأنفا سيرَهما، وصارت الأخت تشجّع أخاها الصغير وتُلهيه عن عطشه، وتعلله بالآمال وأنهما يوشكان أن يصلا إلى المدينة الأخرى، ولكنه انطلق يعدو نحو جدول ماءٍ تظلله الأشجار، وأوشك أن يشرب منه حين أسرعت أخته إليه وأمسكت بيده قائلةٍ له: لا تشرب من ماء هذا الجدول، لأن من يشرب منه يتحوّل إلى عجلٍ صغير !.

فأطاعها "سالم" على مضض ولم يشرب.

وواصلا سيرَهما، ولكنّ العطش والتعب أخذ من الصغير مأخذًا، وراحت أخته تشجعه وتبث في نفسه القوة على الصبر وتحمّل العطش، ولمّا بلغا نهرًا كبيرًا قالت "نسمة" لأخيها: إن من يشرب من ماء هذا النهر يتحوّل إلى غزال... ولكنّ سالمًا لم يسمع أخته وانطلق إلى النهر وراح يشرب من ماء النهر وسرعان ما تحول إلى غزال.

وراحت الأخت تبكي على أخيها الوحيد في هذه الدنيا، واقتادته معها وكان يرفع رأسَه نحو أخته، ويتطلّع إليها بعينين دامعتين، فيبكي الاثنان كما لم يبكيا من قبل.

وظلا سائرين في البرية مدة طويلة، حتى أقبل عليهما أميرٌ وجماعته وكانوا خارجين للصيد، فانتبه إلى وجودهما في هذا المكان القفر، ولما اقترب منهما وجدهما مرهقين لا يقويان على المسير، فأمر خدمه أن يقدموا إلى البنت الطعام والماء، فاستأثرت به أخاها وقدّمته إليه قائلةً له: ألم أقل لك أصبر يا أخي !؟...والدموع تنهمر من عينيها.

فبُهِت الجميع... وسألها الأمير وطلب إليها أن تُفصح وتتكلم عن سر حكايتهما، فقصّت عليه ما جرى لها ولأخيها وكيف تحوّل إلى غزال، فعرض عليها أن يصحبها إلى قصره، فوافقت، وأفرد لها الأمير غرفة ولأخيها أيضًا، ثم طلب إليها أن يتزوجها وتُصبح أميرة القصر، وكان الأمير يسمح للغزال أن يشاركهما وجبات الطعام وكانت أخته هي التي تقدم له الأكل بيديها.

ولكن كانت تعيش في ذلك القصر خادمة ساحرة لا يعرف بأمرها أحد، وكانت مغرمةً بالأمير الذي لم يكن يعلم شيئًا عن حبها له ولا عن كونها ساحرة... وسرعان ما أخذت نيران الغيرة من نسمة زوجة الأمير تحرق قلب الساحرة، فوضعت دواءً في الماء الذي تشرب منه نسمة، فمرضت مرضًا شديدًا في غيبة الأمير، الذي كان قد خرج في حملة صيدٍ دامت أكثر من أسبوعٍ، فقالت الساحرة تخاطب الأميرة : إذا ما سبحتِ في النهر فسرعان ما ستشفين من المرض الذي ألمّ بكِ !.

وصدَّقت الأميرة الطيبة كلامها، وخرجت معها إلى النهر، حيث كانت الساحرة قد هيأت صخرة ثقيلة ربطتها بحبل قوي وشدت الطرف الآخر في عنق الأميرة وألقتها إلى قاع النهر.

ولكنّ الأميرة لم تمت، بل ظلت على قيد الحياة تحت ماء النهر.

وعرف أخوها الغزال بأمرها، فقد تبعهما ولاحظ كل شيء، وصار يتردد إلى النهر ويتحدث إلى أخته، فقد كان يستطيع الكلام مع أخته فقط.

أما الساحرة، وبعد أن ألقت نسمة في النهر وربطتها بالصخرة، فإنها تنكّرت وحلَّت محلها، وصارت تتصرف وكأنها زوجة الأمير.

وفي ذات يوم قالت للأمير إنها ضاقت ذرعًا بالغزال وأنها سوف تأمر بذبحه، فدُهش الأمير لطلبها الغريب هذا وتساءل في نفسه: كيف يُمكن لأخت محبة حنون أن تذبح أخاها ؟

وساورته الشكوك، وأخذ يراقب الغزال، فلاحظ أنه كان يخرج كل يوم من القصر مرتين أو ثلاث مرات ويذهب إلى ماء النهر القريب، وكان الغزال قد أخبر أخته وقال لها إن الساحرة قرَّرت أن تذبحه، ولم يكن في يد أخته حيلة، وصار الاثنان يبكيان، وقالت الأخت لأخيها: وكيف أستطيع أن أنقذك والصخرة هذه مربوطة إلى عنقي ؟

وتبِع الأميرُ الغزال ذات يوم، ورأى زوجته "نسمة" في قاع النهر مربوطة إلى صخرة، فأخرجها وقطع الحبل، وتعانقا، وأخبرته بكل شيء.

وعادا إلى القصر وأمر الساحرة أن تختار بين شيئين: إما أن تُقتَل أو تُعيد الغزال إلى هيئته الآدمية، فاختارت الأمر الثاني.

وعاد الغزال صبيًا جميلاً وعاش سعيدًا في قصر الأمير مع أخته.

القصب الذي باح بسرِّ الملك*

قيل؛ والعهدة على الراوي: إنه كان في قديم الزمان ملكٌ يحكم مملكة كبيرة ولسبب لا يعلمه إلا الله والراسخون في العلم استيقظ هذا الملكُ ذات يومٍ فزِعًا من منامه، فوجد ان قرنين قد نبتا على جانبي رأسه طولُ الواحد حوالي إصبع، وظل الملكُ يتخبّط مثل ثور هائج ولا يعرف ماذا يفعل لحل هذه المعضلة التي ألّمت به، وأخيرًا اتخذ قرارَه بأن يسترشد إلى رأي كبير مستشاريه، عسى أن يجد لديه الحل فيُنقذه من هذه الورطة، فنصحه مستشارُهُ بضرورة إخفاء هذا الأمر حتى عن زوجاته ومحظياته، وأوصاه أن لا يرفع غطاءَ رأسِهِ إلا في حالة أن يكون منفردًا في الحمام.

وهنا قاطعه الملكُ:

– ولكن، كيف السبيل إلى حلاقة شعر راسي ؟

فأجابه مستشارُه الوفي بخبث؛

---

* يتم تداول هذه الحكاية من قبل غالبية الشعوب تقريبًا، وهي تروى بصيغ ومسميات تتماشى مع خصوصية كل مجتمع، ومما يجدر ذكره أن الملك المقصود هنا هو الإسكندر المقدوني الملقب بـ(ذي القرنين).

- الأمر بسيط يا مولاي، فما عليك إن طال شعرُ راسِك إلا أن تدعوَ حلاقًا من المملكة، شرط أن يكون هذا الاستدعاءُ سِرّيًا، فتجلسه في غرفة لا يصل إليها أحد في قصرك، فتكونا وحيدين، وبعد أن ينتهي من حلاقتك تقتله لتضمن سرية الأمر حتى يجد اللهُ لك مخرجًا من هذه الورطة.

وهنا ابتسم الملكُ، ونظر إلى ناصحه وقال؛ على بركة الله، فلنبدأ بك أولاً، كمكافأةٍ منا على نُصحك وخوفك على سيدكَ... فغرس سيفه بقلب مستشارهِ، ثم سرعان ما تمَّ تعليق جُثتهِ بتهمة إفشاء أسرار المملكة.

وبقي الملكُ على هذه الحال، كلما طال شعر رأسه يقتل حلاقًا، فتناقص عدد الحلاقين ولم يبق سوى حلاق واحد اسمه يعقوب... فطلب الملك يعقوب هذا وانفرد معه في غرفته الخاصة وقال له:

- اسمعني يا يعقوب، سوف اُطلعك على شيء كان ثمنه قبلك رقبة كل من يراه، ولكنك محظوظٌ فاستثناك القَدرُ من هذا الثمن، لكونك آخر الحلاقين في المملكة.

فقال يعقوب مستفسرًا؛

- ما هذا الأمر يا مولاي ؟

فخلع الملك غطاء رأسِه، فرأى الحلاقُ القرنين بشكل واضح، فاهتزت أوصالُهُ عند مشاهدته لهذا المنظر المفزع وأخذ يردد مع نفسه:

"سترك يا رب " !!

فربت الملكُ على كتفه مهوِّنا عليه:

- لا تخف، إذا أردت أن تحتفظ بحياتك، فما عليك سوى أن تحتفظ بهذا السر.

فأجابه الحلاقُ:

- سمعًا وطاعة يا مولاي.

فأمر الملك بتخصيص مكانٍ له في القصر لا يغادره مطلقًا، ووضع تحت إمرته حرّاسًا وخدمًا وجواري.

واستمر هذا الأمرُ زمنًا طويلاً.. ثم أن صاحبنا الحلاق بدأ يظهر على جسمه النحول والذبول، ولوحظ انتفاخُ بطنِه مثلما يحصل للحوامل عادةً... ولم يتمكن أطباء المملكة أو الممالك المجاورة من تشخيص حالته المرضية، وفي نهاية المطاف أشاروا على الملك بأن يخرج هذا الحلاّق من عزلته في القصر إلى البساتين والأنهار، لعل في هذا الأمر حلاً لعقدته النفسية... فامتثل الملكُ لنصيحة الأطباء خوفًا على حياة حلاقه الوحيد.

وخرج يعقوب إلى العراء حتى وصل إلى حافة مستنقع مزروعٍ بالقصب، وأحسَّ بشيءٍ يتحرك في أحشائه، فاستجمع قواه وتقيّأ ماءً أسود فوق القصب ثم سقط على الأرض ميتًا.

ودُفن يعقوب وانتهى الأمرُ.

وبعد مضي أكثر من سنة على هذه الحادثة، كبُر القصبُ الذي تقيّأ عليه يعقوب، فجاء أطفال وصبيةُ المملكة كعادتهم في كل موسم وقطعوا القصب وأخذوا يصنعون منه مزاميرَ لهم. فلما انتهى الصبيُّ الأولُ من صنع نايهِ بدأ يعزف عليه، وكانت المفاجأة أن خرج من الناي صوتُ الأنين، ثم ميّز في صوت الناي صوتًا آدميًا يقول: "الملك عنده گرون"* !.

وعزف الطفلُ الثاني والثالث وكذلك الآخرون، فإذا بالنغمة نفسِها التي خرجت من الناي الأول تخرج من جميع النايات متضمِّنة الجملة إيّاها والتي تقول: "الملك عنده گرون"!!

وظلَّ الأطفال يجوبون شوارِع المملكة وأزقتها ونایاتُهم تردِّد: "الملك عنده گرون" !!.

على مرأى ومسمع من الملك وحاشيته.

* گرون : أي قرون.

لولا جرادة ما مات عصفور

كان ياما كان في قديم الزمان كان هناك رجل اسمه عصفور، وزوجته اسمها جرادة، وكانا يعيشان عيشة الفقر والبؤس... كان عصفور يريد أن يحصل على عملٍ يستطيع من خلاله الحصول على المال الكثير، لينعم بحياته، كما يعيش الأغنياء، ولكنّ العمل غير موجود، وزوجته تحثه على قبول أي عمل يجده

وفي يومٍ من الأيام، اقترحت عليه أن يكتب الحُجُب والأحراز، ودار بينهما الحوار التالي:

- ولكني يا زوجتي لا أعرف كيف أفك الخط.

- لاتخف، خربش على الورقة، وأعطها للناس.

ثم أن الزوجة عملت له الدعاية اللازمة بين الناس الذين جاؤوا إلى بيتهما من كل حدبٍ وصوب، وكان المرضى يُشفون من أمراضهم بالصدفة ومن لديهم مشاكل تُحل بالصدفة أيضًا بعد أن يأخذوا الحُجُب معهم.

وحدث أن وصل صيتُه إلى الملك، فأمر بإحضاره ليُشفي له ابنته المريضة منذ زمن طويل.

خاف عصفور، وقال لزوجته:

- والله يا جرادة أنا خائف، ما هو رأيكِ، هل أرفض ؟

- لا تخفْ، خربش له مثل غيره، حتى وإن يكن ملكًا !

- لا لا يا جرادة، ممكن أن يكون لديه من يجيد فك الحرف، وعند ذاك سوف ينفضح أمرنا.

- يا رجل ! لا تخف، الله جابه، وهذه فرصتنا لنكون أغنياء !.

انصاع عصفور لمنطق زوجته وذهب إلى قصر الملك، وكتب حجاباً لابنة الملك، فشفيت البنت وأكرمه الملك وقرّبه منه وأعطاه المال الكثير.

حمد عصفور الله، الذي أنجاه من هذه الورطة، وصمم على أن لا يعود لعمل الحُجُب ثانية، وأن يترك قصر الملك ويعود إلى بيته.

ولكن في هذه الأثناء سرق لصوصٌ خزنة الملك.. وبحث الملك عن السارقين إلا أنه عجز عن إدراكهم، فأمر بإحضار عصفور وطلب منه أن يرشده إلى السارقين من خلال الحُجُب، فطلب عصفور من الملك أن يُمهِلَه أربعين يومًا ليعرفهم.

وعاد إلى زوجته مهمومًا، يفكر في كيفية الخلاص من هذه الورطة، ولام زوجته على أفكارها التي أوصلته إلى هذه الحال... احتارت جرادة في هذا الأمر، مما زاده همًّا على هم، فهي لم تُسعفه كما كانت تفعل، فأحضر أربعين حصاة ليرمي كل يوم حصاة ليعرف كم تبقى من أيامه.

ولكنّ اللصوص كانوا قد سمعوا بصيت عصفور والقدرات الخفية لديه، وخافوا أن يعرفهم، فكانوا يتلصصون ليلاً عند نافذة بيت عصفور، وفي هذه الأثناء رمى عصفور حصاته الأولى وقال: هذا أول واحد (أي أول يوم) ! فأصاب أحد اللصوص، فخافوا.. وفي اليوم الثاني، رمى حصاةً أخرى وقال: هذا الثاني! فأصاب رجلاً ثانيًا منهم.. وفي اليوم الثالث، رمى الحصاة الثالثة وقال: هذا الثالث! فأصاب ثالثًا منهم... وهم يزدادون خوفًا من معرفته لهم، وهو يزداد خوفًا من انتهاء الأربعين يومًا وافتضاح أمره.. فاتفقوا أن يُعطوه المال مقابل أن يتشفع لهم عند الملك من أجل العفو عنهم.. وبالفعل حدث ذلك، وسلّموه جميع الأموال ووعدهم خيرًا.

ذهب عصفور إلى الملك والفرحة لا تسعه، لأن العناية الإلهية تدخلت وأنقذته من هذه المشكلة.. فأعطاه الملك مالاً وقربه منه أكثر من ذي قبل، ولكن الوزير ازداد غيظُه وحسدُه لعصفور، فقرر أن يدبر له مكيدة.

وفي هذه الأثناء عاد عصفور إلى جرادة، عازمًا على قطع علاقته بالملك وترك القصر، ولكن كيف يتأتى له ذلك.

قالت له زوجته: اخرج من القصر عاريًا وأنت تصيح؛ احترق قصر الملك !

اقتنع بالفكرة وذهب إلى قصر الملك، وبعد قليل خرج وهو يصيح: احترق قصر الملك !... فأسرع الناس وحراس القصر والخدم وأطفأوا النار وأنقذوا القصر.

ففرح الملك بعصفور كثيرًا وأعطاه مكافأةً جزيلة وقرّبه أكثر.

في حين ازداد كره الوزير لعصفور، فهمس في نفسه: لابد لي من أن أتخلص من هذا المحتال الأفّاق، الذي ربما سيجعله الملك في يوم من الأيام وزيرًا بدلاً عني !.

وفي لحظة انسجام بين الملك ووزيره، قال الوزير للملك: يا مولاي إن عصفور أمي لا يقرأ ولا يكتب، وهو كاذب ومحتال، والحُجُب التي يصنعها مجرد خربشات بالقلم، وأي واحد دجال يستطيع أن يكتب مثلها، وأنت ملك ولديك عقل كبير وعلم واسع.

وأثناء الحديث طارت جرادة صغيرة بالقرب منهما فقبض الوزير عليها، وقال للملك: أحضر عصفور الآن وأطلب منه أن يعرف ماذا بيدي، وإن لم يعرف فاقتله لأنه كاذب ومحتال.. فقال الملك للوزير: وإن صدق عصفور أقتلك.. فوافق الوزير، لأنه متأكد من عدم معرفة عصفور.

وفي هذه الأثناء دخل عصفور، فسأله الملك عما موجود في يد الوزير.. نظر عصفور إلى الوزير ورآه يبتسم، فأدرك أنها الحيلة

والمكيدة والنهاية لكذبه وخداعه.. فتذكر زوجته التي دفعته إلى هذا العمل.. فقال بصوت مسموع بينه وبين نفسه وهو سارح الذهن:

- "لولا جرادة ما مات عصفور" !!

ففتح الملك يد الوزير فطارت الجرادة.. ليطير بعدها بدقائق رأسُ الوزير.

وهكذا أصبح عصفور وزيرًا للملك.

ولله في خلقه شؤون.

حكاية أفلاطون *

تقول الحكاية.....

كان أفلاطون كثير الفهم، وفي يوم من الأيام تمرضت زوجة الملك فأتي الملك بالكثير من الأطباء، إلا أن أحدًا لم يستطع شفاءها، وأخيرًا أشاروا عليه بأن يستقدم الحكيم أفلاطون وامتدحوه كثيرًا، ولما جيء به قال الملك مع نفسه: لابد لي أن أختبره قبل أن يداوي زوجتي.. فأمر بأن يُحضر قط وربطه بخيط وأخفاه خلف الستارة.

ولما حضر أفلاطون قال له الملك وأشار إلى الخيط؛ خلف هذه الستاره يوجد مريض، فنطلب منك أن تصف لنا دواءه من دون أن تراه.

أمسك أفلاطون بالخيط وفكر قليلاً ثم قال:

- إن هذا المريض دواؤه فأر !.

تعجب الملك من نباهة أفلاطون، وفي الحال أرسله إلى زوجته المريضة.

---

* نص هذه الحكاية منشور باللهجة الدارجة في أحد أعداد مجلة التراث الشعبي العراقية.

كانت زوجة الملك قبل أن يتزوجها امرأة عربية، تعيش مع الأعراب في وديان العرب، ولما فحصها قال:

- إن دواءها أن تأكل خبزًا يابسًا عتيقًا يُكسّر لها وأن تشرب معه حامضًا ولا تأكل ولا تشرب أي شيء غير ذلك لمدة أسبوع.

وفي الحال أتى لها الملك بالخبز اليابس واللبن الحامض، ولمّا أخذت تأكل واستمرت على ذلك المدة التي قررها الحكيم أفلاطون فإنها شفيت من مرضها.

والحقيقة أن أفلاطون فطن إلى أن سبب مرضها هو عيشتها الناعمة جدًا في قصر الملك وأكلها الخفيف الترف بعد أن تعودت في أهلها على الطعام الثقيل.

والعجيب أن أفلاطون هذا كان أعمى، ولكنه كان يرى بقلبه، ومن أجل ذلك فلم يكن أحد يعلم أنه أعمى سوى أحد تلاميذه،

وفي أحد الأيام قال أفلاطون لتلميذه هذا:

- " شوف، محّد من الناس يدري بيّه أعمى بس إنته وأخاف غيرك هم يعرف بيّه أعمى، ولهذا لو أنته لو آني بالوجود".

وطلب منه أن يصنع كلٌ واحد منهما سمًّا لصاحبه من أجل أن يموت أحدهما ويبقى الآخر، ولكن توقفا عند من يصنع السم لصاحبه أولاً ويعطيه لصاحبه ليتناوله..

قال التلميذ لأستاذه:

- لا، أنت أستاذي وقد علمتني واعتنيت بي، ولك الفضل عليّ، فأنت اصنع السم، فإذا عشتُ فسوف أصنع لك سمًّا.

أتى أفلاطون بمائة عقرب ووضعها في قنينة وحجب عنها الأكل والشرب، فأخذت كل واحدة منها تأكل الأخرى، وأخيرًا بقيت عقربة واحدة، وهذه العقرب بطبيعة الحال تحمل سم مائة عقرب.

نادى أفلاطون على تلميذه، ولمّا حضر هذا جعل العقرب تمشي على جسده ثم لدغته، وفي الحال سقط التلميذ.

وكان التلميذ قد أوصى زوجته وقال لها: " إذا سقطتُ فأحمليني بواسطة أخيكِ وقوما بوضعي في حوض مملوء بالحليب، وبعد أن تتركوني فيه لمدة ساعة أخرجوني منه وارموني على أحدى المزابل، وبعد ساعتين اذهبوا بي إلى حمَّام السوق".

ونفذت الزوجة وأخوها الوصية، فرموياه في حوض مملوء بالحليب، وبعد قليل شاهدا أن الحليب قد أصبح لونه أخضر وأصبح رائبًا، فأخرجوه من الحوض ورمياه على إحدى المزابل، فتكوّم عليه الذباب، يمتص السم الراشح من جسده، وبعد ذلك حملوه وذهب به أخوها إلى حمّام السوق.. وبعد قليل صحا التلميذ على نفسه وعادت إليه روحه.

أصيب أفلاطون بالصدمة والهلع، عندما سمع أن تلميذه قد عاد إلى الحياة، لا سيما وأن عليه أن يستعد لتناول السم الذي سيصنعه له هذا التلميذ... أتى بعاملين اثنين، وقال لهما:

- هذا هاون فارغ، وأن عليكما أن تدقا فيه على الخالي، ولا عليكما، فأنا أعطيكما أجركما مضاعفًا.

وأخذ الأول يدق من الصباح حتى المساء، بينما أخذ الثاني يدق من المساء حتى الصباح، وكان بيت أفلاطون يقع بالقرب من بيت تلميذه، وكان يسمع دق الهاون الذي لا ينقطع لا في الليل ولا في النهار، فقال في نفسه:" شلون سم راح يسويلي" ؟

فأخذ أفلاطون يفكر وتناوشته الوساوس، وامتنع النوم عنه، كما فقد شهيته للطعام، حتى تمرض، والدق بالهاون لم ينقطع.

وبعد ثلاثة أيام مات أفلاطون من دون سم !

ومن أجل ذلك أخذ الناس يقولون:

- " أفلاطون ما مات بالسم، مات بالواهس"، (أي كثرة الوسوسة)...

• • •

- تتضمن هذه الحكاية المتقنة بالإضافة إلى ركيزتها السايكلوجية عددًا من الثيمات والعناصر منها؛ ثيمة السم، حيث من المعروف

تاريخيًا أن سقراط أستاذ أفلاطون الحميم هو الذي أُجبر على تناول السم تنفيذًا لحكم الإعدام الذي أصدرته محكمة أثينا بحقه بتهمة إفساد عقول الشباب، وكان أفلاطون موجودًا ضمن مريدي وتلاميذ الفيلسوف الإغريقي الذين أجروا معه محاورتهم الأخيرة قبيل موته... وهناك في الحكاية "ثيمة التنافس" بين الأستاذ وتلميذه، حيث تغلّب التلميذ في نهاية الأمر على أستاذه، وتشير المعطيات التاريخية أن أرسطو تلميذ أفلاطون هو من نافس أستاذه على الزعامة الفلسفية في عصره واستطاع من ثم بما امتلك من نبوغ وقوة عقلية أن يتغلب على أستاذه... كما أن هناك ثيمة العمى، فلم يكن أيّ من أفلاطون أو سقراط أعمى، وأرى أنه ربما أضاف الخيال الشعبي ذلك مستعيرًا هذه الصفة من أبي العلاء المعري، الذي لديه حضور واضح أيضًا في المخيلة الشعبية.

حكاية الدِيو*

هناك ما هناك، يوجد سلطان له ابنة واحدة عزيزة عليه وقد أسكنها في سبع غرف واحدة داخل الأخرى لا يراها أحد ما عدا المربية التي تجلب غداءها وعشاءها.

وفي أحد الأيام قالت لأبيها: يا أبتي أشعر بأني مريضة وأريد أن أخرج من هذه الغرف وأذهب للنزهة في القصر الذي على النهر، فأرسل أبوها معها جنودًا للحفاظ عليها. وحين وصلت إلى القصر رأت سبعة مراكب مصنوعة من الذهب ربطت بعضها إلى بعض راسية، وعلى المركب الكبير ولد شاب فرأته البنت ورآها.

وفي اليوم الثاني أرسل الشاب إلى أبيها رجالاً يخطبون الفتاة، فقال أبوها: إني لا أزوجها. فأرسل إليه ثانية من يقول له: بأنه وإن كان سلطانًا فإن الشاب ابن سلطان أيضًا وأطلب أي مهر تريد فإني على استعداد لدفعه.

* الديو : نوعٌ من الجن.

فوافق والد الفتاة وتقاولوا أن يكون المهر المراكب الذهبية السبعة المربوطة في الميناء.

وبعد عدة أيام أقيم عرس الولد، وجاءوا به إلى بيتها.

وبقيت في بيت والدها أربعين يومًا، ولكن الشاب لم يقترب منها. وفي إحدى الليالي قالت له الفتاة: يا ابن الناس ما الخبر؟... فقال لها: أنا ابن سلطان وإني ولده الوحيد وأريد أن أسافر بك إلى بلد والدي وإذا وصلنا إلى هناك دخلتُ بك.

وحين أصبح الصباح ذكرت الفتاة لأمها، وذكرت أمها ذلك لأبيها، فوافق على ذلك.

خرج أبوها وأعدَّ طابورين من الجنود ومشوا مع البنت والرجل.

وفي وقت الصباح استيقظ السلطان وأراد أن يرى المراكب فلم يجدها فعرف أنع قد خُدع.

أما الشاب ففي منتصف الطريق قال للجنود: ارجعوا فإني لا أحتاج إليكم، فرجعوا. وبقي الشاب والفتاة يسيران حتى جاءا إلى مغارة في منتصف الصحراء ووضع الفتاة فيها. وكان الشاب يخرج في الصباح ويعود وقت المغرب ويجلب معه لحم إنسان ويقول لها: انهضي واطبخي كي نتعشى... وحين عرفت ذلك بقيت معه عدة أيام وقد ضاقت ذرعًا لأن الشاب كان "ديوًا". وكان حين يأتي إليها وقت المغرب

يسخر منها ويضحك عليها ويخيفها ويقول لها: ما الذي يضايقك؟ أتريدين أن أرسل إليك أباكِ كي ترينه؟ فتقول له: كما تشاء.

وكان الديو يطلع إلى باب المغارة ويحول نفسه بسِمَة أبيها ثم يدخل عليها ويقول: ها يا ابنتي؟ كيف أنتِ؟ كيف سلوك زوجكِ معكِ؟. أين ذهب بكِ وإلى أين أتى بكِ؟؟. فكانت تقول له: يا أبتي إنه رجل طيّب.

وحين سمع ذلك منها خرج إلى باب المغارة ثم حوَّل نفسه إلى صورته الأولى وعاد إليها وقال لها: هل جاء إليكِ أبوكِ؟. فقالت له: نعم. فقال لها: هل تريدين أن أرسل إليكِ أمك؟. فقالت له: كما تشاء.

وخرج الديو إلى باب المغارة وحوّل نفسه إلى أمها ودخل عليها وقالت لها أمها: ها يا بنيتي... كيف أنتِ؟ لماذا أنتِ على هذه الحال؟ كيف سلوك زوجكِ معكِ؟ فقالت لأمها: إنه طيّب... وجلست معها قليلاً ثم خرجت من باب المغارة.

وعاد الديو فحوَّل نفسه إلى صورته ودخل عليها وقال لها: هل جاءت أمكِ إليكِ؟ فقالت الفتاة: نعم.

وفي اليوم الثاني قال لها: هل تريدين أن أرسل إليكِ جدتك؟ فقالت له: كما تشاء.. وحوّل الديو نفسه إلى سمة جدتها ودخل عليها، فقالت لها جدتها: كيف أنتِ يا بنيتي؟ لماذا أنتِ على هذه الحال؟.. فأخذت البنت تبكي من الأذى وقالت لجدتها: يا جدتي لقد ظهر أن زوجي

ليس من البشر وإنما هو "ديو" من الديوات وفي كل يوم يخرج ويأتي بلحم البشر.. وحكت لها كل ما رأت منه.

وحين سمع ذلك منها حوّل نفسه أمامها إلى صورة "الديو" وقال لها: آه لقد كنت أبحث عنك والآن وقد وقعت في يدي ثم تتكلمين عني أمامي؟ فماذا سأصنع بك؟ وحين رأت ذلك أغمى عليها فشدها بالحبل وعلقها ثم أحمى السيخ وأخذ يكويها به ثم قال لها: إني مسافر لأمرٍ مهم وسوف تموتين في غيابي وحين أعود سأكلك ثم خرج وتركها.

وبعد خروجه مرَّت قافلة كانت قد أضلت الطريق من قرب المغارة فسمعوا أنين انسان واقتربوا من المغارة فوجدوا الفتاة معلقة بالحبل فأنزلوها وسألوها: من أنتِ؟. فقصّت عليهم القصة من أولها إلى آخرها. ودلكوا جسدها بالدهن والطحين، وقالت لهم: لأجل الله خذوني معكم، وأرجو أن لا تسلموني للديو إذ جاء يسألكم عني.

فأخذوها معهم ومشوا مقدار عشر ساعات فرأوا وراءهم غمامة صغيرة تناديهم: قفوا إن صيدي معكم! وبحث عنها معهم فلم يجدها فعاد، ثم ساروا فوصلوا إلى المدينة ووضعوا البنت عند إحدى العجائز، وكانت تخدم العجوز لتعيش.

وجاء الديو إلى تلك المدينة متخذًا هيئة عطار يدور بالمدينة وخرجت البنت تريد أن تشتري إبرًا فرآها وعرفها وعرفته هي أيضًا، وأراد أن يمسكها فهربت منه وظلت تهرب وتتخفى أرض ترفعها وأرض

تخفضها حتى وصلت إلى بيت أبيها.. فوجدت أن أباها قد مات وأن أمها قد ماتت، ووجدت أن أخاها وابن عمها ما زالا حيين، فسألاها: ما هذه الحال؟ فانخرطت بالبكاء وحكت لهما الحكاية من الأول إلى الآخر. فقالا لها: كيف يجرؤ على المجيء، وما الذي يأتي به هنا. وإذا جاء فإننا سوف نقتله.

وعقد عليها ابن عمها ودخل بها وبعد أيام كان (الديو) يتراءى لها في المنام، وفي أحد الليالي جاء إليهم في الليل وكانوا نائمين، فقبض أرواحهم ووضعها في القنينة في الشباك وترك البنت نائمة لوحدها ثم جاء بِقِدْرٍ كبير (صِفريّة)، ووضع فيها دهنًا وغلاه حتى فار الدهن وتقلب ثم صعد إلى البنت وأيقظها وقال لها: انهضي، أكنتِ تظنين الخلاص مني. وحين رأته استيقظت مذعورة من نومها وتسمّرت في مكانها من الخوف وحملها يريد أن يرميها في القِدْر الكبير (الصفرية)، وفي منتصف الدرج توكلت على الله وتملّصت منه ودفعته بقوة فسقط في القِدْر وصاح صيحة عالية.

وصعدت الدرج إلى الغرفة كي توقظ زوجها وأهلها فوجدتهم قد ماتوا. فذهبت إلى سطح الدار كي تصلّي وتدعو الله فسمعت صوتًا من منتصف الدار يقول: إن أرواح أهلك في قنينة على الرف في الشباك، أكسري القنينة وهم سوف يعودون إلى الحياة.

وحين سمعت الصوت فهمت ما قال ونزلت من السطح، وجاءت إلى الشباك وأخذت القنينة وكسرتها، وحين كسرتها استيقظوا ثانية ورأوا القِدْر الكبير (الصفرية) والديو ميت فيها.

وحين رأوه ميتًا حمدوا الله على خلاص ابنتهم وأنفسهم، وعاشوا في أحسن حال.

طباشي ذهب

هناك ما هناك، يوجد رجل وامرأة لهما بنت عمرها سنة، وفي أحد الأيام تمرضت الأم مرضًا دام حوالي عشرين يومًا ثم حضرها الموت فوضعت وصية ووضعت أمانة وقالت: حطوا هذا الصندوق الصغير أمانة على الرف، وإذا متُ أرجو إلاّ يفتح حتى تكبر البنت وتصبح قادرة على تناوله من الرف وهي التي تفتحه.

وماتت المرأة فكفنت ودفنت. وكان اسم البنت "طَبَاشي ذهب" وكان أبوها يحاول أن يجعلها تمسك الرف في كل شهر يمر عليها وكانت تعجز لأنها ما زالت صغيرة.

وبعد عدد من السنين أصبح عمر "طَبَاشي ذهب" عشر سنوات، وما زالت لا تتناول الرف، ولذلك قرَّر أبوها أن يتزوِج ويخطب كما يشتهي، وكان يريد امرأة جميلة جدًا لا يوجد أحد في جمالها.

وبعد أيام قال لابنته: يا ابنتي تعالي اصعدي على المخدة وحاولي تناول الصندوق من فوق الرف لنرى ما فيه. وجاء بالمخدة ووضعها تحت رجليها وتناولت الصندوق وجاءت به ففتحوه، ووجدوا مصاغ أمها

وذهبها. فقال لها أبوها: لماذا لا تضعي هذه الحاجات عليكِ. فتزينت بها وبدت أجمل فتاة لا يوجد مثلها في الدنيا، وحين نظر إليها أبوها قال لها: ما دمتِ أنت بهذا الجمال فلماذا أعذب نفسي في البحث عن امرأة لأخطبها.. كوني أنتِ امرأتي. فقالت له: وكيف ذلك يا أبتي؟ فأنت أبي وأنا ابنتك. وحين سمع ذلك خرج إلى السوق وعاد ظهراً وجلب معه "فردة" قبقاب مزينة بالزمرّد وكان يأخذ لمعانه العين كأنه ضوء القمر، وقال لها: يا "طَبَاشي ذهب"، اذهبي واخطبي لي المرأة التي يكون هذا القبقاب على مقاس قدمها. فأخذت "فردة" القبقاب وخرجت تبحث، تدخل داراً وتخرج من دار، ولم تجد في كل المدينة حتى وصلت إلى بيتهم، وقالت لأبيها: يا أبتي، إني لم أجد المرأة في كل المدينة التي يلائمها هذا القبقاب.

فلما سمع ذلك قال لها: البسيه أنت. وحين وضعته في قدمها كان بقدرة قادر كأنه قد فصّل على قدمها، فكان مثل الخاتم في الإصبع.

وحين رأى ذلك فرح وقال: يا "طَبَاشي ذهب" ما دام القبقاب قد لائمك فأنتِ ستكونين امرأتي، دعينا نعقد العقد، فقالت له: يا أبتي، إن هذا حرام لا يجوز. فقال لها: لا بدّ من ذلك.

وذهب ليدعو الإمام ليعقد العقد على "طَبَاشي ذهب" وحين رأت الأمر أن لا مفرّ من ذلك، قالت: والله إذا جاء سأرسله ليصنع لي "شمعدان" من الفضة. فحين رجع قال لها، سأخرج الآن وسأدخل

عليك حين أعود، فتزيني. فقالت: سأفعل ذلك. وحين خرج أخذت "طَبَاشي ذهب" أربعين قرصًا من الخبز ووضعتها في الشمعدان بما يكفيها من الحاجات مائة يوم، ودخلت في الشمعدان وأقفلته عليها.

وحين حلَّ وقت العشاء جاء إلى البيت فرحًا يريد أن يدخل على الفتاة، ودقّ الباب فلم يجبه أحد، واستمر يدق الباب ويصيح عليها: يا "طَبَاشي ذهب"، فكي الباب. ولم يجبه أحد، وظل يضرب على الباب ضربًا قويًا حوالي أربع ساعات ويصيح: يا "طَبَاشي ذهب" فكي الباب، لقد عدلت عن رأيي... ولم يفتح له أحد.

وصعد الجيران من فوق السطح وفتحوا الباب ولم يجدوا أحدًا في البيت وأخذوا ينادون: يا "طَبَاشي ذهب" أخرجي. وبحثوا عنها فلم يجدوها، ونام أبوها مهمومًا، وفي الصباح كان ينادي عليها ويبحث عنها فلم يجدها.

وبعد أيام يئس من البحث فقال لنفسه: والله ما دامت "طَبَاشي ذهب" هي التي أرادت الشمعدان وهو لا فائدة منه في الدار الآن فإني سأرجعه إلى الصائغ وأخذ ثمنه.

فذهب وجلب حمالاً وأعطاه قرشًا وقال له: أحمل هذا معي. فحمل الحمال الشمعدان وجاء به إلى الصائغ، وحين رآه الصائغ عرف الحكاية، فقال له: لماذا أعدته؟ فقال له: لا أريده. فقال له: لا بأس، خذ نقودك. فأخذها، فحمله الحمال وسار مع الصائغ إلى ابن السلطان

وحكى له الحكاية، فقال له: كم ثمنه؟ فقال: إن سعره مائتا ليرة. فقال له: لا بأس. فقال له الصائغ اليهودي: يا ابن السلطان حافظ عليه وضعه في غرفة وضع إلى جانبه طعام.

وضعه ابن السلطان في الغرفة وأوصى أمه، فقال لها: يا أمي أحذري على هذا الشمعدان كما تحذرين عليّ. فقالت: سأفعل. فقال لها: ضعي كل يوم طعامًا في الصباح والظهر والمغرب، لأني إذا خرجت فإن قلبي يبقى متعلقًا به. وبقيت أربعة أيام تضع الطعام وتجده قد أكل.

وكان لابن السلطان اثنتا عشرة بنت عم، وقبل أن يشتري الشمعدان بيومين كان يريد أن يخطب واحدة منهن. ولما اشترى الشمعدان صرف النظر عن ذلك، وحين سمع بنات عمه ذلك فكرن في السبب، وكان يأتي كل يوم قرب الشمعدان وينظر إليه فيراه سليمًا لم يمسسه أحد.

وقال في إحدى المرات: إذا ما تطلعين من الشمعدان سأقتل نفسي. وحين سمعت "طَبَاشي ذهب" فتحت الشمعدان وقالت له: أستر عليّ يستر الله عليك.

وفي تلك الساعة عقد عليها ودخل بها وأصبحت عزيزة عليه، وكانت جميلة كالقمر كأنها النار المشتعلة. وجاء إلى أمه وقال لها: يا أمي إن روحي في الشمعدان، فإذا قطعت عنه الأكل سأموت أنا. فقالت له: يا بني ولماذا أقطع عنه الأكل؟ وفي أحد الأيام كان السلطان في حرب وأرسل خلف ابنه كي يذهب معه إلى الحرب، وحين علم بذلك جاء إلى

أمه وقال لها: يا أمي هذا مفتاح الغرفة فأخفيه عندك، وأنا خارج إلى الحرب واحذري على الشمعدان، وإذا جاء بنات عمي فلا تعطيهن مفتاح الغرفة. فقالت له أمه: وكيف أعطي المفتاح؟ فقال لها: وأعلمي إذا لم يأكل الشمعدان فأكون قد مت. ثم قبّل يد أمه وخرج إلى الحرب.

وحين خرج إلى الحرب قال بنات عمه: إن ابن عمنا رفض الزواج بواحدة منا بعد أن اشترى الشمعدان، يجب أن يكون شيء ما فيه. فجئن إلى امرأة عمهن أم الولد، وكانت امرأة عجوزاً فشجر اثنان منهن التنور والبقية جلسن حول العجوز يفلّين رأسها ويقلن لها: لماذا لم تغسلي شعرك، أليس معك من يعتني بك. وهي تقول: لا يهم. وفلين شعرها حتى نامت على أيديهن فسرقن المفتاح من جيبها وفتحن باب الغرفة وحملن الشمعدان ووضعنه على التنور فحمى وتكّوت الفتاة في داخله، وفكّت الفتاة باب الشمعدان وخرجت قائلة: أسترنَّ علي الله يستر عليكن. فقلن لها: أيتها الساقطة، أنتِ التي تمنعين ابن عمنا من خطبتنا. وجئن بالسكاكين وجرحن جسدها ووضعن فيها الرماد ولففنها بالحصير ورمينها في الدرب.

مرَّت عجوز فأخذت البنت معها.. وأخذت العجوز تعالج الفتاة، وكان للعجوز كلب، وأخذ الكلب يلحس جروحها. وبعد عشرين يومًا شفيت البنت وأصبحت في صحة جيدة.

وحين استيقظت العجوز أم الولد رأت الغرفة مفتوحة والشمعدان قد فتحت بابه وجاءت بالأكل ووضعته وجاء وقت العصر لترى فوجدت الأكل كما هو. فقالت في نفسها: لقد فعلنها بنات عمه، وقالت أيضًا: لا شكّ في أنّ ولدي قد مات. فأقامت مأتمًا وبكت لمدة سبعة أيام.

ورجع ابن السلطان من الحرب وأول ما دخل قال لها: يا أمي كيف الشمعدان. وحين رأته صاحت وفرحت وقالت: يا ابني إن الشمعدان لم يعد يأكل وقد ظننت لهذا السبب بأنك متْ.

وحين سمع ذلك صعد إلى الغرفة فوجد الشمعدان مفتوحًا. فصاح يا "طَبَاشي ذهب" يا قرة عيني، ولم يجبه أحد، وانخرط بالبكاء، وقال لأمه: أسألك بالله هل جاء عليك بنات عمي؟ فقالت: نعم يا ابني، وفلين رأسي ثم نمت وسرقن المفتاح وحين استيقظت لم أجدهن وكانت الغرفة قد فتحت. فقال: حسن. وأخذ الولد يضيق صدره مرض، وأعلن في المدينة: على كل الناس أن يأتوا إلى بيت السلطان ليأخذوا رزًا ودهنًا وحطبًا ليطبخوا الشوربة لابن السلطان المريض. وأخذ الناس يطبخون الشوربة، وحين يؤتى بها يخوط الصحن ثم يرميها في البلوعة. وصنع كل الناس ذلك. وبقيت العجوز التي كانت "طَبَاشي ذهب" معها، وسأل ابن السلطان: هل طبخ كل الناس الشوربة له؟ فقالوا له: لم يبق إلاّ بيت واحد قديم.. فذهبوا عليهم وحملوا إليهم الحاجات، فطبخت "طَبَاشي ذهب" صحنًا من الشوربة وكانت سوداء وكأنها القار، ووضعتها

في صحن فيها خاتم ابن السلطان، وقالت للعجوز: يا أمي لا تعطي هذا الصحن إلاّ بيد ابن السلطان. وجاءت العجوز إلى باب ابن السلطان فرآها الخدم وقالوا لها: ماذا تريدين. قالت: أريد أن أقدم هذه الشوربة لابن السلطان. وحين رأوا الشوربة سوداء اللون قالوا لها: إنه لم يأكل شوربة الحليب، فكيف يأكل هذه الشوربة السوداء، هيا، أخرجي أيتها الأم. وسمع ابن السلطان الحديث وقال: هاتوها. وحين خاط الشوربة ورأى الخاتم مسك الصحن وشرب كل ما فيه وقال لها: يا عجوز هل عندك "طَبَاشي ذهب" قالت له: نعم، إنها معي فلا تخف عليها. وحين سمع ذلك نهض قائمًا وذهب مع العجوز إلى بيتها. وحين رأته "طَبَاشي ذهب" اختفت في الغرفة، فقال لها: أخرجي لقد قصّرت بحقك. فخرجت إليه وقبلته وأخذا يبكيان.

ثم اصطحبها وعاد إلى أهله. فقال لها: كيف صنع بك بنات عمي؟ فحكت له الحكاية من الأول إلى الآخر. فقال لها: لا بأس، سأنتقم منهن. جاء بها إلى القصر وأدخلها غرفتها، أرسل مناديًا: كل من يحب ابن السلطان عليه أن يجمع حطبًا ويجلب نفطًا، ثم أمر ببنات عمه فجيء بهن إليه وعددهن اثنتا عشرة فتاة، فحرقهن ثم بقي مع أمه وزوجته "طَبَاشي ذهب" على أحسن ما يكون.

حكاية عن الصبر والتأني

هناك ما هناك. يوجد سلطان له بنت يحبها كثيرًا. وفي أحد الأيام قالت لأبيها: يا أبتي، أريد أن أخرج للقنص. فقال لها: كما تشائين. فذهبت إلى الإسطبل وأمرت السائس أن يسرج الخيل وأسرج لها فرسًا فركبتها وخرجت حتى وصلت في منتصف الصحراء، وكان الوقت ربيعًا والعشب يبلغ طوله ذراعين. وكانت تهيأت للصيد، فرأت فجأة شابًا كأنه القمر وكان ابن سلطان الولاية المجاورة، فعشقته وعشقها فربطا فرسيهما وجلسا على بساط من العشب، وفجأة جاء رجل شيخ وحين رآهما جالسين قرأ عليهما وحولهما إلى غزالة وغزال.

وحين تحولا إلى غزالين بقيا جالسين على العشب، ثم نهض الغزال إلى الغزالة ونزا عليها. وحين رأى الشيخ ذلك قرأ عليهما ثانية وأعادهما إلى سابق الحال من بني البشر، وحين رأيا أنهما قد عادا إلى شكلهما الأول هربا كلٌّ إلى أهله... وعادت البنت إلى أهلها، وبعد مدة خطبت ولكنها قالت لأبيها: يا أبتي لا أريد أن أتزوج، ومن يريد أن يتزوجني يقصّ عليّ قصة فإذا أعجبتني تزوجته وإذا لم تعجبني فإني أقطع رأسه.

وحين سمع ذلك السلطان وافق عليه وأعلن ذلك في المدينة فقال الناس: وما أسهل ذلك سوف نحكي لها ويأخذها أحدنا. فكانت تقطع رأس كل من يأتي ويحكي لها حكاية لا تروقها وتعلّق رأسه في أعلى المنارة... وبقيت على هذه الحال لعدة أيام.

وإلى جانب ولاية والدها كان هناك في الولاية المجاورة رجل عنده ثلاثة أولاد، فمرض أبوهم أيامًا ثم توفي فغسلوه وكفنوه ودفنوه، وبعد شهور اقتسم الأولاد جميع المال وأصبح لكل منهم حصة. وفي أحد الأيام قال الأخ الأكبر: والله أريد أن أسافر إلى الولاية المجاورة للتجارة. فأخذ نقوده وخرج.

ووصل إلى تلك الولاية وحين دخل ورأى المنارة وقد علقت عليها الرؤوس ونزل عند عجوز وكان يدفع لها كل يوم ثمانية قروش وقال لها: يا عجوز الخير ما هذه الرؤوس المعلقة؟ قالت: هذا من صنع بنت السلطان. فكل من يريد الزواج منها يحكي لها حكاية فإذا أعجبتها تزوجته وإن لم تعجبها تقطع رأسه وتعلقه.

فقال الولد حين سمع القصة: يا عجوز، والله أريد أن أحكي لها حكاية عسى أن أتزوجها. فقالت له العجوز: لا يا بني، أنت شاب وأخشى أن تقتلك. فقال لها: لا يهمني قتلها لي.

وجاء حتى وقف بباب السلطان وقال: أريد أن أحكي حكاية. أدخلوه على بنت السلطان فقالت: احكِ. فحكى لها ولم ترضها

الحكاية فشهرت السيف وقطعت رأسه وعلقته. وفي أحد الأيام قال أخوهم الأوسط لنفسه: إن أخي خرج للبيع والشراء وقد مضى عليه وقت ولم يعد ولم يرسل لنا رسالة، إنه أمر عجيب.

فأخرج فرسه وجاء إلى تلك الولاية ورأى الرؤوس معلقة وسأل فقالوا له: تقول بنت السلطان كل من يريد أن يخطبني فعليه أن يحكي لي حكاية، فإن كانت كما تحب تزوجته وإن لم تعجبها قطعت رأسه وعلقته.

وتأمل المنارة فرأى رأس أخيه معلقًا فقال: إن هذه الساقطة ما دامت قد قتلت أخي فسأحكي لها حكاية ثم أتزوجها وأقتلها بدل أخي وإذا لم تعجبها فلتقتلني.

وجاء إلى بيت السلطان وقال: أنا أريد أن أرى الفتاة لأحكي لها حكاية. فقال له: ادخل عليها. فدخل عليها وحكى لها الحكاية ولم ترض عنها وقطعت رأسه وعلقته.

وفي أحد الأيام قال أخوهما الصغير لنفسه: إن أخويّ قد سافرا فإلى أين ذهبا؟ وأسرج فرسه وسافر حتى وصل إلى تلك الولاية ورأى المنارة وقد علقت عليها الرؤوس ومعها رأسا أخويه، فنزل عند عجوز وقال لها: يا عجوز، ما هذه الرؤوس؟.. فقالت له: هذه بنت السلطان كل من يريد أن يخطبها يحكي لها حكاية فإذا أعجبتها تزوجته وإن لم تعجبها قطعت رأسه وعلقته على هذه المنارة.

وحدث أن العجوز التي نزل عندها الشاب كانت ماشطة بنت السلطان، وحين عرف ذلك قال: أفٍ من هذه المرأة الساقطة، هي التي قطعت رأس أخويّ، لن أتركها أبدًا.

وكان الولد حين يستيقظ يضع تحت المخدة ليرة ذهبية وحين تلم ابنة العجوز الفراش ترى الليرة فتأخذها وتعطيها لأمها. فجمعت ذلك حوالي ثلاثين ليرة.

وفي أحد الأيام قالت له العجوز: لماذا تضع كل يوم تحت رأسك ليرة ذهبية وتتركها هناك. فقال: يا عجوز الخير هذا بخشيش لك.. فقالت له: لعلك تريد ابنتي ولذلك تترك الليرات. فقال لها: اسمعي حتى أقول لك؟ ثم قبّل يدها، فقالت: قل ما تريد. قال: إنني مثل ولدك وإن ابنة السلطان قد قتلت أخويّ وأنا محترق الفؤاد لذلك وقد سمعت بأنك الماشطة ونزلت عندك لذلك أريد منك إذا ذهبت إليها أن تستدرجيها وتقولي لها: يا ابنتي ما هي حكايتك؟ عسى أن تخبرك بها. وحين سمعت ذلك خافت على الولد من القتل وهو شاب، ولأنه نزل عندها التماسًا لمعونتها، فقالت له: لا بأس، ففي يوم الخميس ترسل إلي لأغسل لها وأمشط لها شعرها وأكلمها. وحين سمع ذلك قبل يدها وأعطاها مائتي ليرة.

وصار يوم الخميس أرسلت إليها فذهبت العجوز إليها وأحمي الحمام وبدأت تغسل لها وتنظفها ثم ألبستها ملابسها. فقالت البنت: يا مربيتي

إني أحبك كثيرًا. فقالت لها: إذا كنت تحبينني أريد أن أسألك شيئًا. فقالت لها: قولي. قالت: يا بنتي ما هي الحكاية التي في ذهنك؟ فلما سمعت البنت ضربتها وقالت لها: ماذا تريدين مني يا كلبة يا بنت الكلب! هيا أخرجي.

فخرجت العجوز وجاءت إلى البيت وقالت له: أيها الشاب من أين جاء الله بك إليّ، لقد قالت لي كذا وكذا. وحين سمع ذلك ازداد ألمه فقالت له: انتظر أيامًا، وفي الخميس الآخر أرسلت إليها بنت السلطان فلم تقبل أن تذهب فأرسلت بعد ذلك مرتين ولم تذهب العجوز.

فجاءت إليها ابنة السلطان وأخذتها معها ودخلتا إلى الحمام كي تغسل العجوز جسد الفتاة. وقالت الفتاة: يا مربيتي ماذا تريدين من حكايتي؟ قالت لها: لا أريد شيئًا ولكنك كابنتي وأريد أن أعرف سرّك. فقالت لها: سوف أحكي لك فلا تحكي هذا لأحد. فقالت: ولمن أحكي؟ ألي ولد مع الناس؟ فقالت: خرجت يومًا إلى القنص ورأيت شابًا وكان ابن سلطان فعشقني وعشقته وجلسنا على الحشيش فجاء رجل شيخ وقرأ علينا وحولنا إلى غزالين فسرنا في العشب ونزا عليّ الغزال.. وحين رأى الشيخ ذلك قرأ علينا ثانية وحولنا إلى شكلنا البشري، وهرب الولد وعدت أنا إلى البيت، وأنا الآن أبحث عنه ولم أجده. وحين سمعت العجوز قالت: هيهات! ما عليّ من هذه الحكاية. ثم عادت إلى البيت وقالت له: أسكت ويلك لقد حصلت على طلبك

منها. فقال لها: كيف؟ فحكت له الحكاية فعرف الحكاية ثم قال: سأعرف كيف أتزوجها، وسلّم على العجوز وخرج.. ثم جاء إلى مكان بعيد عن الولاية مسيرة نهار، وهناك اشترى حمامًا تجره العربة وصنع تمثالي غزالتين من الذهب ووضعهما قربه وجلس على باب الحمام وقال: يا ناس كل من يحكي لي حكاية يغسل مجانًا. فأخذ الناس الذين يريدون أن يغسلوا يحكون له الحكايات فلم يعجبه أحد منهم.

فوصل الخبر إلى ابنة السلطان بأن الحكاية كذا وكذا، فعرفت فيه صاحبها فقالت لأبيها: يا أبتي أريد أن أخرج للنزهة. فقال لها: أخرجي. فأخذت معها الماشطة وجاءتا وقد لبستا ملابس الرجال وجلسن قرب الشاب صاحب الحمام وقالت: أريد أن أحكي لك حكاية. ورأت الغزالين فقالت: أنا ابنة السلطان، خرجت إلى القنص ورأيت شابًا من أبناء السلاطين فجلسنا على العشب وجاءنا رجل شيخ فقرأ علينا وحولنا إلى غزالين وقد نزا الغزال عليّ.. وحين رأى الشيخ ذلك قرأ علينا ثانية وحولنا إلى شكلنا الأول وانهزم الولد وعدت أنا إلى البيت.

وحين سمعها قال لها: إني أنا ذلك الشخص وإني أبحث عنك.. فقالت له: تعال معي إلى بيتنا واذهب إلى أبي وقل بأنك تريد أن تحكي حكاية، وحين أسمعها سأقول له: لقد رضيت عن هذه الحكاية. فقال: سأفعل ذلك.

وجاءوا إلى ولاية والدها وجاء إلى أبيها، وحكى لها الحكاية فقالت لأبيها: يا أبتي إني أريد هذا الشاب. فأعد السلطان جهاز الزواج ودخل عليها في ليلة الجمعة...

وعاشا في أحسن حال، ونسي أمر الثأر لأخويه.

ابن التاجر الخامل

هناك ما هناك. يوجد رجل تاجر له ولد، قال له ولده: يا أبي أريد منك أن تزوجني. فقال له: نعم. فخطب له بنتًا من بنات التجّار فأعطاها أبوها وأخذ مهرًا ألف ليرة، وجهزوا جهازًا فاخرًا لا يوجد مثله، وجاء بالجهاز (الحملة)، وفي اليوم الثاني بعد جلب الجهاز جاءوا بالعروس يوم الخميس. وحين حلّ الليل ودخل الولد بالفتاة وأصبح الصباح فنصبت صواني الدعوة فتغدوا، وهكذا عاش الولد معها حوالي سنتين.

وفي أحد الأيام كان الولد جالسًا مع أبيه فقال له: يا أبي. فقال الوالد: نعم. فقال له: أريد حِملين من الفلوس لأسافر وأشتري بها صبغ "النيل"، وكان الأب يعرف أن ابنه لا يحسن التجارة، وحين سمع طلب ابنه قال له: أنا لا املك هذا المبلغ. فقال له الولد: إذن سأستدين المبلغ من عمي والد زوجتي. فقال له: كما تشاء. فذهب الزوج مع امرأته إلى بيت أهلها وأخذت له حملين من الذهب. وبعد أسبوع مشى الولد، وحين سافر كانت أرض ترفعه وأرض تضعه حتى جاء إلى "مصر" كي يشتري صبغ النيل.

ورأى هناك مقهى يلعب من فيه اليانصيب، ومن يضع نقوده ويغلب يأخذ كل أموال الباقين، وإذا غلبوا يأخذون ماله. ولعب الولد بكل فلوسه فغلبوه، وحين غلبوه لم يعد يملك ولا فلسًا واحدًا (ولا شاهية)، فأخذ يعمل في الطاحونة يسحب الدولاب مكان الثور.

وبقي سنة لم يكتب لأهله كتاباً ولم يرسل خبرًا. وحين كان زواجه جديدًا فقد اشتاقت زوجته إليه وحين رأت إنها لم تتلقّ منه منذ مدة طويلة رسالة أو خبرًا قالت: ما الذي جرى له؟ وسافرت وأخذت معها "الجرذ" الذي ربته في بيتها وأخذت كذلك كيسًا من النقود وسافرت خلفه.

ومشت ومشت، أرض ترفعها وأرض تضعها، ولم ترَ نفسها إلاّ في إحدى الولايات فدخلتها وحين دخلتها لبست ملابس الرجال وسمعت شخصًا يصيح: يا نصيب! يا نصيب! فلعبت معهم وغلبتهم، وكانت في نفس الوقت تبحث عن زوجها، وجاءت إلى مكان ما ورأته مشدودًا إلى الحجر (المدار) يطحن الطحين وحين رأته أشارت براحتيها معًا مرتين إليه (غمّته غمّتين) علامة الاحتقار، فقالت: يا خائب يا ابن الأحمق (يا سْلِيمه يا ابن الدام والدلك، لا أراني الله وجهك). وحين غلبت كل أهل اليانصيب أصبح يخشاها اللاعبون وملكت نصف مال تلك الولاية تقريبًا.

جاءت إلى زوجها (وهو لم يعرفها بعد) ليخبرها سرّه، وقالت له: ما الذي جئت تفعله هنا؟ فقال لها: والله إني ابن السلطان وجئت لكي أشتري صبغ النيل والتقيت بأهل اليانصيب ولعبت معهم وخسرت كل نقودي. فقالت له: هل توافق على أن أضع ختمي على إليتك و.. وتأخذ جميع ما معي من المال؟ فقال في نفسه: أين يعرفني هذا الرجل (وقد ظنها رجلاً). ثم قال لها: إني موافق. فختمت على إليته وأخذ منها كل المال وحمله. وركبت هي فرسها وسافرت ووصلت قبله، وبعد يومين وصلت الأخبار بأن ابن التاجر جاء محملاً بالمال وقد اشترى صبغ النيل.

وحين وصل إلى الولاية دخل إلى بيت أبيه ولم يذهب إلى بيت أهل زوجته، فغضبت زوجته وراحت إلى بيت أهلها، فقبَّل والده وقال له أبوه: يا ولد لماذا تأخرت؟ فقال: تأخرت بسبب شراء التجارة. وجاء إلى غرفته ليرى امرأته فقالوا له: إنها ذهبت إلى بيت أهلها مخاصمة لك (زعلانة). وحين سمع ذلك طلقها وحين سمعت أنه طلقها جاءت إليه وقالت له: أيها القذر، يا مصخم الوجه، أتطلقني بعد أن أعطيتك مالي وفلوسي؟ فقال لها: ويلك أي فلوس وأي مال؟ فقالت له: من أين لك هذا المال إذن؟ فقال لها: إنه مالي، لقد بعت واشتريت وربحت.

فقالت له: هل أنت الذي بعت واشتريت به؟ فقال لها: نعم. فقالت له: والختم الذي في إليتك؟ وحين سمع ذلك سحب السيف يريد أن

يضربها به، فمسكه الجماعة فقالت للناس حولهما: حين سافرت رأيته مشدودًا إلى المدار في الطاحونة فأعطيته كل المال وختمته في إليته، أكشفوا عليه فإن كان الأمر كذلك فالمال مالي، وإن لم يكن كذلك فكل المال والتجارة له. فقالوا لها: هل حقًا ما تقولين؟ ثم رفعوا ملابسه ورأوا الختم موجودًا على إليته، وأخذوا كل المال وطردوه وحين سمع أبوه ذلك طرده من داره أيضًا.

وحين طرده والده بقي لا يمتلك قرشًا، فاشتغل صانعًا في دكان، ينام فيه مهمومًا حزينًا، وجاءت امرأة أحد الموظفين، فرأته نائمًا في دكان الصائغ الذي جاءت تصوغ عنده سوارًا (ملويًا) وكان سوارها (ملويّها) قد ضاع، ورأته وكان جميلاً لأنه ابن ملوك، وكان زوجها كبيرًا لا يستطيع مواقعتها وقد مضى عليها سنة دون أن يقترب منها. وحين رأت هذا الشاب الجميل عشقته فأيقظته وحين أيقظته كان جائعًا متعبًا. فقالت له: ماذا بك؟ فقال لها: ليس بي شيء. فقالت له: لماذا أنت نائم هنا؟ فقال لها: لقد طردني أبي، وإني جائع. وحين سمعت ذلك فرحت وقالت له: تعال معي. فنهض وذهب معها.

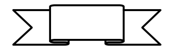
فدخلت وجلبت له طعامًا، وحين أكل واستراح نام معها عشرين مرة في ساعة واحدة، ففرحت بذلك وحين جاء زوجها أخفته في الغرفة ثم صبت العشاء لزوجها وأنامته في غرفته ثم صعدت إلى غرفة الولد ونامت معه إلى آذان الفجر، وحين أصبح الصباح وخرج زوجها صعدت

إلى غرفة الولد وبقيت معه إلى وقت العصر في رفع وبسط، ثم قالت لرفيقها: ماذا أفعل بزوجي؟ فقال لها الولد: وماذا تفعلين؟ فقالت له: دعنا نسمّه. فقال لها: هيّا. فوضعت له سمًا في طعام العشاء، وحين صار المغرب جاء وتعشى وحين كان يأكل سقط جسده على الفراش ونام ميتًا.

وحين مضى هزيع من الليل دعت شخصًا وأعطته ليرة وقالت له: تعال أحمل هذا الرجل وخذ هذه الليرة. فقال: موافق. وذهب الرجل إلى الصحراء وحفر قبرًا ثم عاد وحمله ودفنه في الصحراء. وفرحت بذلك، ثم أخرجت لرفيقها عشرين ألف ليرة وقالت: اذهب وأعقد عليّ وأفتح لك دكان تجارة فأخذ النقود وذهب إلى المفتي والقاضي.

وبقي مع زوجته في سعادة. وبعد شهور حبلت وولدت منه بنتًا، وكانت البنت لكثرة ما عاشر الولد أمها قبل الزواج لم تكن بنتًا شرعية، وبقيا معًا على أحسن حال.

المتسولة والأمير



كان ياما كان في قديم الزمان، كانت هناك متسوّلة شابة، تمر في كل يوم بالقرب من باب قصر الأمير وأبواب قصور حاشيته المحيطة به، فلا يبخل عليها الخدم ويُعطونها الطعام وبعض الملابس، مما كان يزيد عن حاجة عائلتها، فيبيعونه لمن هم أسوأ حالاً منهم.

وفي أحد الأيام، كان الأمير يخرج من بوابة القصر، حينما وقعت عيناه على الشابة المتسولة، وهي تسأل الصدقة والرحمة. وكعادة إحدى الخادمات أخرجت لها شيئًا من الطعام.

كان الأمير يراقب الأمر عن كثب، فأخذت المتسولة ما أُعطي لها وفمُها لا يكف عن الدعاء للأمير وسكنة القصر، ثم مضت بمشيتها المتغنّجة وعادت من حيث أتت.

وفي اليوم التالي قرَّر الأمير أن يستدعي إليه هذه الشابة الفقيرة، فلما وقفت بين يديه، نظر إليها مليًا، وفحص قوامَها وحركاتها بنظرةٍ متريّثة، فوجد أنها امرأةٌ فاتنةٌ حقًا، وأحبّ أن يتزوجها.. ولما عُرِض الأمرُ عليها، وافقت، ولكنها اشترطت على الأمير شرطًا واحدًا لقبولها الزواج منه.

استغرب الأميرُ أن تشترط متسوّلةٌ عليه شرطًا لكي تقبل بالزواج منه، ثم فكّر في أنها قد تطلب مهرًا غاليًا أو تطلب عملاً لأحد أفراد أسرتها أو ما إلى ذلك مما يحتاجه الفقراءُ عادة، ومع أنه رأى أن الصعوبة تكمن في اشتراط الشرط إلا أنه قبِل به، لكي يرى ما سيؤول إليه الأمر.

اختلى الأميرُ بالفتاة واستفسر منها عن شرطها، فأجابته أن يسمح لها، إذا تزوّجا أن تأكل في غرفةٍ لوحدها.. استغرب الأميرُ هذا الشرطَ العجيب وتساءل مع نفسه؛ " تأكل في غرفةٍ لوحدها " ؟؟!

- أجل وتكون الغرفة مغلقة عليها من الداخل، أي تقوم هي بإغلاقها !

كان هذا جوابُ الفتاة.

ومع أن هذا الشرطَ غريب، إلا أنه ليس صعبًا، لتأكل لوحدها.

وتم الزواج، وتم تنفيذُ هذا الشرطِ العجيب.

وحين حلّ وقتُ الإفطار ذكّرت الفتاة زوجَها الأمير بالشرط الذي بينهما، فترك الغرفة، مع أنهما كانا في أول صبحٍ بعد الزواج، وتركها تأكل وحدها، وهذا ما حصل في وقت الغداء، وما حصل أيضًا في وجبة العشاء، وفي كل يومٍ بعد ذلك اليوم.

وهكذا مرَّت الأيام بحلوها ومرّها على الزوجين المتعايشين؛ الأمير، والمتسوّلة التي صارت بين عشية وضحاها أميرة.

وفي يومٍ من الأيام ضاق الأميرُ ذرعًا بهذا الأمر، ففكر في حيلةٍ يقف بها على سبب امتناعِها عن الأكل معه أو مع غيرِه، فأمر أن يُصنع في غرفتهما، في أثناء فترة غيابهما معًا ما يُمكّنه من النظر إليها وهي تأكل، وما يُمكّنه من سماع ما تقول.

فلما حلَّ وقتُ الطعام وخرج من عندها استنادًا إلى الشرط، أخذ ينظر إلى ما تصنع ويسمع ما تقول، فإذا بها تقطع الخبزَ كِسَرًا وتضعه في أماكن متعددة، ثم تقول كلماتِها المعتادة وهي تتسوّل؛ " المال مال الله والسخي حبيب الله، أعطوني مما أعطاكم الله "، ثم تأخذ شيئًا من الخبز وتفعل مثلَ هذا مع لُقيمات الخبز، وكذلك مع سائر صنوف الطعام، فإذا ما انتهت من هذا أعادته إلى صينية الطعام الأميرية، وجلست على الأرض تأكل كما يأكل المتسولون... فلما رأى الأميرُ ذلك شتمها وقرَّر أن يطلقها، لأنها لم تتخلَّ عن حبّها للتسوّل.

- ربما يكون المغزى من هذه الحكاية هو أن هذه الفتاة أرادت بعملها هذا أن تتذكر فقرَها، لكي تشكر الله تعالى على نعمته عليها.

إلا أن لراوي الحكاية رأيًا آخر مفادُه أن المغزى منها صاحبَ العادة لا يتخلى عن عادته، تماشيًا مع المثل الشعبي الدارِج؛ "عادة ال بالبدن ميغيّرهه غير الكفن".

ولله في خلقه شؤون.

الملك الحائر

كان أحد الملوك القدماء سمينًا كثير الشحم واللحم يعاني الأمرين من زيادة وزنه، فجمع الحكماء لكي يجدوا له حلاً لمشكلته ويخففوا عنه قليلاً من شحمه ولحمه. لكن لم يستطيعوا أن يعملوا للملك شيء.

وجاء رجل عاقل لبيب متطبب. فقال له الملك: عالجني ولك الغنى. قال : أصلح الله الملك أنا طبيب منجم دعني حتى أنظر الليلة في طالعك لأرى أي دواء يوافقه.

فلما أصبح قال : أيها الملك الأمان... فلما أمنه قال: رأيت طالعك يدل على أنه لم يبق من عمرك غير شهر واحد فإن اخترت عالجتك وإن أردت التأكد من صدق كلامي فاحبسني عندك، فإن كان لقولي حقيقة فخل عني، وإلا فاقتص مني.

فحبسه...

ثم احتجب الملك عن الناس وخلا وحده مغتمًا... فكلما انسلخ يوم ازداد همًّا وغمًّا حتى هزل وخف لحمه، ومضى لذلك ثمان وعشرون يومًا وأخرجه.. فقال ما ترى ؟

فقال المتطبب: أعز الله الملك أنا أهون على الله من أن أعلم الغيب، والله إني لا أعلم عمري فكيف أعلم عمرك !! ولكن لم يكن عندي دواء إلا الغم فلم أقدر أجلب إليك الغم إلا بهذه الحيلة فإن الغم يذيب الشحم.

فأجازه الملك على ذلك وأحسن إليه غاية الإحسان وذاق الملك حلاوة الفرح بعد مرارة الغم.

الملك والخادم *

كان يا ما كان في العصور القديمة، كان هناك ملك واسع الثراء في مملكته وكان من المفترض أن يكون هذا الملك ممتناً لما وهبه الله من خيراتٍ كثيرة، ولكنه في واقع الأمر كان غير راضٍ عن نفسه وعما هو فيه.

وفي ذات صباح استيقظ هذا الملك وأخذ يتجول في الحديقة الكبيرة الموجودة بجوار قصره، لفت نظره أحد الخُدَّام فقد كان يعمل بجدٍ، وكان وجه هذا الخادم ينم على الطيبة والقناعة والسعادة فاستدعاه الملك وسأله لما هو سعيد هكذا مع أنه خادم ودخله قليل، فردَّ عليه هذا الخادم (ويبدو أنه لم يكن يعرف أن الذي يتحدث إليه هو الملك) بأنه يعمل لدى جلالة الملك ويحصل على ما يكفيه هو وعائلته، وأنه يوجد سقف ينامون تحته هو وعائلته، وهو سعيد لسعادة عائلته فلا يهمه أي شيء آخر ما دام هناك خبز يوضع للأكل على طاولتهم يومياً.

* هذه الحكاية رواها لي شفاهًا السيد عامر هادي أمين الذي هو من أهالي قرية الطهمازية ويعمل مدرّسًا في إحدى ثانويات الحلة، وقد حكاها لي في بداية العام ٢٠١٢.

فتعجب الملك لأمر هذا الخادم الذي يصل إلى حد الكفاف في حياته ومع ذلك فهو قانع أيضًا وسعيد بما هو فيه.

فنادى الملك على وزيره وأخبره حكاية هذا الرجل، فاستمع وزيره بإنصاتٍ شديد وأخبره أنه سيقوم بعمل ما، فسأله الملك عن ذلك فقال له: أمهلني يا مولاي حتى الغد، وسوف أجعل الأمور تنقلب رأسًا على عقب بالنسبة إلى هذا الخادم. فتعجب الملك من كلام وزيره وأعطاه المهلة.

فلمَّا كان يوم الغد سأله ماذا كنت تعني بكلامك ؟ فقال له الوزير، لقد توصلت إلى الخدعة يا مولاي، وما علينا سوى أن نثق بالرقم ٩٩ واترك الأمر لي.

حمل الوزير كيسًا وضع فيه ٩٩ عملة ذهبية، وذهب في ساعات الصباح الباكرة قبيل استعداد الخادم للذهاب إلى عمله، ووضع الكيس قريبًا من كوخ العامل الفقير، فلما خرج هذا تفاجأ بالكيس، ثم تفحصه فوجده مفتوحًا، وقد تساقطت بعض القطع الذهبية حوله، أسرع إلى التقاطها ثم حمل الكيس إلى كوخه بهدوء، بينما كان أفراد عائلته يغطون في نوم عميق، وللحال شرع يعد الليرات الذهبية التي حسبها قد هبطت عليه من السماء، ووصل بالعد إلى ٩٩، فقال لنفسه؛ ليس من المعقول أن يكون هذا، لابد أنها مئة، ومن المؤكد أن هناك واحدة مفقودة، وخرج يبحث عنها في الموضع الذي وجد فيه الكيس، ثم

بحث بالقرب منه، وتوغل إلى أبعد من ذلك في الحشائش القريبة من كوخه، ولكنه لم يعثر على شيء، وارتفعت الشمس في كبد السماء، وهو لم يذهب بعد إلى عمله، وبقي مغمومًا مهمومًا، ولم يذهب في ذلك اليوم إلى عمله، وحين استيقظت زوجته وبادلته تحية الصباح المعتادة، لم يجبها بشئ وإنما أخذ يسب ويلعن، وعندما استيقظ أطفاله لم يقبلهم كما اعتاد أن يفعل، وأخذ يتصرف بهستيرية.

وفي اليوم التالي، تعرف إليه الملك في حديقة قصره، فوجده قد أخذت منه الهموم مأخذًا، وقد تبدّت على وجهه أمارات التذمر والتبرم، وانقلب كل شيء رأسًا على عقب، فأدرك أن حيلة وزيره الجهنمية قد نجحت، وأدرك أيضًا أن كثرة الأموال والممتلكات لا يمكن أن تصنع السعادة، وأن الإنسان يتوجب عليه أن يكون قنوعًا بما هو متوفر لديه.

حسن الأقرع

يحكى أن رجلاً اسمه حسن الأقرع، كان يعيش مع أعمامٍ له، وقد مات والدُه ووالدته، وكان هذا الرجل لا يملك من الدنيا إلا كوخًا ينام فيه، وثوراً... ولكنّ أولاد عمومته كانوا أغنياء يملكون أعدادًا كبيرة من المواشي، وكان حسن الأقرع يترك ثوره ليرعى مع مواشي أبناء عمّه.

كان ينظر إلى ثوره فيجده قد أخذ الضعفُ منه، وفي أحد الأيام سأل أبناء عمه عن سبب هزال ثوره، فقالوا له إذا أردتَ أن تحافظ على ثورك، فإن عليك أن تأخذ مواشينا وترعى بها، وتكون (النوبه)* عليك ليوم واحد في الأسبوع، فردَّ عليهم حسن الأقرع: إنني لا أملك إلا رأسًا واحدًا وأنتم تملكون الكثير، فهل من العدل أن تكون عليّ نوبة، حتى وإن كانت ليوم واحد في الأسبوع؟.. فقالوا له: نعم، وإذا رفضتَ فإن عليك الاهتمام بثورك.

تأثر حسن الأقرع من كلام أبناء عمه، وقرَّر أن يأخذ ثوره من المزرعة، وفي الصباح الباكر، أخذ ثوره وجمع ملابسَه، وخرج من القرية متجهًا إلى المدينة، وهناك باع الثور بثمن بخس.

---

* النوبة مستعملة في اللهجة العراقية وتعني: الدور.

قبض الثمن وولى وجهه خارجِ المدينة، وتحت شجرة وارفة الظلال جلس ليستريح، فسمع صياح دجاجة، وعندما فتح عينيه رأى امرأة تُمسك بدجاجة وتحاول ذبحها، وبعد أن ذبحتها أخذتها ودخلت بها إلى البيت، فقال بينه وبين نفسه، سيكون عشائي الليلة هذه الدجاجة وسأكون ضيفًا على صاحبة البيت.

رفع رأسَه إلى أعلى فرأى غرابًا راقدًا في عشه، تسلق الشجرة وأمسك بالغراب، ووضعه تحت دشداشته، وبعد قليل، نهض من مكانه واقترب من البيت وجلس على مقربة منه، وبعد لحظات قليلة اقترب منه رجلٌ يركب حصانًا فألقى عليه التحية ودعاه إلى البيت وطلب منه أن يكون ضيفَه لهذه الليلة.

رحّب حسن الأقرع بالفكرة ودخل مع الرجل إلى البيت، ونادى الرجل على زوجته وطلب منها أن تحضر لهما العشاء... جلبت المرأة صينية، فيها رغيفان من الخبز وقليل من التمر وإناء مملوء باللبن.

انتظر حسن الأقرع، ولكن الرجل قال لزوجته؛ أليس لديكِ شيء آخر؟ فردّت عليه زوجتُه؛ كلا. التفت إلى حسن الأقرع وقال له تفضّل!

امتدّت يد حسن الأقرع إلى الطعام، وبعد أن أكمل لقمةً ضغط على الغراب، فصاح الغراب: قاق !

تنبّه الرجل وقال؛ ما هذا ؟!.. قال حسن الأقرع: لا شيء !

وعندما أكمل حسن لقمتَه الثانية ضغط من جديد على الغراب فصاح: قاق، قاق!.. تنبّه الرجل من جديد وقال: ما هذا بحق السماء؟! قال حسن الأقرع: دعك منه، إنه لا يخجل !.

ترك الرجل الطعام، والتفت إلى حسن الأقرع، فرأى الغراب تحت ثوبه. فقال: ولكنه غراب، فكيف لا يخجل ؟

أراد حسن الأقرع أن يزيد فضول الرجل، فقال: إنه لا يخجل، ودعك منه، لأنه يعرف أشياء كثيرة. بل وإنه يتكلم... قال الرجل: ولكن ماذا يقول، ولماذا أخذ يصرخ ؟.

أخذ حسن الأقرع يقرص الغراب مرات متتالية، ثم قال: قلتُ لك اتركه إنه لا يخجل !.

قال الرجل؛ ولكنني أريد أن أعرف ماذا يقول؟.. قال حسن الأقرع: إنه يقول إن تحت ذلك الإناء الكبير دجاجة مطبوخة !.

نهض الرجل من مكانه واتجه نحو الإناء الكبير، وعندما فتحه، وجد فيه دجاجة كبيرة، لم يزل البخار يتصاعد منها... نادى على زوجته، وعنّفها، لأنها خبّأت الدجاجة عنه ولم تقدمها إلى ضيفه.

وأثناء ذلك قرص حسن الغراب، فصاح الغراب؛ قاق، قاق.. قال الرجل: بالله عليك أخبرني ماذا يقول الغراب؟!.. ردّ عليه حسن الأقرع: اتركه حتى نأكل الدجاجة... ولكنّ الرجل أقسم أن يدَه لا تمتد إلى الأكل حتى يقول له ماذا يقول الغراب.

قال حسن الأقرع: يقول الغراب إن لزوجتك صاحبًا، وأنها طبخت الدجاجة له. قال الرجل: سأطردها إلى أهلها، أما أنتَ فسوف لا تخرج من هنا حتى تبيعني الغراب... قال حسن الأقرع: ولكنه غالي الثمن، وأنت لا تستطيع أن تشتريَه.. قال الرجل: سأدفع لك كل ما تطلب.. قال حسن الأقرع: وماذا تستطيع أن تدفع لي، إن غرابي هذا يستحق مبلغًا كبيرًا.. قال الرجل: سأدفع لك مائة دينار.. قال حسن: ولكن هذا مبلغٌ تافه !.. قال الرجل: سأضاعف المبلغ مرتين !.. قال حسن: لا أوافق !.. قال الرجل: آخر كلام أقوله لك خمسمائة دينار.. قال حسن الأقرع: وحصانك !.. فوافق الرجل قائلاً: وحصاني أيضًا.

نهض الرجل إلى زاوية في البيت وأخرج لفافة قدمها إلى حسن الأقرع، وقال له: احسب نقودك.

فتح حسن اللفافة وعد المبلغ فوجده خمسمائة دينار بالتمام والكمال، ثم تناولا العشاء سوية.

ثم ودّعه بعد أن سلّمه الغراب وأخذ حصانه، وتوجه إلى إحدى القرى البعيدة.

وفي صباح اليوم التالي اشترى مجموعة من الثيران والأبقار والأغنام، وسار بقطيعه نحو قريته.. وهناك عندما دخل القرية، وهو يركب فرسه، تعجب منه الناس، واجتمع إليه أبناءُ عمه يسألونه عن هذا الثراء المفاجئ.

قال حسن؛ دعوني من ذلك، لا أريد أن أقول شيئًا !

زاد تلهفهم إلى معرفة حقيقة ثرائه، وأصروا على الاستفسار، ولمَّا تأكد حسن من أن أبناء عمه قد اهتموا بمعرفة سبب ثرائه قال لهم: إنها حكاية غريبة فعلاً ولا أعتقد أنكم ستصدقونها، ولكن على أية حال فها أنذا بينكم ولدي كل هذا الثراء.

فأخذوا يتوسلون به أن يخبرهم عن الحكاية.. قال لهم: لقد خرجت منكم ومعي الثور، وأنا في أشد حالات الغضب والخيبة، وفي الطريق وعند فجر اليوم التالي اقترب مني رجلٌ كبير، وسألني عن حاجتي، فأخبرته بما حدث بيني وبينكم، فقال لي الشيخ: لا عليك، اذهب إلى ذلك النهر، واختر من صخوره صخرةً بيضاء ثم اربطها برقبة ثورك وأغطسه في النهر في أعمق نقطة فيه، وعندها ستُفتح لك أبوابُ الخير، وبين مصدق وغير مصدق فعلتُ كما طلب مني، ولمّا التفتُّ لأرى الشيخ وجدته قد غاب عني، فإذا بهاتف يهتف بي من أعماق النهر: خذْ هذا الخيرَ، فهو لك، وإن ملكنا (شيخ الشط) يشكرك على كرمك، وعلى إهدائك الثورَ له، إن ملكنا (شيخ الشط) يهدي لمن يهدي له شيئًا أضعاف مضاعفة.!!... وهكذا التفتُ فرأيتُ هذا القطيع الذي ترونه أمامكم ومعه هذا الحصان !

لم يصدّق أبناء عمّه، وصعُب عليهم أن يستوعبوا أنْ يكون حسن الأقرع أكثر ثراءً منهم.. فما كان منهم، إلا أن بكّروا في الخروج في

اليوم التالي وساقوا قطعانهم إلى المكان الذي وصفه لهم، وهناك أخذوا يربطون رقبة كل رأس من المواشي بحجر كبير ويلقونه في أعمق نقطة من النهر حتى غطست كلها.

وانتظروا طويلاً وهم يتطلعون إلى صوت الهاتف أن يمنحهم ما يريدون... وأخيرًا وجدوا أنهم فقدوا كل شيء.

الحظ وتقلباته

يُحكى أن شيخًا كان يعيش فوق تل من التلال ويملك جوادًا وحيدًا محببًا إليه، ففرَّ جواده، وجاء إليه جيرانه يواسونه لهذا الحظ العاثر فأجابهم بلا حزن: وما أدراكم أنه حظٌ عاثر؟

وبعد أيام قليلة عاد إليه الجواد مصطحبًا معه عددًا من الخيول البريّة فجاء إليه جيرانه يهنئونه على هذا الحظ السعيد، فأجابهم بلا تهلل: وما أدراكم أنه حظٌ سعيد؟

ولم تمضِ أيام حتى كان ابنه الشاب يدرب أحد هذه الخيول البرية فسقط من فوقه وكسرت ساقه، وجاءوا للشيخ يواسونه في هذا الحظ السيئ فأجابهم بلا هلع: وما أدراكم أنه حظ سيء؟

وبعد أسابيع قليلة أعلنت الحرب وجند شباب القرية وأعفي ابن الشيخ من القتال لكسر ساقه، ومات في الحرب شبابٌ كثر.

وهكذا ظلَّ الحظ العاثر يمهد لحظ سعيد، والحظ السعيد يمهد لحظ عاثر إلى ما لا نهاية..

- **العبرة المستخلصة من هذه الحكاية :**

لا يفرح الإنسان لمجرد أن حظه سعيد فقد تكون السعادة طريقًا للشقاء، والعكس صحيح أيضًا.

البـدويـة

كان لأحد التجار المشهورين ابن شاب يرفض الزواج، على الرغم من إلحاح والده المستمر، وكان يرفض الإفصاحَ عن السبب، وذات يوم، حلّ في ضيافة والدِه رجلٌ ساحر، وقد كلّفه الأب بمفاتحة ولده في موضوع الزواج لعله يقع على السبب في رفض ابنه الزواج...

وبالفعل انفرد الساحر بالولد وقال له:

- إذا صارحتني بالسبب الحقيقي لتهربك من فكرة الزواج فسوف أساعدك من خلال السحر.

فردَّ الشاب على الساحر بأنه يرفض الزواج من أية فتاة ما لم يتأكد من خلو ماضيها من أية شائبة، وأنه لحد الآن لم يقع على فتاة بهذه المواصفات، وأخبره أنه يفضل أن يبقى عازبًا على أن يرتبط بفتاة لها تجربة مع رجل آخر مهما تكن هذه التجربة بسيطة بل وحتى بريئة.

قال الساحر:

- حسنًا خذ هذا الخاتم السحري، وما عليك إلا أن تضعه على صدر الفتاة التي تدخل بيتك في ليلة الزواج الأولى وقبل أن تدخل بها،

وعندئذٍ سوف تتكلم الفتاة بصراحة عن ماضيها بالتفصيل دون أن تشعر، وعليك أن تتصرف على ضوء اعترافاتها، فإن صمتت ولم تتكلم فاعلم أن تاريخَها العاطفي خالٍ من الشوائب.

شكر الشاب ضيف أبيه الساحر على الهدية الثمينة، وفي اليوم التالي قام بخطبة فتاة جميلة من إحدى المدن المجاورة، وفي الليلة الأولى، وبعد أن نامت العروس أخرج الشابّ الخاتم السحري ووضعه على قلبها، فتكلمت دون أن تشعر وتحدثت عن أكثر من شاب دخل قلبَها وعواطفها... إلخ، فرفع صاحبُنا الخاتم وخرج، وفي الصباح أعطى الفتاة ما تريد من الأموال وطلّقها.

وتكررت الحالة مع فتيات أخريات، وكان في كل مرة ينفصل عن المرأة في صباح اليوم التالي من دون أن يدخل بها.

بقي الشاب على هذه الحال لعدة سنوات، وتوفي والدُه، وامتهن هو مهنة التجارة والأسفار، وفي إحدى رحلاته التجارية حلَّ ضيفًا على أحد شيوخِ البدو، فأعجب الشيخُ بأخلاق الشاب وصفاته، وقرَّر أن يزوجه إحدى بناته، ولم يكن أمام صاحبنا سوى القبول حياءً من الشيخ، ثم شكره على تكريمه إيّاه، وصحب الفتاة معه إلى بلدته ليتم زواجه بها.

وفي الليلة الأولى وكالعادة أحضر خاتمه ووضعه على صدر العروس البدوية بعد أن نامت، فلم تتفوّه بحرفٍ واحد، وكرر العملية في الليلة الثانية، وكانت نفس النتيجة، إذْ بقيت الفتاة صامتة طوال الليل، فقرر

الشاب التاجر أن يتخذها زوجةً له، وهكذا استمرّت حياتُهما هانئة لعدة سنوات.

وكان يسكن في تلك المدينة شابٌ ثريٌّ آخر سيء الخُلُق، وكان قد أعجب بالفتاة وهام قلبُه بها منذ اللحظة التي دخلت فيها المدينة ورآها، وكانت الفتاة تشعر بميله نحوها. إلا أنها كانت تتمنّع عنه وتوصد الأبواب بوجهه دائمًا.

وقرر هذا الشاب أن يستغلّ أية فرصةٍ ممكنة لتنفيذ مأربه واللقاء بها بأية طريقة.

وحدث أن قام الزوج التاجر برحلة لعدة شهور، فاستغل الشاب الآخر الفرصة وقرَّر أن يدخل بيتَ البدوية المحكم الأقفال بكل وسيلة، وأخيرًا وبعد تفكيرٍ طويل اشترى بيتًا يقع بالقرب من بيتها، ثم اتفق مع بنّاء حاذق بعد أن أغراه بمبلغ ضخم من المال وطلب منه أن يحفر نفقًا يبدأ من غرفته وينتهي بغرفة البدوية، فجلب البناءُ عامليْن يثق بهما وشرع بحفر النفق أثناء الليل و بسرية تامة. وبالفعل أكمل العمّالُ العمل، ووضعوا في نهاية النفق صخرة لمجرّد رفعها يكون الشاب في غرفة البدوية.

وفي إحدى الليالي ارتدى الشاب أحلى ملابسِهِ وتعطّر وتقلّد سيفَه وسار في السرداب حتى وصل ورفع الصخرة فصار في وسط غرفة البدوية، التي كانت نائمة.

وبعد قليل استيقظتْ فرأتْ الشاب وعرفت غايته، إلا أنها لم ترتعب ولم تفقد هدوءها بل طمأنته بأنه لا داعي لاستعمال القوة، فهي كانت تنتظره بفارغ الصبر، وأخبرته أن مراقبة زوجها المستمرة لها هي التي جعلتها تتمنّع عنه طوال هذه المدة، ثم دخلت معه في أحاديث شيّقة عن الغرام والجمال والمتعة، وقبل أن يلمسها استأذنت منه أن تذهب لتجلب فاكهةً لهما وكذلك ملابس نومٍ له، فأذن لها.

وكانت الفتاة قد أخفت في نفسها أمرًا، فأخفت خنجرًا، وما أن سنحت لها الفرصةُ حتى طعنته في عنقه فقتلته وقطعت رأسَه وألقته في السرداب وأعادت الصخرة إلى مكانها.

وبعد مدة من الزمن عاد الزوجُ من رحلته واستقبلته زوجتُه بالترحاب، ولكنه لم يكن متأكدًا من مدى إخلاص زوجته له في غيبته الطويلة، وبعد نومها وضع الخاتم على صدرها فإذا بها تقول:

- لقد استطاع ذلك الشاب الخبيث أن يدخل بيتي....

فانفعل الزوج وأسرع برفع الخاتم دون أن يصغي لباقي كلامِها.

وفي الصباح طلب منها أن تأخذ ما تريد من مالٍ ومجوهرات وأغراض ثمينة وتعود إلى بيت أهلها، وعلى الرغم من إلحاحها عليه وتوسلاتها أن يخبرها بالسبب، وأخيرًا أدركت أنه علم بطريقة ما بدخول الشاب إلى البيت وأنه لم يشأ أن يستمع إلى نهاية الحكاية، فأخذت ما تريد من البيت وخرجت

لكنّ البدوية لم تذهب إلى أهلها، بل قامت ببيع ما معها من مجوهرات في نفس البلدة وتنكرت بزي شاب تاجر وفد إلى المدينة حديثًا، وأقامت علاقات مع كبار التجار وقامت بعدة رحلات تجارية موفقة، وكان بعضُها بصحبة زوجها، وقد برزت في مجال التجارة وأصبحت (تاجرًا) يُشار له بالبنان.

بعد ذلك قامت بشراء بيت الشاب الذي اقتحم بيتها وقتلته، وسكنت فيه.

بعد مدة وأثناء الليل ارتدت ملابس الحرب وتقلدت بسيف بتّار وتلثّمت ودخلت نفس السرداب الذي استخدمه الشاب المقتول وظهرت في غرفة زوجها، فاستيقظ مرعوبًا فرأى فارسًا مسلحًا شاهرًا سيفه يقف عند رأسه، فسأله ماذا تريد ؟.. قالت: أنا التاجر فلان، جئت أريد منك كذا وكذا.. وهددته بالقتل فورًا إذا لم ينفّذ مطالبه، ورضخ لمشيئتها وأعطاها كل ما طلبته، وبعد أن جعلته يعترف بخضوعه وخوفه كشفت له عن نفسِها شارحةً له قصتَها مع ذلك الشاب، ودلّته على رأسه المقطوع والرجل يرتجف من هول الموقف وكأنه في حلم، ثم قالت له: أردتُ أن أثبِت لك أني بريئة عفيفة قبل أن أعود إلى أهلي.

فتوسل بها أن تبقى وتنسى الماضي معترِفًا بذنبه وتسرّعه، إلا أنها رفضت الحياة مع إنسان تسيطر عليه الشكوك، تركته وعادت إلى أهلها في البادية.

حكاية محمد جلبي

بدأت جدّتي حكايتها بقولها:

كان في قديم الزمان ملكٌ حكيمٌ له ثلاثة أولاد ذكور، سليمان كان أكبر أولاده، أمّا راغب فكان الأوسط، وكان محمّد جَلَبي آخر العنقود.

بعد أنْ أصاب القحط مملكتهم وبينما كان الملك على فراش الموت محتضرًا، استدعى أولاده الثلاثة ليتلوا عليهم وصيّته الأخيرة... قال الملك:

- بعد وفاتي سيكون وزيري شعلان حاكمًا لمملكتنا، أمّا أنتم فأوصيكم بترك هذه الديار، سيحوا في أرض الله الواسعة وابحثوا لشعبكم عن أراض خصبة قرب نهر، وعندما تجدونها ارجعوا إلى موطنكم واصطحبوا شعبكم إلى هناك لتبدأوا حياة جديدة مليئة بالخير والرفاه. وأثناء سفركم لا تبيتوا في الليل تحت شجرة عملاقة ولا في الخرائب ولا قرب طاحونة مهجورة.

بعد أن أسلم الملك الحكيم الروح وبعد انقضاء مراسيم الدفن، ودّع الأشقاء الثلاثة رعيّتهم وبدأوا رحلتهم نحو المجهول بقلوب يملأها

الغم. بعد رحلة مضنية وعندما أسدل الليل ستائره قرروا المبيت ومواصلة رحلتهم في الصباح الباكر.

على مقربة من مكان توقّفهم لاحظوا وجود شجرة عملاقة فقال سليمان الشقيق الأكبر:

- من الأفضل أن نبيت تحت هذه الشجرة فإنّي أراها مناسبة للمبيت.

وافق الشقيق الأوسط راغب على اقتراح شقيقه ولكن محمّد جَلَبي الشقيق الأصغر تدخل معترضًا:

- ألم يوصينا والدنا بعدم المبيت تحت شجرة عملاقة ؟

أجابه سليمان:

- لا أرى سببًا مقنعًا يمنعنا من المبيت تحت هذه الشجرة، ثمّ أنّي سأقوم بمهمّة الحراسة هذه الليلة وأهيئ لنا طعام الفطور وسيكون جاهزا عند استيقاظكم في الصباح.

بعد مناقشات حامية وافق محمّد مرغَما على اقتراح سليمان، فنام الشقيقان وظلّ سليمان ساهرا يحرسهم.

قبل انبلاج خيوط الفجر أشعل سليمان نارًا وهيأ طعام الفطور، في تلك اللحظة سمع صوتًا غريبًا كفحيح الأفعى وفجأة ظهر أمامه غول قزم طوله شبر واحد وطول لحيته أربعون شبرا، فجفل سليمان من هول المفاجأة وتسمّر في مكانه مرعوبًا.

قال الغول القزم مادًّا يده اليمنى:

- أين حصَّتي من الطعام؟

أمسك سليمان قِدْر الطعام وهو يرتجف من الخوف وناوله إلى الغول لاتقاء شرّه. أخذ الغول غنيمته واختفى بسرعة في الظلام.

في الصباح الباكر استيقظ شقيقا سليمان من النوم وتهيئا لتناول طعام الفطور، فبادرهما سليمان وقصّ عليهما ما حدث له في الليل مع الغول القزم.

قال محمّد معقّبًا:

- لِمَ لَمْ تقتله بضربة من سيفك ؟

أجابه سليمان:

- لقد شُلَّت يدي من هول المفاجأة.

بدأ الإخوة الثلاثة رحلتهم مرة أخرى بعد تناولهم وجبة خفيفة من الطعام، فساروا طول النهار بحثًا عن أراضٍ خصبة تكون قرب مجرى للمياه ولكن جهودهم لم تتكلل بالنجاح، وعند حلول الظلام لاحظوا آثار خرائب على مقربة منهم.

قال راغب :

- أقترح المبيت داخل هذه الخرائب فالطقس هذه الليلة بارد جدًا.

وافق سليمان على اقتراح شقيقه فوراً، ولكنّ محمّد قال معترضًا:

- كيف نسيتم وصيّة والدنا بهذه السرعة ؟ ألمْ يوصنا بعدم المبيت في الخرائب ؟ هل نسيتم ما حدث الليلة الماضية ؟

قال راغب ضاحكًا:

- سأستلم المناوبة هذه الليلة وسأشطر الغول القزم إلى شطرين بسيفي إنْ ظهر أمامي فلا تقلق يا محمّد، وسأهيئ لكم فطوراً لذيذًا لم تحلموا بمثله أبدًا.

وبعد نقاش طويل خضع محمّد لرغبة أخوته مرغَما.

قبل انبلاج خيوط الفجر أشعل راغب ناراً وهيأ طعام الفطور، في تلك اللحظة سمع صوتًا غريبًا كفحيح الأفعى وفجأة ظهر أمامه غول طوله شبر واحد وطول لحيته أربعون شبرًا، فجفل راغب من هول المفاجأة وتسمّر في مكانه مرعوبًا.

قال الغول مادًّا يده اليمنى:

- أين حصّتي من الطعام؟

أمسك راغب قِدْر الطعام وهو يرتجف من الخوف وناوله إلى الغول لاتقاء شرّه. أخذ الغول غنيمته واختفى بسرعة في الظلام.

في الصباح الباكر استيقظ شقيقا راغب من النوم وتهيئا لتناول طعام الفطور، فبادرهما راغب وقصّ عليهما ما حدث له في الليل مع الغول القزم. .

قال محمّد معقّبًا:

- لِمَ لَمْ تقتله بضربة من سيفك ؟

أجابه راغب:

- لقد شُلَّت يدي من هول المفاجأة.

بدأ الإخوة الثلاثة رحلتهم مرة أخرى بعد تناولهم وجبة خفيفة من الطعام، فساروا طول النهار بحثًا عن أراضٍ خصبة تكون قرب مجرى للمياه ولكن جهودهم لم تتكلل بالنجاح، وعند حلول الظلام لاحظوا وجود طاحونة مهجورة على مقربة منهم.. قال سليمان ::

- أقترح المبيت داخل هذه الطاحونة المهجورة فالطقس هذه الليلة بارد جدًا.

وافق راغب على اقتراح شقيقه فورًا، ولكنّ محمّد قال معترضًا:

- كيف نسيتم وصيّة والدنا بهذه السرعة ؟ ألمْ يوصِنا بعدم المبيت في طاحونة مهجورة؟ هل نسيتم ما حدث في الليلتين الماضيتين؟ ولكن إنّ كنتم مصرين على المبيت هناك سأستلم أنا المناوبة هذه الليلة لأنّي مزمع على الانتقام من هذا الغول القزم لسرقته طعامنا مرّتين.

قبل انبلاج خيوط الفجر أشعل محمّد نارًا وهيأ طعام الفطور، في تلك اللحظة سمع صوتًا غريبًا كفحيح الأفعى وفجأة ظهر أمامه غول طوله شبر واحد وطول لحيته أربعون شبرًا، فجفل محمّد من هول المفاجأة ولكنّه استعاد رباطة جأشه بسرعة.

قال الغول مادًّا يده اليمنى:

- أين حصّتي من الطعام؟

سحب محمّد سيفه بسرعة البرق وهوى به على اليد الممدودة للغول القزم فقطعها من الكاحل. تراجع القزم وهو يصيح من شدة الألم واختفى في الظلام الدامس.

هرول محمَّد خلف الغول راميًا قتله، ولكنّ جهوده ذهبت أدراج الرياح، فالغول اختفى كأنّ الأرض انشقت وابتلعته.

في الصباح استيقظ سليمان وراغب ووجدا قِدْر الطعام جاهزًا ومحمَّد يحرسه والسيف بيمينه.. قال سليمان بلهفة:

- ماذا حدث ونحن نيام، ألم يحضر القزم الملعون لأخذ طعامنا ؟

أجابه محمّد بفخر:

- بلى ولكنّي أعطيته درسًا لن ينساه طوال حياته، انظرا هذه يده اليمنى بترتها بحسامي وسيكون عبرة لمن اعتبر، هيّا لنتناول طعامنا قبل أنْ يبرد، وبعد ذلك سنقتفي آثار الغول السارق للقضاء عليه نهائيًا.

أكمل الأشقاء الثلاثة وجبتهم الشهية وبدأوا باقتفاء آثار قطرات دم الغول على الأرض، فقادتهم آثار الدماء إلى حافة بئر عميقة. تمعّنوا إلى داخل البئر ولكنّهم لم يروا شيئًا لعمق البئر، ولكنّهم في تلك الأثناء سمعوا صوت نحيب امرأة صادراً من قعر البئر.. تبادل الأشقاء الثلاثة نظرات الاستغراب، ثم تكلّم محمّد قائلاً:

- سأحضر حبلاً طويلاً ولتساعداني في الهبوط إلى قعر البئر، سأنقذ هذه المرأة المسكينة وسأقتل الغول القزم انتقامًا لما اقترفته يداه بحقنّا وبحق تلك المسكينة.

أحضر محمّد حبلاً وربطه حول خاصرته وتعاون سليمان مع شقيقه راغب وأنزلا شقيقهما الأصغر إلى الجُب.

عندما لمستْ قدما محمّد قاع البئر حلّ عُقدة الحبل وتمعّن حواليه فرأى سبعة أبواب، سحب سيفه من غمده وفتح الباب الأول ودخل إلى غرفة واسعة عارية من الأثاث، لاحظ محمّد وجود فتاة جميلة في ريعان الشباب مكوّمة في أحد أركان الغرفة وكانت ترتجف من الخوف والهلع. اقترب محمّد منها وخفف من روعها بكلمات رقيقة وقال لها برفق:

- تعالي معي سأُخرجك من هذا السجن.

ربط محمّد الحبل حول خاصرة الفتاة وصاح بأعلى صوته مخاطبًا شقيقيه:

- اسحبا الحبل إلى الأعلى.

تمَّت عملية الانقاذ للفتاة بنجاح، ثمّ رمى الشقيقان طرف الحبل مرّة أُخرى إلى قاع البئر. في تلك الأثناء فتح محمّدُ جلُبي الباب الثاني وهاله ما رأى، في ركن الغرفة وجدَ فتاة أخرى أجمل من فتاة الغرفة الأولى مكوّمة كشقيقتها وهي تنتحب وترتجف من الخوف.. تكررت عملية الانقاذ للفتاة وعند وصولها إلى السطح سمع محمّد صوت صرير الباب السابع وخرج من الغرفة الغول القزم زاعقًا بصوتٍ يصمّ الآذان:

- هذا أنت إذن، لقد كنت أبحث عنك في السماء ووجدتك على الأرض سأخنقك بيدٍ واحدة.

هجم القزم على محمّد والشرر يتطاير من عينيه كالبرق واشتبك الغريمان في قتال عنيف... سحب محمّد سيفه من غمده وبضربة قاضية دحرج رأس الغول على الأرض.

بعد مقتل الغول القزم فتح محمّد بقية أبواب الغرف فلم يجد فيها أحدًا، ربط طرف الحبل في خاصرته ثم صاح بأعلى صوته:

- ارفعاني.

بدأ الشقيقان بسحب محمّد إلى الأعلى ولكن بإشارة من سليمان لراغب أوقفا عملية السحب. قال سليمان مخاطبًا شقيقه راغب وفي عينيه بريق غريب:

- أنقذنا فتاتين، فإذا أنقذنا محمّد من البئر فسيحصل خلاف لا يُحمد عقباه بيننا حول من سيتزوج من الفتاتين، لذا أقترح ترك الحبل ليسقط محمّد في البئر، ما رأيك؟

كان الشقيقان يشعران في نفسيهما بالحسد تجاه محمّد منذ طفولتهم لأن والدهم الملك كان يُحب محمّدًا أكثر منهما لكونه الأصغر ولشجاعته ونباهته وحُسن أخلاقه.

فكّر راغب باقتراح شقيقه الأكبر سليمان لبرهة ثمّ أومأ برأسه موافقًا على خطّة الخيانة الجهنمية.

تركَ الشقيقان طرف الحبل فسقط شقيقهما الأصغر إلى قعر الجب، ثمّ أسرعا مبتعدين برفقة الفتاتين.

صعق محمّد من هول المفاجأة، وقام على الفور صائحًا:

- ماذا حدث، هل انقطع الحبل؟، أجيبوني بحق الله.

لم يستلم محمّد أية إجابة على تساؤلاته، وبدأ ينادي مرّة أخرى ولكن لا مجيب، ثمّ خارت قواه وتملّكه يأس قاتل، فها هو يجد نفسه وحيدًا في قعر البئر مع جثّة الغول القزم.

جلس القرفصاء وحصر رأسه بين يديه وبدأ يُفكّر بطريقة للخروج من هذا المأزق المميت وأنّب نفسه لوضع ثقته بشقيقيه الخائنين.

فجأة لمع في عقله تساؤل:

- كيف كان الغول ينزل إلى البئر وكيف كان يصعد إلى السطح؟ لابدّ أنْ يكون هناك منفذ آخر لهذا البئر اللعين.

بدأ محمّد بفحص جميع الغرف، وأخيرًا دخل إلى الغرفة السابعة والتي خرج منها الغول فألفى نفسه في قاعة كبيرة مؤثثة بأفخر الأثاث، في الجدار المقابل للباب وجد مقبضًا من النحاس. فأداره، فتفاجأ بحركة جزء من الجدار حركة محورية فرأى نور الشمس الساطع يتسلل من الفتحة وأغمض عينيه لبرهة متحاشيًا البريق الساطع... دلف من الباب إلى الخارج قبل أن ينغلق ثمّ ارتقى درجات سلم حجري فوجد

نفسه في غابة واسعة لَمْ يرَ لجمالها مثيلاً، أشجار باسقة وزهور يانعة وطيور مغردة... في وسط الغابة رآى شجرة عملاقة مخضرة الأغصان لا مثيل لها. شعر محمّد بالإرهاق بعد يوم حافل بالصراع فتمدد على مبعدة من الشجرة العجيبة، فقد تذكّر وصية والده، بعدها راح في سبات عميق.

بعد فترة طويلة استيقظ من نومه على صوت فحيح حية عملاقة تربض في وكرها تحت الشجرة العملاقة، بدأت الحية تتسلق جذع الشجرة، فراقبها عن كثب. الحية كانت تزحف إلى الأعلى نحو عش طائر وعندما وصلت إلى الهدف التهمت فرختين من الفراخ الأربعة التي كانت في العش ثم تسللت راجعة إلى أسفل الشجرة العملاقة ورقدت في وكرها.

سحب الأمير محمّد جَلَبي سيفه واتجه صوب الحية وبضربة واحدة على رأسها قتلها ووضع قطعًا من لحمها في عش الطائر طعامًا للفرخين الباقيين على قيد الحياة، وتمدد في ظل الشجرة للراحة.

بعد قليل ظهر في السماء نسرٌ كبيرٌ حطَّ على قمّة الشجرة قرب العش فلاحظ اختفاء فرختين من فراخه فجن جنونه وحلّق قرب الشجرة وبدأ يتفحص ما حولها باحثًا عن قاتل أو مختطف فراخه.

شاهد النسر محمّد جَلَبي تحت الشجرة فانقض عليه ناويًا الانتقام منه، ولكنّ الفرختين بدأتا بالصراخ:

- لا تقتليه يا أمّي لأنه ليس القاتل، القاتلة هي الحية وهذا الذي ترومين قتله هو الذي بطش بها وقطّع جسدها لتكون لنا طعامًا.

هدأ النسر ونظر بامتنان إلى محمّد وخاطبه قائلاً:

- سأكافئك على صنيعك هذا، اطلب منّي ما تريد.

أجاب محمّد النسر:

- أطلب منك أنْ تحملني على ظهرك وتأخذني إلى أقرب مدينة.

ركب محمّد على ظهر النسر، وحلّق النسر عاليًا ثمّ حطّ على مشارف أقرب مدينة ثمّ ودّع محمّدًا وتمنّى له التوفيق وقفل راجعًا إلى العش.

بعد مسيرة قصيرة دخل محّمد المدينة وهو يلهث من العطش. وفي أحد الأزقة طرَقَ أوّل باب صادفه، بعد هنيهة فتحت الباب امرأة عجوز وقالت:

- ماذا تُريد يا ولدي؟

- أُريد شربة ماء ومكانًا للمبيت فقد هدَّني التعب.

اختفت العجوز في الداخل لبرهة ثمّ عادت وهي تحمل إناءً مملوءًا بسائل أصفر، قرّب بطلنا الإناء من فمه ولكنّه شمّ رائحة غريبة وقال:

- ما هذا؟ هذا السائل تفوح منه رائحة البول، أتحاولين قتلي يا امرأة ؟

بكت العجوز بمرارة وقالت:

- أدخل يا ولدي سأحكي لك ما نعانيه في هذه المدينة المنكوبة.

واستطرت قائلة:

- المصدر الوحيد للماء في مدينتنا نهر يقبع في مصبّه غول ضخم مرعب يمنع جريان النهر فتتجمّع المياه في بحيرة قرب المصب، وفي كلّ يوم يطلب منّا فتاة شابة تحمل قِدْرًا من الرز المطبوخ، بعد التهام الفتاة والرز يحرّك جسده قليلاً ويسمح لماء النهر بالجريان لفترة قصيرة، كمية الماء القليلة هذه لا تكفي لجميع سكان المدينة، في الأمس طلب الغول الأميرة الحسناء بنت الملك كقربان وملكنا حائر ولا يدري ما سيفعل، هل يضحّي بابنته أم يدع شعبه يموت من العطش والجوع بسبب الجفاف ؟

أصاب العجب محمّد جَلَبي، ثمّ قال:

- أنا مرهق جدًا هل أستطيع المبيت عندكِ الليلة ؟

- سأهيئ لك فراشًا في ركن الغرفة يا ولدي.

في الصباح ذهب الأمير محمّد إلى مصب النهر واختفى بين الأشجار وبدأ يراقب المكان عن كثب. بعد فترة حضرت الأميرة وهي تحمل قِدْرًا مليئًا بالرز المطبوخ وسارت بخطوات وئيدة نحو الغول وهي تبكي حظّها العاثر. في تلك الأثناء ظهر محمّد من مكمنه وأمسك الأميرة من يدها ومنعها من الاقتراب من الغول خطوة أخرى.. جفلت الأميرة لأول وهلة ثمّ قالت:

- مَنْ أنتَ، ما الذي تحاول فعله ؟ سيقضي الغول عليك بضربة واحدة، أرجوك أنْ تبتعد من هنا بسرعة.
- لا تخافي أيتها الحسناء سأنقذك من هذه الكارثة.

تسمّرت الأميرة في مكانها من الخوف وبدأت تدعو الله لكي ينقذها وهذا الشاب الجسور من هذه المحنة.

زعق الغول بصوت مدوّي وانقض بسرعة البرق على الأمير محمّد والشرر يتطاير من عينيه، تفادى محمّد بخفة الصولة الأولى للغول فسقط الغول على الأرض، وقبل أنْ يسترجع توازنه عاجله بطلنا بضربة من سيفه البتّار فقضى عليه قضاء مبرمًا وسالت دماء الغول على الأرض بغزارة ثمّ صبّت في مياه البحيرة فتحول لون مياه البحيرة والنهر إلى اللون الأحمر.

قبلّت الأميرة الحسناء محمّد جَلَبي وشكرته على صنيعه وقالت:
- تعال معي سآخذك إلى أبي ليكافئك لإنقاذي من الموت وإنقاذ سكّان مدينتنا من العطش.
- ليس الآن، لدي مهمّة عاجلة يجب إنجازها.
- ما هي؟ هل تستطيع أنْ تخبرني؟
- أبحث عن أخوتي.
- سنساعدك في البحث، هيّا معي.

- كلّا سأبحث بنفسي، هذه قضيّة عائلية ولا أرغب أنّ يتدخل أحد فيها.

- قل لي ما اسمك ؟

- لا يهم.

- أين سنجدك؟

- ليس لي عنوان ثابت، فأنا أسيح في أرض الله الواسعة.

بعد هذا الحوار القصير ودّع محمّد الأميرة واستدار باتجاه الغابة المجاورة، في تلك اللحظة غمست الأميرة يدها اليمنى في بركة صغيرة تجمع فيها دم الغول ثمّ وضعت يدها الملطخة بالدم على ظهر محمّد جَلَبي فانطبعت أثار أصابعها على قميصه الأبيض.

رجع محمّد إلى بيت العجوز، ورجعت الأميرة إلى قصر والدها، فأُقيمت الأفراح لنجاتها ونجاة المدينة من الغول.

شعور الأميرة نحو محمّد تحول من الامتنان والإعجاب بشجاعته تدريجيًا إلى حُبٍّ جارف أسهدها ليالي طوال فطلبت من والدها إرسال جنوده للبحث عن المُنقِذ المجهول، ولكنّ جميع الجهود لم تفلح في العثور عليه.

قالت الأميرة مخاطبة والدها:

- لدي طريقة للعثور عليه.

- ما هي يا بنيتي؟

ـ أصدر أمرًا لجنودك لجمع جميع شباب المدينة في الساحة الكبرى وليفحص الجنود قمصان الشباب، فإن وجدوا آثار دم الغول على قفا قميص أحد الشباب فهو الشاب الذي نبحث عنه.

أصدر ملك مملكة قندبور أوامره لتنفيذ خطة ابنته، فتجمّع جميع شباب المدينة في الساحة الكبرى للمدينة، ولكنّ الجنود لَمْ يعثروا على المُنقِذ المتواري عن الأنظار.

سمعت العجوز بما حدث في الساحة الكبرى وتناهى إلى سمعها بأن الملك قد خصص مكافأة ثمينة لمن يدل على البطل المختفي عن الأنظار، وكانت قد لاحظت آثار دماء على قميص ضيفها بعد إيابه إلى المنزل في يوم مقتل الغول. في الصباح الباكر توجهت العجوز صوب قصر الملك وطلبت مقابلة الملك لإبلاغه بمعلوماتها حول ضيفها. بعد فترة انتظار سُمِح لها بمقابلة الملك فحكت كلّ ما تعرفه عن ضيفها.

أرسل الملك قائد الجيش مع عدد من الجنود لإحضار محمّد جَلَبي إلى القصر. في القصر كانت الأميرة كلناز تنتظر حبيبها على أحر من الجمر، وفي تلك الأثناء سمعت جلبة الجنود وهم يدخلون القصر بصحبة الأمير محمّد فأسرعت إلى الديوان الملكي والأرض لا تسعها من الفرحة... عانق الملك الأمير وشكره على إنقاذه لابنته والمدينة من الغول الذي التهمَ مئات من فتيات المملكة وتسبب في العطش وجفاف حقول القمح والمزروعات.

كانت الأميرة كلناز أسعد الحاضرين بالحدث وكانت لا ترفع ناظريها عن الأمير الوسيم لحظة.

حكى الأمير حكايته للملك من يوم وفاة والده ملك مملكة زاريندا حتّى وصوله إلى هذه المدينة وما جرى له من أحداث جسام أثناء رحلته للبحث عن أراض خصبة قرب نهر لإنقاذ شعبه من الجوعِ بسبب الجفاف والقحط.

ترقرقت عينا الملك بالدموعِ وقال مخاطبًا ضيفه الأمير:

- اسمع يا بني، لقد كبِرتُ في العُمر وليس لي ولد يرث ملكي، ما رأيك أنْ تكون وريثي على العرش وتتزوجِ ابنتي كلناز، فهي تهيم بك، وتستطيع بعد مراسيم الزواج السفر إلى مملكتك لإحضار شعبك إلى هنا وسأخصص لهم قسم من أراضي المملكة ليعيشوا عليها؟

تهللت أسارير الأمير بسبب هذا العرض السخي من الملك وقال:

- أقبل عرضك الكريم بامتنان.

قبَّلَ الأمير يد الملك وعانقه عناق الابن لوالده، ثمّ قبّل يد عروسته المقبلة.

بعد عدة أيام بدأت الاحتفالات بزواج الأمير محمّد من الأميرة كلناز، ثمّ سافر الأمير بعد عدّة أيام بصحبة عدد من الجنود لجلب رعيته إلى موطنهم الجديد.

تمّت عملية الهجرة إلى الموطن الجديد، واستقر شعب زاريندا مع أميرهم في موطنهم الجديد.

بعد مرور شهر على الأحداث السابقة وصل سليمان وراغب بصحبة فتاتي البئر إلى المدينة، وطلبوا مقابلة الملك شاهباز لأمر هام.

أثناء المقابلة عرّفا الملك بنفسيهما وقصّا عليه قصّتهما من يوم وفاة والدهم الملك لحين وصولهم إلى هذه المدينة، ولكنّهما أغفلا ذكر الأمير محمّد والجزء المتعلق بخيانتهما لشقيقهما الأصغر وتركهما له في البئر، وطلبا من الملك تخصيص جزء من أراضي مملكته ليعيش عليها شعبهم.

أدرك الملك ببصيرته أنَّ هذين الشخصين هما شقيقا الأمير محمّد فقال لهما بخُبثٍ مصطنع:

- لقد تركت تسيير أمور المملكة لوريثي الأمير، وتستطيعان مقابلته وعرض طلبكما عليه، وما سيقرره الأمير سينفّذ بحذافيره

أصدر الملك أوامره إلى الحُرَّاس لترتيب مقابلة بين الأمير والشقيقين، وعند دخولهما عليه تعرّفا على شقيقهما فأحسا بالندم لما اقترفت يداهما بحقه وتمنيا في تلك اللحظة أنْ تنشّق الأرض وتبتلعهما.

قال سليمان:

- أحمُدُ الله على سلامتك وأتوسل اليك أنّ تسامحنا فقد أعمى الحسد بصيرتنا.

أجابه محمّد قائلاً:

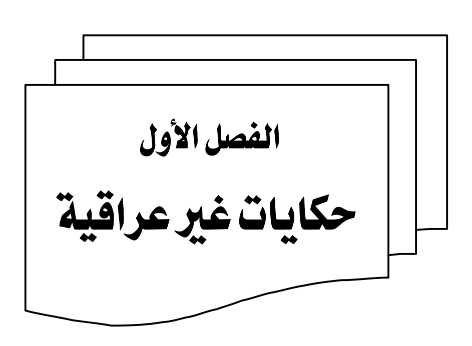
- لا بأس عليكما لقد سامحتكما، ولكن توبا إلى الله توبة نصوحا واطلبا منه العفو والمغفرة مما اقترفت يداكما بحقّي.

بادر راغب مجيبًا:

- أقسم بالله سنفعل ما تُريد منّا، لقد أغوانا الشيطان اللعين فطمعنا وقررنا الاستحواذ على الفتاتين.

تعانق الأشقاء الثلاثة ثمّ حكى كلّ واحدٍ منهم ما جرى له بعد حادثة الجُبّ. *

* يلاحظ هنا أن هناك أوجهًا للتشابه في الإطار العام لهذه الحكاية وليس في التفاصيل وقصة النبي يوسف كما جاءت في الكتب المقدسة.


الفصل الأول
حكايات غير عراقية

ست حكايات من إيسوب

- وُلد إيسوب في عام ٦٢٠ق.م. وتوفي عام ٥٦٤ ق.م.. اشتهر بكتابة الحكايات التي تنسب إليه المسماة (خرافات إيسوب) وكان معاصر لكل من كرويسوس وسولون (المشرع الإغريقي الشهير). نعرف القليل عن حياة إيسوب، ولكن يُعتقد أنه كان عبدًا وعاش في القرن السادس قبل الميلاد. لم يكتب الأساطير بنفسه. إنها أصبحت جزءًا من التقاليد الشفوية لتلاوة القصص التي دُونت في آخر الأمر من قبل معاصريه. ويعتبر إيسوب الإغريقي رائد هذا النوع من القصص الخيالية بلا منازع، ولا يُعرف الكثير عن حياة هذا الفيلسوف والمبدع الكبير لكن المؤرخين متفقون على أنه ولد عبدًا، لكنه استرد حريته فيما بعد واستطاع أن يتوفّر على كثير من الشهرة والصيت بفضل أساطيره الفلسفية المعبرة. وقد سافر إلى العديد من البلدان حتى انتهى به المطاف ضيفًا على بلاط ملك ليديا الذي اصطفاه واحتضنه بعد أن توسّم فيه الكثير من أمارات البراعة والذكاء.

وهناك محاورة طريفة جرت بين إيسوب حين كان عبدًا وبين الأمبراطور كزانثوس نوردها كما هي:

كان إيسوب يباع مع عبدين آخرين فسأل كزانثوس العبد الأول :ماذا تستطيع أن تفعل؟؟.. أجاب العبد الاول : أي شيء سيدي.

فسأل كزانثوس العبد الثاني: ماذا تستطيع أن تفعل؟؟ أجاب العبد الثاني: أي شيء سيدي.

فسأل كزانثوس نفس السؤال إلى إيسوب، فأجاب: أنا لا أستطيع أن أفعل شيئًا يا سيدي.

فدهش الرجل وسأله: كيف ذلك؟؟.. أجاب إيسوب: إن رفيقيّ لم يتركا لي شيئًا أفعله.

فأعجب الرجل بذكائه وقال: حسنًا، الآن لو دفعت فيك ما يطلبون من مال أتكون صالحًا وأمينًا؟ فأجاب إيسوب : إنني يا سيدي أظل صالحًا وأمينًا سواء اشتريتني أم لا.

فازداد إعجاب الرجل به وسأله: خبرني الآن بصدق ألن تحاول أن تهرب؟؟.. أجاب إيسوب :هل سمعت في حياتك يا سيدي عن طائر لم يحاول الهرب من قفصه أو أخبر صاحبه عن نيته للهرب؟

سُر كزانثوس من ذكائه وسرعة بديهته لكنه قال: ألا تعتقد أن الناس سيسخرون مني حين يرون هيئتك المزرية وجسمك المشوه؟؟.. فقال إيسوب: إنه الفيلسوف يا سيدي، ينبغي أن يقيّم الإنسان بعقله لا بجسده.

وبعد هذا الرد المفحم اشتراه كزانثوس، لكن لم يستطع تحمل لسانه اللاذع فأرسله للعمل في الفلاحة.

(١)

ادعاءات رياضي

كان أحد الرياضيين يُطلق عليه زملاؤه لقب (الضعيف) دائمًا، ولذلك فقد قرَّر أن يغادر بلاده لبعض الوقت لغاية في نفسه، ثم عاد.. وعند عودته أخذ يفتخر بأعمال بطولية قام بها في البلاد الأخرى، وبصفة خاصة قفزته التي أنجزها في جزيرة (رودس) وهي قفزة لم يقم بها أيٌّ رياضي أولمبي آخر على حد زعمه.

وقال لمن كان يستمع إليه؛ أنا أستطيع أن أبرهن لكم ذلك من خلال شهادة أحد شهود العيان. ثم أردف قائلاً: هذا في حال حضر أحد الناس الذين شهدوا الواقعة.!

فقال أحد الجالسين: يا عزيزي إذا كان ما قلته صحيحًا، فلن تحتاج إلى تأييد الشهود، وإن هذا المكان الذي تقف فيه سوف يكون مناسباً للبرهنة كما لو كان في (رودس)!.. هيا دعنا نرى قفزتك!.

• • •

- والمغزى من هذه الحكاية : أنه سيكون كلامًا بلا معنى، إذا تكلمنا عن شيء يكون من السهل البرهان عليه.

(٢)

رجلٌ بين امرأتين

كان أحد الرجال قد دبَّ الشيب في رأسه، وكانت له زوجتان تعتنيان به، أحدهما شابة في مقتبل العمر، والأخرى كبيرة السن، وكانت الكبيرة تشعر بالخجل من أن يبادلها الحبَّ شابٌ في ريعان العمر، فكانت عندما يأتي إليها تعمد إلى التقاط ونتف الشعيرات السود من رأسه، أما السيدة الصغيرة التي كانت تُحب أن يعشقها رجلٌ في خريف العمر، فقد اعتادت أن تنتف من شعر رأسه الشعر الأبيض...

وهكذا أصبح الرجل فيما بينهما أصلع الرأس.

(٣)

سنونو واحد لا يدل على قدوم الصيف

بدَّد شابٌ خليعٌ ميراثَ أسرته، ولم يترك شيئًا سوى معطف ثمين يقيه البرد.

وفي أحد الأيام شاهد هذا الشاب أحد طيور السنونو، فاعتقد أن الصيف قد اقترب، ولذا فهو لم يعد بحاجة إلى المعطف بعد الآن... وهكذا باعه كبقية الأشياء الأخرى التي ورثها وباعها.

ولكن بعد أيام أصبح الجو باردًا والهواء فيه عواصف شديدة.

وبينما كان الشاب يتمشى ذات يوم، رأى السنونو ميتًا متجمدًا من شدة البرد، فقال يخاطبه: (مسكينٌ أنت أيها الطائر، لقد أتلفتَ نفسك، كما حطمتني).

• • •

- والمغزى من هذه الحكاية : أن لا يستعجل الإنسان الأشياء قبل أوانها وأن لا ينخدع ببعض المظاهر العارضة.. وهناك مثلٌ عراقي في هذا المنحى يقول: (إن صوت ديكٍ واحدٍ لا يكفي لطلوعِ الفجر).

(٤)

صائد أُسود ولكن !

كان أحد الصيادين يبحث عن آثار أقدام أسد، فسأل حطَّابًا، فيما إذا كان رأى الأسد أو إن كان يعرف أين يقع عرينه.. فقال الحطَّاب؛ إنه بإمكانه أن يُريه الأسدَ نفسه...

وعند سماعه هذا الكلام، امتقع لونُ الصياد واستولى عليه الرعب والفزع، وأخذت أسنانه تصطك، وقال: (أنا أفتش عن آثاره والطريق الذي سلكه فقط، ولستُ أبحث عن الأسد نفسه).

• • •

▪ يبدو لنا أن المغزى من هذه الحكاية، هو ضرورة فضح الجبان المتبجِّح الذي تتمثل بطولتُهُ في الأقوال وليس الأفعال،

ورحم الله شاعرنا المتنبي الذي يقول؛

وإذا ما خلا الجبانُ بأرض   طلبَ الطعنَ وحدَه والنزالا !

(٥)

عـرَّاف لا يعرف ما يقع له

يحكى أن عرَّافًا كان يجلس في ساحة السوق يمارس تجارة رابحة وذلك من خلال استغلاله لجهل الناس وتخلفهم.. وفجأة جاء إليه رجلٌ وأخبره أن باب داره قد تمَّ خلعه من مفاصله، وأن جميع ممتلكاته تتعرض للسرقة... فنهض العرَّاف يملأه الغضب والصراخ، وجرى مسرعًا ليرى ما حدث له...

وكان أحد الأشخاص يراقب المشهد، فقال له: إنك تتنبأ بما يحدث ويقع للناس ولكنك لم تتنبأ بما يقع لك !!.

• • •

▪ لدينا عددٌ من الأمثال الشعبية التي تصبُّ في هذا المنحى ومنها: (طبيبٌ يداوي الناس وهو عليل) ، و (النجار بابه مخلّعة).

(٦)

الأسد والغزال

سقط الأسد مريضًا ورقد في أحد الكهوف، فقال لصديقه المفضل الثعلب: لو أردتَ شفائي حقًا فعليك أن تستخدم لسانك الحلو وكلماتك المعسولة في إغراء ذلك الغزال السمين الذي يعيش في الغابة المجاورة ليأتي لزيارتي و لتطوله مخالبي ! أنا جائع ! وأحسب أن لحمه سيشفيني !.

أطاع الثعلب أمر الأسد وذهب إلى الغابة المجاورة يبحث عن الغزال حتى وجده يرقص مرحًا هنا و هناك. فأخذ يحييه بمعسول الكلام :

– عندي لك أنباء طيبة أنت تعلم أن ملكنا الأسد جاري، وهو الآن مريض وعلى وشك الوفاة، ولقد أخذ يفكّر في أمر الحيوانات ومن الذي يحكمها من بعده، فقال لنفسه من سيحكم الغابة من بعدي؟.. الخنزير، تلك البهيمة الخالية من الإحساس؟.. الدب، ذلك الكسول الغبي؟.. أم الفهد سيء الطبع حاد المزاج؟.. أم النمر ذلك المتبجّح المدعي؟... كلا ! لا أحد من هؤلاء يصلح للحكم !، لا أجد سوى الغزال أفضل الحيوانات في الطبع وفي الصفات التي تؤهله للعرش ! فطوله مناسب وهو حيوان يعيش طويلاً وقرونه تخيف الأفاعي... وهكذا باختصار، عيّنك الأسد ملكًا علينا. فما الذي تكافئني به بوصفي أول

من حمل لك هذه الأخبار الطيبة ! قل لي بسرعة لأنني في عجلة من أمري. إن الأسد يثق في نصيحتي ويعتمد عليها في كل ما يفعله، وقد يكون الآن في حاجة إلي... لو استمعتَ إلى نصيحة ثعلب عجوز، فلابد أن تأتي معي لتبقى مع ملكنا حتى تحضره الوفاة !.

امتلأت رأس الغزال بكلام الثعلب وانتفخ غرورًا، فذهب معه إلى الكهف الذي يرقد فيه الأسد المريض دون أن يخامره أدنى شك في ما يمكن أن يحدث له.. وما أن شاهده الأسد حتى انقض عليه بلهفة لكنه لم ينجح إلا في قطع أذنه بمخالبه لأن الغزال أسرع بالفرار إلى الغابة فضرب الثعلب بقدميه في يأس وحسرة على جهوده التي ضاعت سدى. و راح الأسد يزأر و يئن من الجوع. ثم في النهاية أخذ يرجو الثعلب أن يحاول مرة أخرى إغراء الغزال بالعودة إليه. فقال الثعلب :" إن ما تطلبه مني لأمر في غاية الصعوبة ومع ذلك فسوف أحاول من أجلك".

وراح الثعلب يشحذ مواهبه في المكر والدهاء، ويسأل الرُعاة عن مكان الغزال، إلى أن وجده... كان الغزال يتميز من الغيظ، وعندما رآه انفجر فيه:"أنت مرة أخرى أيها الوغد! جئت لتوقع بي! إذا اقتربت مني فسوف تدفع حياتك ثمنًا لذلك! اذهب واخدع الآخرين ممن لا يعرفون من أنت. ابحث عن شخص آخر تجعله ملكًا وتدفعه إلى الجنون!".

فأجاب الثعلب: "هل أنت جبان يائس على هذا النحو؟ هل تتشكك في أصدقائك؟ عندما أمسك الأسد بأذنك، أراد أن يعطيك آخر

نصيحة له وآخر تعليماته قبل أن يموت. ذلك لأن مسؤولياتك هائلة كملك. لكنك لم تتحمل حتى مجرد خدش بسيط من مخالب مخلوق مريض، هو الآن أشد غضبًا منك و يريد أن يجعل من الذئب ملكًا، وسيكون أسوء سيد علينا. تعال معي ولا تخش شيئا. وكن حليمًا كالخراف. أقسم لك بجميع هذه الأوراق وجميع الينابيع إن الأسد لن يؤذيك وإني لن أرضى بك بديلاً سيدًا وملكًا على جميع الحيوانات !".

بهذه الكلمات المعسولة أغرى الثعلب مرة أخرى الغزال التعس بالعودة معه أخرى إلى حيث يرقد الأسد... وما إن دخل الكهف حتى هجم عليه الأسد ومزَّقه تمزيقًا وجعل منه وجبة شهية، وأكل اللحم والعظم حتى النخاع ثم أتى على الأحشاء. والثعلب واقفٌ يشاهد.. عندما سقط القلب من جسد الذبيحة جرى إليه الثعلب والتهمه واعتبره مكافأة على جهوده، وعندما راح الأسد يفتش عنه في جميع الأشلاء قال له الثعلب: " عليك أن تكف عن البحث فالواقع أنه كان بدون قلب، وأي قلب هذا الذي تتوقعه من مخلوق يأتي إلى عرين الأسد مرتين وتطوله مخالبه ؟".

• • •

▪ المغزى الأخلاقي من هذه الحكاية: أن الناس يتطلعون بلهفة إلى المجد، حتى تختفي عقولهم وراء سحب الرغبة، فلا يدركون الأخطار المحدقة بهم.

العصا السحرية

(حكاية من أذربيجان)



تقول الحكاية :

كان ياما كان وعلى الله التكلان، كان في قديم الزمان يعيش راعٍ مع ولديه؛ ولد وبنت، مع قطيع من الأغنام.. وفي أحد الأيام وبينما هما يرعيان قطيعهما مع أبيهما في الغابة، طلبا منه أن يسمح لهما باللعب داخل الغابة، فوافق الأب على ذلك...

وبينما هما يتجولان فيها، فإذا بهما يقفان أمام طائر صغير جميل، يطير ويهبط فظنَّاه عاجزًا عن الطيران ولحقا به، لكنه كان يطير حينما يقتربان منه، ويقترب عندما يبتعدان... وهكذا استمرت مطاردتهم ساعات، حتى غابت الشمس، فلم يتمكنا من معرفة طريق العودة الذي يوصلهما إلى كوخ والدهما.. فصعد الصبي إحدى الأشجار، وكم كانت فرحتهما عندما رأى نوراً ينبعث من أحد الأمكنة القريبة، فتابعا سيرهما حتى وصلا إلى ذلك الكوخ، طرقا الباب، فاستقبلتهما امرأةٌ عجوزٌ أحسن استقبال، وقدمت لهما، وهيأت لهما الفراش الوثير...

وعند الصباح طلبا منها أن تدلهما على والدهما.. رفضت العجوز بحجة إنهما اجتازا خط السحر، وليس باستطاعتهما العودة مرة أخرى حيث أن سحرة الغابة يبحثون عنهما الآن، وأخبرتهما أن الطائر الذي لحقا به كان رسولاً من السحرة جاء ليأتي بهما... ولهذا فقد طلبت منهما أن يعيشا معها ليساعداها في شؤون البيت، ومن أجل أن يحافظا على نفسيهما من الهلاك.

وافق الأخوان على عرض العجوز على مضض، وأوصت العجوز الفتاة أن لا تفتح القبو الداخلي، وأوصتهما أن لا يخرجا ليلاً خوفًا عليها من السحرة وباقي الوحوش.

وهكذا استمر الحال بالأخوين الصغيرين.

وفي إحدى الليالي سمع الولد الباب يُفتح، نهض بهدوء من فراشه، فرأى العجوز تخرج من الكوخ، وتتجه نحو أحد الوديان، فتبعها، وهناك رآها تخلع ملابسها، وإذا بها غولة بشعة المنظر.. شاهدها بعد ذلك تتجه إلى مدخل الوادي، فإذا بغول كبير يستقبلها وهو يقول: حبيبتي، أشم رائحة طعام في بيتك، فردَّت عليه قائلة: كلا ياحبيبي إنهم صغار، وعندما يكبرون قليلاً سوف نتناول معًا وجبة دسمة شهية.

عاد الولد إلى الكوخ قبل عودة العجوز، وأخبر أخته بذلك، وأمرها أن لا تقول أي شيء، حتى يجدا لهما طريقة تخلصهما من هذه الغولة.

وفي أحد الأيام، وبعد منتصف الليل؛ سمعت الفتاة صوت العجوز وهي تحدِّث شخصًا ما تسأله أن يجلب الدواء لزوجها المريض، فنظرت الفتاة من فتحة باب الغرفة، فرأت العجوز وهي تحدِّث عصا صغيرة كانت تمسك بها بيدها، فعرفت الفتاة أن هذه العصا سحرية، وأخبرت أخاها بذلك.

وفي أحد الأيام ذهبت العجوز إلى ترعة الماء لتغتسل فتسللت الفتاة إليها وسرقت المفتاح الذي كانت تخفيه في ملابسها، وأسرعت إلى الغرفة وفتحت الباب، وأخرجت العصا السحرية، وأمرتها أن تقيِّد العجوز التي جاءت بسرعة، وهكذا تخلصت منها... بعد ذلك فتحت باب القبو الذي أوصت العجوز بعدم فتحه، فرأته مملوءًا بالهياكل العظمية لأناس أكلتهم الغولة سابقًا.. وبعد ذلك جمعت الفتاة وأخوها كل ما هو موجود من أثاث ثمين وحلي ذهبية ولآلئ ودُرر، وطلبا من العصا أن تطير بهما وتوصلهما إلى أبيهما.. فخرج ماردٌ كبيرٌ حملهما على كتفيه وأوصلهما إلى أبيهما، الذي وجداه وقد أنهكه البكاء والحزن عليهما.

بعد ذلك اشتروا لهم قصرًا كبيرًا وعاشوا في المدينة عيشة الأمراء، وعندما كبر الولد تزوج من إحدى بنات السلطان وتزوجت الفتاة أحد الأمراء.

الأحدبان

(حكاية شعبية إيطالية)

كان هناك يومًا صديقان من مدينة (بارما) وكانا أحدبين، وكانا فقيرين معًا إلى حد إنهما لم يكن لديهما فلسٌ واحد، فقال أحدهما:

- سأخرج إلى العالم، فليس لدينا هنا ما نأكل، إننا نموت من الجوع، أريد أن أرى إن كان بوسعي أن أكوِّن لي ثروة.

قال الآخر:

- اذهب فإذا كوَّنت لك ثروة عُدْ، وسوف أذهب أنا وأرى إن كنتُ أستطيع أن أكوِّن ثروةً لي.

وهكذا انطلق الأحدب الأول في رحلته، وكان قد قطع مسافة طويلة، حين وجد نفسه في ساحة كان يُقام فيها معرضٌ يباع فيه كلُّ شيء، وثمة شخص يبيع الجبن وهو ينادي: "كلوا البرماوي الصغير" فظنَّ الأحدب المسكين إن الرجل يقصده ويشير إليه، فابتعد راكضًا وأخفى نفسه في مكانٍ ما.. وعندما بلغت الساعة الواحدة سمع صوت سلاسل وكلمات: السبت والأحد، تتكرر عدة مرات، وعندئذٍ

ردَّ : " ويوم الاثنين " فانتبه أولئك الذين كانوا يغنون : أوه، يا للسماء، ما هذا الصوت الذي تناغم مع جوقتنا ؟ وراحوا يبحثون، فوجدوا الأحدب المسكين المختبئ متكوِّرًا على نفسه، فقال لهم : " أيها السادة، ما جئتُ إلى هنا لأسبِّب أي أذى، إنكم تعرفون ذلك"..

فقالوا له : "حسنًا، لقد جئنا لمكافأتك، فقد تناغمتَ مع جوقتنا، تعال معنا" ثم قاموا بوضعه على منضدة وأزالوا حدبته وعالجوه، ثم أعطوه كيسين من النقود، وقالوا له : "والآن تستطيع أن تذهب" فشكرهم ومضى مبتعدًا من دون حدبته التي أحسَّ حين فقدها أنه يحبها...

وهكذا عاد إلى مكانه في بارما، وعندما رآه صديقه الأحدب الآخر هتف متعجبًا :

– ألا يبدو هذا الشخص شبيهًا بصديقي تمامًا، لكنَّ صديقي كانت له حدبة، لا إنه ليس هو، اسمع، إنك لست صديقي بشكل أو بآخر، ها؟

فأجابه هذا :

– بل أنا هو، أنا صديقك !.

– اسمع، ألم تكن أحدبا ؟!

– أجل، وقد أزالوا حدبتي، وأعطوني كيسين من النقود، وسأقول لك لماذا، فقد وصلت إلى مكان كذا وكذا، وسمعتهم يقولون : "كلوا البرماوي الصغير"، فخفت إلى حدِّ إنني خبَّأتُ نفسي، وفي ساعة معينة، سمعت صوت سلاسل وجوقة تغني : "السبت والأحد" وبعد

مرتين أو ثلاث قلت: "ويوم الاثنين" فجاءوا ووجدوني قائلين؛ إني قد تناغمتُ مع جوقتهم، وأرادوا أن يكافئوني، فأخذوني، وأزالوا حدبتي وأعطوني كيسين من النقود.

فقال الأحدب الآخر:

- يا للسماء، أريد أن أذهب إلى هناك أيضًا.

فقال له صاحبُهُ:

- اذهب ياصديقي المسكين، اذهب، رافقتك السلامة.

وصل الأحدب إلى المكان، وخبَّأ نفسه بالضبط حيث كان صاحبُهُ قد اختبأ، وبعد برهة من الوقت، سمع صوت سلاسل والجوقة تغني: "السبت والأحد ويوم الاثنين" عدة مرات، حتى صاح من مكمنه: "والثلاثاء" ! فصاحوا قائلين: "أين هذا الصوت النشاز الذي أفسد ترتيلنا؟ لو وجدناه، فإننا سنمزقه إربًا إربًا"، وامسكوا بالأحدب المسكين وراحوا يضربونه حتى أصابهم التعب، ثم وضعوه على نفس المنضدة التي كانوا وضعوا صاحبه عليها، وقالوا: "هيا، لنأخذ تلك الحدبة ونضعها له من الأمام"... وهكذا ثبتوا حدبة الأحدب الأول على صدر الأحدب الثاني، وراحوا يدفعون به بعيدًا عنهم، وهم يكيلون له الضربات والرفسات.

فذهب إلى موطنه، ووجد صديقه الذي صاح قائلاً:

- الرحمة، أليس هذا صديقي؟ لا، لا يمكن أن يكون، فهذا محدودب من الأمام، اسمع، الست صديقي ؟

فردَّ عليه باكيًا:

- هو بعينه، لم أكن أطيق حمل حدبتي وها عليَّ الآن أن احمل حدبتي وحدبتك، ومضروب ومسحوق أيضًا، كما ترى !.

فقال صديقه:

- تعال، تعال معي إلى البيت الذي اشتريته، وسنأكل ملء أفواهنا معًا، ولا تكن خائب الرجاء.

وهكذا راحا يتناولان الطعام معًا في كل يوم، إلى أن فرقهما الموت).

• • •

- **يبدو لنا أن من الواضح أن هذه الحكاية تتحدث عن الحظ، وكونه يأتي بصورة عفوية، وأن من شأن القصدية أن تفسده دائمًا.**

أربعُ حكاياتٍ من اليابان

- **مقدمة :**

يصوِّر اليابانيون الثعلبَ في حكاياتهم الشعبية محتالاً مناكدًا، كما هو في حكايات الشعوب والأمم الأخرى، ولكنهم يُضيفون إلى حكاياتهم عنه حسَّ الفكاهة والسخرية من أبطال الحكايات الذين يخدعهم الثعلب، فيتوفر للحكاية طرافتُها، إضافة إلى الهدف الاجتماعي النافع، وهو التحذيرُ من خداع الثعالب.

ويبدو أن تلازم الإنسان والحيوان سمة ظاهرة في الفلكلور الياباني الذي لا يعرف العرَّافات والساحرات والجنيات والمشعوذين، كما في الثقافات التقليدية لدى شعوب أخرى. إننا نقابل في الحكايات الشعبية اليابانية الموروثة قليلاً من العمالقة والأقزام، وبعض الأشباح والوحوش الخرافية، وكثيرًا من الحيوانات؛ فلا تكاد تخلو حكاية شعبية يابانية من حيوان أو أكثر. ويلاحظ قارئُ الحكايات الشعبية اليابانية أن بعض الكائنات الحية يجسَّد أرواحًا لهيئات طبيعية كالجبال والأنهار، وقد (تنقلب) في هيئة آدمية نقية المعدن.

١

طائر الغرنوق*

في يومٍ من الأيام، توجه فلاحٌ شابٌ يتصف بالأمانة إلى الحقول الجبلية ليحتطب، فعثر علي غرنوق جريح يعاني الآلام. قال الفلاح وهو يرى الطائر: "طائرٌ مسكين.. من الذي يطاوعه قلبُه ليُسقِط مثل هذه المخلوق الجميل ؟"

وذات مساء، بعد مرور عدة أيام، دقَّت باب بيت الفلاح الشاب فتاةٌ صغيرة جميلة، سألته أن يأويها الليلة، فالظلام يهبط، وقد أعياها السيرُ فلم تعد تقوى على مواصلته. ولم يلبث الشابُّ أن وقع في حبها من أول نظرة، وسألها أن تبقى معه في بيته إلى الأبد، لتكون زوجةً له، فوافقت على استحياء.

عاشا معا في سعادة غامرة، لم يعكرها إلا فقرُ الشاب، وكان الشتاءُ يقترب وليس لديه من المؤن ما يكفي لمواجهته حتى يأتي الربيع. وحدث أن الزوجة عرضت على زوجها أن تشتغل هي بالنسيج الحريري ويذهب هو إلى عاصمة البلاد، ليبيعه إلى تاجر كبير، مقابل مبلغ مجز

---

* الغرنوق : طائر مائي أبيض اللون جميل المنظر.

من المال. وكان التاجرُ مسروراً بحصوله على الحرير الجميل، وطلب من الشاب أن يأتيه بلفافة أخرى... نقل الشاب رغبة التاجر إلى زوجته، فقالت : لا أعرف إن كان ذلك بإمكاني أم لا، غير أنني سأحاول. وعلى أية حال، من فضلك، لا تدخل عليَّ أو تحاول النظر إليَّ وأنا أعمل أمام النول... وعدها الزوج أن يلتزم بما طلبت، غير أنه عجز، أمام شدة الفضول، عن الوفاء بوعده، فاسترق النظر إليها من خلال ثقب بباب غرفة النسج...

فهل لك أن تتصور ما رأته عيناه؟...

لم تكن زوجته اللطيفة هناك تعمل أمام النول، وإنما رأى طائرًا جميلاً رشيقًا أبيض اللون، رأى الشاب الغرنوقة الأنثى التي أنقذها ذات يوم تجلس إلى النول وكانت تنزع ريشها الأبيض وتنسجه فيستحيل حريرًا أبيضَ لامعًا. فزع الزوج وانطلقت منه، عن غير قصد، صرخة؛ فأدركت أنثى الغرنوق أن زوجها قد حنث بوعده، وابتعدت بجسمها الممشوق عن النول، قائلة : "وحيث أنك قد اكتشفت حقيقتي، فيستحيل عليَّ أن أبقى معك بعد الآن.. إنني أنا طائر الغرنوق الذي أنقذته في منطقة الجبال، وقد أتيت لأردَّ لك صنيعك وإحسانك، غير أنني يتحتم عليَّ الآن أن أغادرك".

ولم يلبث الطائر أن انطلق في الفضاء صاعدًا.إلى السماء الزرقاء.

٢

سيد حصن اوهتات

في زمن الإقطاع، كان لآمر حصن أوهتات ابنة جميلة تدعى كوروهيم. وذات مساء ربيعي، اصطحب آمر الحصن ابنته الأميرة في رحلة خلوية للاستمتاع بقطف بشائر الكرز.. كانت الطبيعة ساحرة، حيث بدت ذرى الجبال البعيدة وقد غطتها الثلوج، بينما افترشت أشجار الكرز ذات الثمار القرمزية التلالَ المحيطة بتلك الجبال. وكان آمر الحصن يحتسي بعضًا من كؤوس الساكي، منتشيًا بما يراه من مناظر خلابة، عندما لمح ثعبانًا أبيض صغيرًا يعترض طريق الأميرة كوروهيم ويتطلع إليها بإعجاب. انتابته الدهشة، فأشار لابنته أن تُعطي الثعبان كأسًا من الساكي، فشرب الثعبان.

وفي وقتٍ متأخرٍ من ليلة اليوم ذاته، استيقظت الأميرة على صوت في مخدعها، ولما فتحت عينيها وجدت محاربًا شابًا أنيقًا جالسًا بالقرب من فراشها، بادرها بالكلام كما لو كان يتوسل إليها: "أيتها الأميرة كورهيم، إنني الثعبان الذي قدمتِ له الساكي، وأرجوك أن تقبلي فتكوني زوجة لي!" قالت الأميرة: "ما أعجب أمرك! ما كان يجب أن تتقدم إليَّ على هذا النحو. فمن فضلك، اذهب إلى أبي". فقال: "سأفعل".

ولم يمضِ غير أيام قليلة حتى كان محارب شاب حسن المظهر يزور مقر آمر الحصن، ويسأله الموافقة على زواجه من ابنته. وكان مظهره وسلوكه وهيئته على درجة من الكمال جعلته ينال إعجاب الآمر؛ غير أن ذلك الأخير عندما علم بأن المحارب هو في حقيقته الثعبان الذي اعترض طريقهم ذات يوم، استشاط غضبا، وحذَّره من أن تقع عليه عيناه مرة ثانية. إلا أن الشاب لم يأبه لغضب آمر الحصن، وكرَّر المحاولة مائة مرة. وأخيرًا قال له الآمر: "عد في الغد، حيث سأقوم بالدوران حول الحصن على صهوة جوادي إحدى وعشرين مرة، فإن استطعت مجاراتي في الدوران حتى النهاية، ستكون ابنتي من نصيبك".

فانصرف الشاب منتعشًا بتجدد الأمل. إلا أن آمر الحصن جعل رجاله يزرعون مئات السيوف حول الحصن، ونصالها موجهة إلى أعلى. وفي الصباح المحدد لذلك السباق، حوَّل الشاب نفسه إلى ثعبان، ومضى يعدو خلف آمر الحصن الذي كان يعتلي ظهر فرسه؛ فكانت نصال السيوف الحادة تقطع جسم الثعبان، فأخذ ينزف بغزارة، حتى أنهى السباق في حالة يرثى لها؛ فالتفت إليه آمر الحصن وقال له في سخرية بالغة أنه من المستحيل أن يُعطي ابنته الجميلة لثعبان قبيح مخيف مثله.

وفي تلك اللحظة، تمكن الغضب من الثعبان، فانقلب إلى تنين، وخطف الأميرة، وفرَّ بها.

٣

لعلنا لم نسمع مواء القط !

يُحكى أنه كان هناك رجلٌ وامرأة عجوزان، وكانا فقيرين جدًا، ولكنهما طيبان وأمينان. وذات يوم، خرج الرجل العجوز إلى الجبال ليحتطب؛ وعند الظهر، فتح صندوق الطعام ليتناول كريات الأرز التي أعدتها زوجته، وكان متعجلاً، فسقطت منه واحدة من تلك الكريات، وتدحرجت لتسقط في حفرة بالأرض، على بعد بضعة أقدام منه.. تقدَّم العجوز ونظر في الحفرة لعله يتمكن من استعادة كرة الأرز، ولكن الحفرة كانت عميقة ومظلمة.

وبعد دقائق قليلة، أطلَّ فأرٌ من الحفرة، وهتف محيِّيًا الرجل العجوز:

- عمت مساءً أيها العجوز، وشكرًا جزيلاً على كرم ضيافتك، الذي أقابله بدعوتك إلى بيتي الكائن تحت الأرض.. فاتبعني من فضلك !.

فسأله العجوز:

- وكيف لي أن أمرَّ من هذه الفتحة الصغيرة ؟

أجاب الفأر:

- مسألة سهلة للغاية، كل ما عليك أن تفعله هو أن تغلق عينيك وتمسك بذيلي!.

ولم يلبث العجوز أن وجد نفسه في بيت الفأر، حيث استقبله عدد من الفئران بالتحية، وعملوا على إبهاجه وتسليته بالمعزوفات والرقصات وقدموا له ما لذَّ من طعامٍ، وهم يغنون :

لمائة من السنين
لمائتي سنة ؛
بل إلى الأبد ،
لن يطرق سمعنا مواءُ القطط ،
بعد الآن.

وعندما عزم العجوز على مغادرتهم بعد بضع ساعات كانت مفعمة بالسرور، قدمت له الفئران هدية وداع، عبارة عن قطع من النقود الذهبية... وهكذا تحول العجوز وزوجته بين ليلة وضحاها من فقراء إلى موسرين.

وحدث أن كان للزوجين العجوزين جارٌ غير محمود الصفات زري الهيئة، ما إن وجد جاريْه قد أمسيا غنيين، حتى قرَّر أن يصبح مثلهما. وفعلاً، استطاع أن يعرف سرهما، وأخيرًا وصل الرجل إلى بيت الفئران، تحت سطح الأرض؛ وكان ذلك الجشِع قد نوى أن يُفزِع الفئران لتفر تاركةً كنوزها، فيستولي عليها وحده، خاصة إذا دخل عليهم على هيئة قط جائع، وصاح الرجل: "مياو"، فساد المكان هرجٌ ومرج وجلبة وصراخ، ثم انطفأت الأنوار، ووجد الرجل نفسه وحيدًا في ظلام أبدي في جوف الأرض.

٤

حيوان الغُرَير والغلاَّية

يحكى أنه في سالف العصر والأوان، كان يعيش زوجان عجوزان بقرية جبلية صغيرة، وأنهما كانا فقيرين جدًا ، حتى أنهما لم يكن لديهما ما يستقبلان به العام الجديد. وفيما كان الرجل العجوز يسير خائر النفس مغتمًا، عائدًا إلى بيته، بعد أن ظلَّ يحتطب في الجبال طول اليوم، برز له من بين الأشجار الكثيفة (غُرير) بادره بالسؤال :

– أيها العجوز، مالي أراك حزينًا ؟؟

فشرح له العجوز حاله؛ فقال الغرير:

– دعني أقدِّم بعض العون.. إن كاهن القرية بحاجة إلى غلاية جديدة، وسوف أجعل نفسي غلاية، تقوم أنت ببيعها له.

ولم يكد حيوان الغرير ينتهي من كلامه حتى اختفى عن الأنظار وحلت محله غلاية بهية المنظر. وكان كاهن معبد القرية شديد الحرص على طقوس تقديم الشاي التقليدية؛ وأراد أن يتباهى أمام أصدقائه بالغلاية التي اشتراها حديثًا، فطلب من أحد تلاميذه أن ينظفها؛ فلما بدأ الكاهن الصغير في دلك الغلاية، هالهُ أن يسمع دمدمة شكوى تصدر من الغلاية وصوت يقول له "ما أقساك !.. ترفق بي !"

فنقل التلميذ الواقعة العجيبة إلى كاهنه، فلم يجد لديه إلا اللوم والتعنيف، وأن يكف عن أحلام اليقظة تلك.

ولم يلبث الكاهن أن بدأ يعدّ الشاي، فصبَّ الماء في الغلاية، ووضعها على النار، فلما سخن الماء فوجئ الكاهن وضيفه بالغلاية تقفز من فوق النار صارخة : "ساخن جدًا.. ساخن جدًا !.

وظهر للغلاية رأس غرير، ثم ذيله، ثم أطرافه الأربعة..

عادت الغلاية غُريرًا، انطلق من فوره متخذًا طريقه إلى الجبال.

الأسد والأرنب

(حكاية هندية قديمة)



وهذه الحكاية مستلة أيضًا من عالم الحيوان وهي بعنوان (الأسد والأرنب) وهي مأخوذة من كتاب (كليلة ودمنة) لـ"عبد الله بن المقفع".

تبتدئ الحكاية بالقول:

كان هناك في قديم الزمان غابة، وقد أرادت الحيوانات فيها أن تجتمع ولكنها كانت في خوف دائم من مجيء الأسد الذي اعتاد أن يفعل ذلك دائمًا فيأكل واحدًا منهم أو أكثر... وفي ذات يوم حضرت الحيوانات إلى الغابة على وفق عادتها وتشاورت فيما بينها، وحاولوا اتخاذ قرار بهذا الشأن، وتساءلوا وتباحثوا طويلاً، وأخيرًا قرروا أن أفضل ما يمكن عمله هو تقديم مبلغ كبير من المال إلى الأسد مقابل أن يتركهم يعيشون في سلام، ولمَّا اتخذوا القرار ذهبوا لمقابلة الأسد.. استمع الأسد إليهم وقال لهم إنه ليس في حاجة إلى المال، ولكنه سيتركهم في سلام إذا ما قدَّموا إليه واحدًا منهم كل يوم ليأكله، وقال: وإلاّ فسوف أقتلكم جميعًا.

وهكذا صارت الحيوانات منذ ذلك اليوم تقدِّم للأسد كل يوم واحدًا منها ليأكله.

ومرَّت الأيام وجاءت نوبة الأرنب ليتم تقديمه إلى الأسد، فقال الأرنب:

- إنها نوبتي ولا ضير في ذلك، ولكن دعوني اذهب إلى الأسد بمفردي، لعلي أكون قادرًا على قتله وأخلِّص نفسي وأخلِّصكم أنتم أيضًا منه.

فتضاحكت الحيوانات وقالت: ياله من أرنب جبان متبجح !.

وكان الأسد في ذلك الوقت قد اشتدَّ به الجوع، فتمدد في عرينه وأخذ يصرُّ بأسنانه جائعًا وهو ينتظر وصول فريسته، وكان على وشك أن يخرج ويقتل الحيوانات جميعها عندما وصل الأرنب الذي تعمَّد أن يأتي متأخرًا، ووقف أمام الأسد.. فقال الأسد:

- كيف تجاسرتَ وتأخرتَ كثيرًا ؟

فأجاب الأرنب خائفًا ذليلاً:

- لقد عهدوا إليَّ بمهمة جلب أرنب إليك يامولاي، وكنت أقوده إلى هنا ولكن أسدًا آخر هاجمنا في الطريق وقبض على الأرنب وأخذه معه.

فزأر الأسد قائلاً:

- تعالَ، أرني أين هو.

فقاده الأرنب إلى بئر، وقال له:

- إنه في داخلها يا مولاي، وإني أخشي أن أنظر إليه وحدي، فارفعني وأمسكني وسوف أريك ذلك الأسد.

فرفع الأسد الأرنب ونظرا إلى داخل البئر حيث رأى في قعرها أسدًا وأرنبًا بين مخالبه، وهو يحملق به غاضبًا..

استشاط الأسد غضبًا وترك الأرنب وألقى بنفسه في البئر ليعاقب غريمه ويأخذ منه فريسته.. ولكن البئر كانت عميقة جدًا، فغرق الأسد.

ولمَّا سمعت الحيوانات الأخرى بموت الأسد، أسعدها ذلك غاية السعادة، وشكرت الأرنب مرارًا وتكرارًا.

الأرنب البري والتاجر

(حكاية إيطالية من العصور الوسطى)

دعا الأرنب البري ذات يوم جيرانه من ذوي الأجنحة؛ طائر السمّان والبلبل المغرد، وطائر الدراج، والغراب الكثيف الرأس، دعاهم للمجيء إلى بيته. فحضروا جميعهم وأخذوا يغنون ويشربون النبيذ ويتبادلون الأحاديث بسعادة ونشوة، وفجأة خطرت للأرنب البري فكرة، فقال:

– إننا نقضي وقتا طيبًا اليوم، لكننا لم نصل إلى المتعة القصوى بعد، فلنقم بخدعة على شخص ما، فما رأيكم ؟

قال الجميع بصوتٍ واحد:

– موافقون !

فقال الأرنب للغراب:

– إن هناك أمام خيمة الشعر عند أسفل التل يجلس تاجران، أحدهما سمين والآخر نحيف، إنهما الجشع بعينه، وهما يأتيان كل سنة إلى مراعينا لينهبا المال من عرق الفلاحين وكدهم... انظر إليهما كيف يُجهدان نفسيهما الآن مع أداة عد النقود التي لديهما، وهما مع كل ذلك يحاولان أن يبتكرا طُرقًا جدبدة للحصول على مزيد من المال..

وأردف الأرنب مخاطبًا الغراب:

- أخي الغراب، هل تجرؤ على الاستقرار فوق رأس هذا السمين ؟

رأى الغراب أن الأمر سيكون سهلاً ومسليًا، فأجاب بسرعة:

- أوه، بالطبع ! إنه ليس بشيء.

واستمر الأرنب قائلاً:

- لو تجرأتَ على ذلك، فيُمكننا أن نلهو أعظم لهو، لكن تذكّر هذا؛ حين تحطّ على رأسه في المرة الأولى، فإن هذا التاجر السمين الجشع سيقول؛ أوه، يا له من حظ سيء ! إن غرابا مشؤومًا يحط على رأسي، وفي هذه اللحظة عليك أن تطير مبتعدًا، وبعد أن يطمئن هذان الجشعان ويكُفّا عن النظر إلى السماء وأعالي الأشجار ارجع وحط على رأس التاجر السمين مرة ثانية، وسيحاول صاحبُهُ النحيف بالتأكيد أن يضربك بأداة عد النقود، وفي هذه المرة، فإن عليك أن تطير مبتعدًا تمامًا، وسترى، فستكون لدينا مادة دسمة للضحك، وستكون أحلى نكتة !.

طار الغراب بعيدًا ثم دار وحطّ على رأس التاجر السمين، فلوى هذا وجهه مذعوراً وصاح:

- أوه، أيّ حظ سيء هذا الذي يجعل غرابًا يحط على رأسي !.. أيها المساعد، أبعد هذا الغراب اللعين عني !.

فرفع هذا أداة عد النقود وهشّ بها على الغراب، فطار بعيدًا، ثم نعق وراح يدور حول رأس السمين الأصلع، فتملّكه الغضب، وهو يطلب

من صاحبه أن يكون جادًّا في طرد الغراب إذا حاول الاقتراب ثانية، وإذا تطلب الأمر أن يسدد إليه ضربة و يقتله فليفعل.

وبعد أن اطمئنّا أن الغراب اختفى وأنه لن يعود مجددًا، عادا إلى عملهما في عد النقود التي حصلا عليها.

وفي هذه اللحظة عاد الغراب طائرًا وحطَّ على الرأس الأصلع للمرة الثانية، فصاح التاجر ثانيةً:

- أوه، يا للحظ السئ ! هذا الغراب يحط على رأسي مرة أخرى، هل أنت أعمى؟ أيها المساعد لماذا لاتضربه؟ اضربه حتى الموت !.

وهنا رفع التاجر النحيف أداة عد النقود، وهو مرتبك من غضب ولي نعمته السمين ووجه ضربةً للغراب، ولكن بدلاً من أن يُصيبه، فقد طار الغراب بعيدًا، فوقعت الضربة على رأس صاحبه، فتدفق الدم على الفور، وراحت الطيور التي كانت تراقب ذلك المشهد تقهقه وكادت أن تقع من الأشجار التي تحط عليها، وانطلق الأرنب يتدحرج في العشب مرحًا.

وحين عاد الغراب، ذهبوا جميعًا عائدين إلى بيت الأرنب البري، وراحوا يغنون ويعبثون، ولم يكن باستطاعة التاجرين الجشعين الاستمرار في عملهما بأداة العد التي تحطمت، وقد مرَّ شهران قبل أن يتمكنا من الحصول على أداة ثانية وريثما يُشفى جُرح السمين.

كيف صار ماء البحر مالحًا

(حكاية شعبية نرويجية قديمة)

قبل مئات السنين، عاش أخَوان، كان أحدهما غنيًا والآخر فقيرًا، ومرَّ على الأخ الفقير يومٌ، لم يكن في بيته لقمة من طعام، وكان لديه زوجة وأطفال يعيلهم بالإضافة إلى نفسه، فقال؛(إني أعرف ماذا أفعل، سأذهب إلى أخي وأطلب منه بعض الطعام).. فأنطلق إلى أخيه الغني، الذي كان يسكن بالطبع في قصرٍ كبيرٍ، فقال له:

– ألتمس منكَ أن تعطيني بعض الطعام، فإن عائلتي جائعةٌ جدًا.

اشمأز الأخ الغني من رؤية أخيه الفقير، قال له بحزم:

– إن تعِدْني بأن تفعل ما أطلب منك، فسأعطيك فخذًا من لحم الضأن.

أجاب الأخ الفقير:

– أعدك بذلك، قل لي ماذا عليَّ أن أفعل ؟

أعطاه أخوه فخذا من لحم الضأن، وقال له:

– خذ هذا، والآن إغرب عن وجهي، وأمشِ في الأرض حتى تصل إلى نهايتها.

قال الأخ الفقير مع نفسه؛ "من المفروض أن أفعل ما وعدت به أخي"، إذْ كان الرجال في تلك الأيام حريصين جدًا على الالتزام بما وعدوا، لذلك أخذ فخذ اللحم وشرع في رحلة وهو في حزن شديد.

وقضى النهار بطوله وهو يمشي، وحين حلَّ المساء وصل إلى دار فخمة، فقال في نفسه؛ "ربما يكون هذا هو المكان المطلوب، فإنني سرتُ ما فيه الكفاية" !.. وظلَّ واقفًا أمام باب القصر، وبعد قليل اقترب منه حطَّاب وسأله:

– ماذا تريد في هذا المكان ؟

فقال الفقير بعد أن أخبره بقصته:

– أرجو منك أن تخبرني، أهذه هي نهاية الأرض ؟

قال الحطَّاب:

– نعم، إنك قد أتيتَ إلى المكان الصحيح..

وأضاف قائلاً:

– بإمكانك أن تدخل القصر، وسيطلب منك الجميع أن تبيعهم فخذ اللحم، ومع ذلك لا تبعْه إلاّ إذا حصلتَ مقابله على الرحى الموجودة خلف الباب، وحينما تخرج سأعلمك كيف تشغلها وتوقفها.

دخل الفقير الدار، وحدث كل ما أخبره به الحطَّاب، حيث تجمهر كل من في القصر حوله وكلهم يريد أن يشتري فخذ اللحم. وأخيرًا استبدله بالرحى، وعندما خرج علّمه الحطَّاب كيف يشغّل الرحى وكيف يوقفها.

عاد الفقير إلى مدينته ودخل داره وهو يحمل الرحى الثقيلة، صاحت به زوجته:

– ما هذه، غِبتَ عنا كل هذه المدة، ورجعتَ من دون أن تجلب لنا شيئًا نأكله ؟!

فقال لها، وهو يشير إلى الرحى:

– انتظري، فستعرفين بعد قليل، ما علينا إلاّ أن نشغّلها فتدور، وحين ذاك نسألها أيّ شيء نريد !

قالت الزوجة متذمرة مستهزئة:

– نعم، أظن أننا سنظل نسألها إلى أن نموت جوعًا !

ولم يرد عليها زوجُها، وضع الرحى على المنضدة، وشغّلها فبدأت تدور، فطلب منها طعامًا. وفي الحال خرج منها الطعام؛ أفراخ دجاج مشوية وحلوى أجّاص، وخبز بلحم وتفاح بسكّر للأطفال، ثم سألوها أن تزوّدهم بالنور وبحطب للمدفأة، وغطاء للمائدة، وبالشراب والعصائر، وكل الأشياء الأخرى التي هم بحاجة إليها، فخرجت كل هذه الأشياء من الرحى على الفور... فعمَّت بيت الفقير فرحة كبيرة.

وما أن سمع الأخ الغني بكل شيء عن الرحى حتى تمتم قائلاً: "يجب أن أحصل عليها !"...

وذهب إلى أخيه وعرض عليه أن يبيعها له بخمسمائة دينار.

أجاب الأخ الفقير:

- ستحصل عليها يا أخي، لكن ليس الآن، بل في وقت موسم الحصاد.

قال الأخ الغني:

- حسنٌ جدًا، خذ هذه نقودك، وسأنتظر حتى موسم الحصاد.

وفي خلال أسابيع قليلة أصبح الأخ الفقير غنيًا، بما كانت تقدمه له الرحى.

وعندما حلَّ موسم الحصاد، أخذ الرحى وأعطاها لأخيه وعلّمه كيف يشغّلها ولم يعلّمه كيف يوقفها عن العمل.

حملها الأخ الغني إلى داره، ووضعها على مائدة العشاء وقال لها: "قدِّمي لي بعض الطعام، افعلي ذلك بسرعة فإني جائع) !!... أطاعت الرحى في الحال، لأنها كانت دائمًا تفعل ما يُطلب منها، حتى ولو خوطبت بفظاظة.. وللحال خرج منها كالسيل كل أنواع المأكولات، ولم يمضِ وقتٌ طويل حتى تغطت المائدة بالمأكولات وبدأ يتساقط منها على الأرض.

فتح الأخ الغني بابه وفتح كل النوافذ على وسعها... وبعد ثلاث دقائق امتلأت الحديقة بالطعام.

وأخيرًا انطلق راكضًا بكل ما أوتي من سرعة إلى دار أخيه وقال له:

- اعمل معروفًا، تعال وأوقف هذه الرحى اللعينة، إذا استمرت على هذه الحال، فإن كل القرية ستختفي تحت كل ما يؤكل ويُشرَب.

أجاب أخوه:

- أوقفها ؟؟ أيجب عليَّ أن أفعل ذلك؟؟... إنها رحاكَ الآن.

توسل الأخ الغني إلى أخيه قائلاً:

- سأعطيك إياها إذا وعدتني أن توقفها.

فانطلق الأخ الفقير إلى قصر أخيه، وأوقف الرحى وحملها إلى داره.. وبعد وقت قصير استطاع أن يشتري مزرعة كبيرة، وذلك بفضل الرحى.

كانت داره تقع بالقرب من شاطئ البحر، فليس غريبًا أن يسمع كل البحارة على اختلاف أصنافهم بهذه الرحى العجيبة.

وفي ليلة مظلمة، وصل قبطان إلى الشاطئ وذهب إلى المزرعة، كان الجميع نائمين، وكان من السهل أن يسرق الرحى، وأن يُبحرَ بها بعيدًا.

وتساءل القبطان: "والآن أية بضاعة أطلب ؟ إني أعرف ما أطلب، سأطلب ملحًا"... وكان القبطان قد عرف كيف يشغّل الرحى، ولكنه لم يعرف كيف يوقفها.

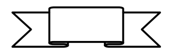
كان ماء البحر في تلك الأيام عذبًا، وكان الملح قليل التوفر وثمينًا جدًا، فقال للرحى: "أعطيني ملحًا وبكميات كبيرة" !!

دارت الرحى وانهال منها الملح، وبعد قليل امتلأت السفينة، فقال لها: "الآن توقفي" !!

إلاّ أن الرحى لم تتوقف، ولم يعرف القبطان كيف يوقفها، واستمرت السفينة تثقل وتثقل، حتى غرِقت في النهاية، واستقرت في الأعماق، حيث ما زالت الرحى تعمل وتقذف ملحًا حتى يومنا هذا، وهذا هو سبب ازدياد ملوحة مياه البحار يومًا بعد يوم، على الرغم من مياه الأنهار والجداول العذبة التي تصب فيها باستمرار !.

الصياد و ملك السحر

(حكاية من التراث الشعبي الإنكليزي)



وجد أحد الصيادين صندوقًا خشبيًا طافيًا على سطح الماء، فسحبه من الماء، وحين فتحه وجد بداخله طفلاً جميلاً، فأخذه إلى بيته، ففرحت الزوجة به كثيرًا، حيث أنه لم يكن لديهما أولاد، وحين بلغ الطفل الرابعة عشرة من عمره، شاهده أحد ربابنة السفن حين كان الصبي يتطلع إلى البحر وأمواجه العاتية، فأُعجب الربّانُ بهذا الصبي، وأعرب لأبويه عن استعداده لأخذه معه في رحلاته عبر البحار، لاسيما وأنه لمس ولع الصبي بالبحر... وبعد موافقة والديه قرَّر الربان الانطلاق في رحلته البحرية، والتي اشترط فيها والد الصبي أن لا تتجاوز المدة بأية حال من الأحوال سنة ويوم واحد.

وتمَّ للصبي ولوالديه ما أرادوا، حيث عاد الاثنان بعد سنة ويوم واحد فقط من رحلتهما، ووجد الأبوان أن ابنهما قد اكتسب خبرة وتعلم أشياء كثيرة وأنه قد نضج أكثر من أقرانه في نفس السن، بالإضافة إلى تعرفه على بعض أسرار البحر، وتمنى والد الصبي لو أعاد الربان الكرة ثانية وأخذ ابنهما في رحلة ثانية تستغرق نفس المدة السابقة.

وحصل ذلك بالفعل حيث ذهب الصبي بصحبة الربّان، ولكنه لم يعد أبدًا، فقد عاد الربان وحده، وأخبر والد الصبي أنه فقده ولم يعثر له على أثر.

ولم يكن من بُدٍّ أمام الصياد والد الفتى، من أن يقوم برحلة طويلة للبحث عن ابنه في عرض البحار... وبعد مرور فترة طويلة وجد الصياد نفسه واقفًا أمام كوخ صغير في إحدى الغابات الساحلية الكثيفة النائية، فشاهد شيخًا طاعنًا في السن، فاستضافه هذا وعلم منه بقصة فقدانه لابنه، فردَّ الشيخ قائلاً:

- أنا لا أشك أبدًا في أن ابنك قد اختطفه ملك السحر، وهذا كل ما أستطيع أن أقدمه لك من خدمة.. ولكن انتظر قليلاً أيها الصياد، فإن ملامح وجهك تعكس طيبة قلبك، ويمكنني مساعدتك أكثر، إن عليك الذهاب إلى إبني الذي يعيش على مسافة سبعة أيام مشيًا على الأقدام، وما عليك إلا إخباره بأني قد أرستك إليه.

وبعد مسيرة طويلة، شاقة ومتعبة، وصل الصياد إلى بيت ابن الشيخ؛ الذي رحَّب به كثيرًا وخصَّص له غرفة للنوم، وفي الصباح أخبره عما يجب أن يفعله، وهو أن يذهب إلى قلعة ملك السحر لتقصّي أخبار ابنه.

وحين وصل الصياد إلى قلعة ملك السحر، وسُمح له بالدخول إلى قاعة القصر، فقوبل بالضحك والاستهزاء، وطلب منه ملك السحر اختيار ابنه من بين أربعة عشر طاووسًا تمَّ عرضها عليه، وما هي إلا

لحظات قليلة حتى استطاع الصياد أن يشير إلى أحد الطواويس ويقول إنه ابنه !

فانتفض ملك السحر من مكانه وصاح بأعلى صوته:

- اللعنة عليك أيها الصياد، هيّا خذ ابنك وانصرف من هنا بسرعة، قبل أن أغيِّر رأيي..

عاد الصياد وابنه معه، فقال الابن لأبيه:

- لم يكن باستطاعتي التخلص من ملك السحر لولا مجيئك في الوقت المناسب، واعلم يا أبتي أن هذا الشخص يرأس عصابة من السحرة، وهم يقومون باختطاف الصغار وتعليمهم فنون السحر لخدمة أغراضهم الشريرة، وقد تعلمت منهم أشياء كثيرة من فنون السحر.

وأخبر أباه بأنهما سيذهبان إلى مركز المدينة لابتياع بعض الحاجات الضرورية قبل أن يعودا إلى بلدهما، وقال له؛ " وحيث أنك لا تملك المال الكافي لشراء هذه الضروريات فسوف أستعمل السحر وأحوّل نفسي إلى كلب سلوقي جميل، وسيجتمع الأغنياء حولي للشراء، وأوصيك بعدم بيعي إلا بعد مجيء ملك السحر، وحينئذٍ يمكنك بيعي بمبلغ ٥٠٠٠ باوند، وأوصيك أيضًا بعدم بيع الطوق، وفكّه من رقبتي بعد البيع مباشرة ".

وهنا تحوّل الصبي إلى كلب سلوقي جميل جدًا وأخذه الصياد إلى سوق المدينة، حيث تجمّع الفرسان والنبلاء للشراء، لكن الصياد لم

يقبل بأي سعر، وبعد قليل حضر ملك السحر وأولاده، وبالفعل أُعجب ملك السحر بهذا السلوقي الجميل ودفع ٥٠٠٠ باوند من أجل شرائه، قام الأب بأخذ الطوق من رقبة السلوقي، وربطه بقطعة حبل بدلاً من الطوق.

وعندما أصبح الصياد خارج المدينة تحوّل الطوق إلى صبي ثانية، وذهبا إلى مدينة أخرى، وتحوّل الصبي في هذه المرة إلى حصان أصيل، وكما هو الحال في المرة الأولى، أوصى الإبن أباه بعدم بيع اللجام.

وجاء الفرسان والنبلاء، ولكن الصياد لم يبع الحصان إلا بعد مجيء ملك السحر، حيث طلب الصياد مبلغ ٥٠٠٠ باوند أيضًا، أُعجب ملك السحر بالحصان وأراد أن يجرّبه، وبُهِر الصياد بحقيبة الذهب التي جلبها معه ملك السحر، وسمح له باختبار الحصان، وبعد أن امتطى ملك السحر الحصان، انطلق مسرعًا باتجاه الغابة، فيما كانت عينا الصيّاد مسمّرتين إلى حقيبة الذهب التي لديه، وما إن التفت الصياد باتجاه الحصان حتى وجده قد غاب عن الأنظار، لقد ضاع الحصان هذه المرة وغابت حقيبة الذهب التي تركها الساحر بيده وتحولت إلى كومة سماد حيواني.

عاد ملك السحر إلى قصره وربط الحصان في الإسطبل، ومنع عنه الماء والطعام لفترة طويلة... وفي أحد الأيام خرج ملك السحر إلى الصيد ومعه أولاده، وعند غيابه تكلم الحصان إلى السائس وطلب منه

شربة ماء، فشعر السائس بالخوف، وتوسل الحصان مرة أخرى، فوافق السائس وأخذه إلى جدول قريب، وطلب الحصان من السائس فك اللجام حتى يستطيع أن يشرب الماء، وفيما كان السائس يحاول فك اللجام أخرج الحصان رأسه بسرعة وانسل إلى جدول الماء وتحول إلى سمكة.

ولم يمر وقت طويل حتى علم ملك السحر وأعوانه بالأمر، فقُرِعت أجراس الإنذار في القصر وفي جميع أنحاء الغابة، وحوّل عدد كبير من السحرة ومعهم ملك السحر أنفسهم إلى ثعابين ماء وانسلوا في النهر بحثًا عن السمكة، وأوشكوا على الإمساك بها، ولكنها طارت في الهواء وتحولت إلى سنونو أسود سريع الطيران، فتحوّل السحرة إلى صقور جائعة، فشاهد السنونو سيدة جميلة تجلس في حديقة منزلها، فحط بالقرب منها وتحوّل إلى خاتم جميل في إصبعها، حامت الصقور حول السيدة، ثم ما لبثوا أن طاروا بعيدًا.

بعدها تكلم الخاتم قائلاً:

- يا سيدتي في ظرف ثلاث دقائق سيأتي ثلاثة عمال إلى هنا ويعرضون عليك بناء سياج المنزل نظير أن تعطيهم الخاتم الذي هو أنا بعد إتمامهم العمل، ولكن ما عليكِ إلا أن ترمي الخاتم في النار القريبة.

وافقت السيدة على الخطة، وبعد وصول العمال الثلاثة عرضوا على السيدة بناء سياج المنزل، وبعد إتمامه طلبوا الخاتم نظير أتعابهم، ولكن

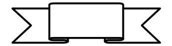
السيدة رمت الخاتم في النار، وعندها تحول هؤلاء العمال إلى ثلاثة حدّادين وأخذوا يضرمون النار بحثًا عن الخاتم، فتحوّل الخاتم إلى حبة قمح في كومة الذرة القريب، فتحوّل السحرة إلى ثلاثة ديكة، وأخذوا يأكلون الذرة، ولكن الصبي أسرع وحوّل نفسه إلى ثعلب، فانقض على الديكة وخنقها واحدًا تلو الآخر...

وهكذا طويت صفحة ملك السحر على يد ابن الصياد.

وعاد الصبي وأبوه إلى وطنهما وعاشا حياةً مديدة سعيدة.

الكبش الأسود الصغير*

(حكاية من التراث العبري)



يُحكى أنه في إحدى الغابات النائية، في مكان ما من هذا العالم الواسع، كانت هناك مجموعة من الأغنام تعيش مجتمعة، مشكلة قطيعًا متماسكًا وقويًّا، وكانت تتميز هذه المجموعة تتميز بكون جميع أفرادها لهم فروة بيضاء ناصعة لا تشوبها شائبة، وكان هذا مدعاة فخر واعتزاز لهم ويتباهون بكونهم لا ينجبون إلا نعاجًا وكباشًا بيضاء.. ولمَّا كانت المجموعة قوية تسود بينها روح الإخاء والتعاون والتآزر فإن مجموعة الذئاب لم تكن تجرؤ على التعدي عليها أو الاقتراب من منطقتها...

وفي يوم من الأيام وضعت نعجة كبشًا صغيرًا لكنه كان مختلفا قليلاً عن بقية الكباش المولودة حديثًا، فقد كان لون فروته مختلفًا، ليس أبيض تمامًا بل بين الأبيض والأسود. فثارت ضجة وسط العشيرة وسرى لغطٌ شديد حول هذه الواقعة التي تحدث لأول مرة، وفي الأخير ارتأوا أن يتريثوا قليلاً وينظروا كيف ستتطور الأمور مع تقدم الكبش في السن،

---

* بإمكان القارئ الكريم أن يلاحظ أن هناك أوجهًا للشبه بين هذه الحكاية وقصة النبي يوسف.

لكن المسكين كان كلما تقدمت به الأيام إزدادت فروته سوادًا، ولما بلغ عامَه الأول كان بلونٍ أسود فاحم.

أعرض الجميعُ عنه، فلم يعد يكلّمه أو يعبأ به أحد، حتى أقرانُه في مثل سنه كانوا يسخرون منه ويُعيّرونه بسواده، ووصل الأمر إلى أهله الذين طردوه وقاطعوه باستثناء أمه التي ظلت تحنو عليه وتمده بالطعام بين الفينة والأخرى.

وبالتالي أصبح منبوذًا يجول وحيدًا مهمومًا في الغابة، ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل إن حكماء العشيرة اجتمعوا ليقرروا مصير هذا الكبش الشاذ الذي ظهر بينهم مخافة أن ينشر العدوى بين أفراد القطيع، وبعد مداولاتهم خلصوا إلى أن هذا الكبش هو مَجلبةٌ للشؤم والعار لهم لهذا وجب التخلص منه، قال قائل منهم: "نقتله ونرميه خارج الغابة حتى تأكله الذئاب".. وبدا أن الجميع أجمعوا على هذا الرأي، لكن فجأة تدخل كبشٌ عجوز يحظى باحترامهم وتقديرهم حيث قال : "بل ننفيه من حظيرتنا"، فأجمعوا على رأيه وأخذوا به واستقروا على طرد الكبش الأسود لا لسبب إلا لأن لون فروته الأسود مختلف عنهم.

وخرج الكبش بعد طرده وهو يسير على غير هدى وهو يتوقع في كل لحظة أن تهاجمه الذئاب وتفترسه، وكان قد عقد العزم على أن لا يقاومها لأنه يستعجل الموت بعد الذي حصل له.. لكنه وبعد أيام من المسير لم يصادف أي ذئب، بل وصل إلى مزرعة فيها بشرٌ يربّون

حيواناتٍ كثيرة؛ أغنام.. خيول.. أبقار.. دجاج.. فما كان منه إلا أن تقدم نحو المزرعة فلما رآه رجلٌ عجوز أشفق لحاله وأدخله الحظيرة وتعهده بالرعاية وضمه لباقي حيواناته.

في حظيرة الأغنام السابقة داخل أعماق الغابة، بعد هذه الحادثة بدأ الخوف يسري بين أفراد المجموعة من أن يظهر بينهم من جديد كبش أو نعجة سوداء وتكون مجلبة للعار لهم، فكفَّ الجميع عن التوالد والتناسل.. ومع مرور السنوات شاخت المجموعة ولم تعد تستطيع الدفاع عن نفسها ضد هجمات الذئاب... عقدتْ الأكباش اجتماعًا للنظر في المصير الذي ينتظرها، تدخل الكبش الطاعن في السن واقترح على المجموعة اقتراحًا بدا لهم غريبًا لكنهم بعد أن تمعنوا فيه ودرسوه استقروا عليه، اقترح عليهم الكبش العجوز أن يتطوع أحدهم ويذهب إلى مزرعة أحد البشر التي تبعد مسافة أيام عن الغابة ويحاول أن يستدرج صاحب المزرعة إلى الحظيرة فيتم إنقاذهم جميعًا.. كان هذا هو الحل الوحيد المتوفر لهم، فقبلوه على الفور، وتطوع الكبش الهرم للذهاب في المهمة لكونه الوحيد الذي يعرف طريق المزرعة.

خرج الكبش في مهمته المحفوفة بالمخاطر وهو يحمل على عاتقه مسؤولية إنقاذ عشيرته من الهلاك.. وبعد أيام من المسير والتخفي عن المفترسين في الغابة الموحشة وصل الكبش إلى المزرعة منهوك القوى، ولما اقترب من السياج شمّه الكلب الذي بدأ بالنباح.. سمع الكبشُ الأسود نباحَ الكلب فخرج لاستطلاع الأمر، ولمَّا اقترب شمَّ رائحة

قطيعهِ السابق فجرى نحو الكلب ليجد الكبش العجوز وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة وقد تعرف كل منهما على الآخر، تمتم الكبش العجوز بآخر كلماته للكبش الأسود قائلاً: "أنقذ عشيرتك يا بني". وفارق الحياة.

تأثر الكبش الأسود كثيرًا لموت الكبش العجوز فهو يذكر صنيعه معه وكيف أنقذ حياته قبل سنين حين اجتمعت العشيرة وكانوا يريدون قتله ورميه للذئاب، لكن الكبش العجوز تدخل وطرح عليهم فكرة طرده من القطيع بدل قتله.. تعالى الكبش الأسود على جراحه و الظلم الذي وقع عليه من أهله و عزم على الهبوب لإنقاذ قطيعه وهو يردد قول الشاعر : "أهلي وان جاروا عليَّ كِرام".

تحدث الكبشُ الأسود مع حيوانات المزرعة فتطوعوا كلُّهم للمساعدة، فاجتمع جميع الكلاب والكباش القوية والأحصنة وبعض الثيران وانتظروا حلول الليل وخرج الكبش يقود المجموعة عبر الغابة. بعد يومين وصل أرض عشيرته، فوجد القطيع وقد تناقص عددُهُ وتضاءل ولم يبقى فيه إلا العجائز وقليل من الكباش الصغار، لما رأته بعض الكباش الكبيرة عرفته وندمت على فعلتها وجرمها القديم بحقه، وفهمت أن الاختلاف ليس مبررًا للاضطهاد أو الرفض، فكوْني مختلفًا عنكَ لا يعني أنني عدوّك، ذلك أن عدونا جميعًا هو الجهلُ بطبيعةِ الأمور... وقاد الكبشُ الأسود ما بقي من قطيعه نحو المزرعة وإلى بر الأمان.

شيدولا الكسول وجزاؤه العادل

(حكاية من أذربيجان)



عاش في زمن قديم شخص كسول جدًا اسمه (شيدولا)، وكانت الأمثال تُضرب به في الكسل، فكانت المنطقة التي يعيش فيها تتحدث عنه بإزدراء. وإذا وجد الناس شخصًا لا يعمل بجد قالوا: هذا كسول مثل شيدولا.

وكنتيجة حتمية لذلك أصبحت زوجته وأطفاله يعيشون في فقر مدقع، وكانوا جائعين دومًا، ويتلقون الإحسان والصدقات القليلة من الآخرين.. وفي كل مرة كانت زوجته توبخه فيها على كسله كان يجيب: "لا تكترثي، لا بأس عليكِ ! الآن عيشتنا صعبة، لكننا سنغتني قريبًا". فتقول الزوجة: "لا معنى للانتظار، فقريبًا سنهلك من الجوعِ".

وعند ذاك قرَّر(شيدولا) أن يتوجه إلى حكيم ليستشيره؛ كيف يمكنه التخلص من الفقر ؟... وقطع الطريق إلى الحكيم في ثلاثة أيام، في حين كان من هم في سنه يقطعونه في يوم واحد... وقبل أن يصل إلى الحكيم صادفه في الطريق ذئبٌ هزيلٌ، فسأله الذئب:

– إلى أين أنت ذاهب أيها الرجل الطيب ؟

– أنا ذاهب إلى حكيم أستشيره، كيف يمكنني أن أتخلص من الفقر وأصبح غنيًا ؟

بعد أن سمع الذئب كلامه قال له :

– اصنع لي معروفًا واسأل حكيمك؛ ماذا عليَّ أن أفعل، إني أحس منذ ثلاث سنوات بوجع شديد في بطني، فلينصحني الحكيم؛ كيف يمكنني التخلص من هذا الألم ؟

واصل (شيدولا) سيره في طريقه إلى الحكيم، فصادف شجرة تفاح على قارعة الطريق. سألته الشجرة :

– إلى أين أنت ذاهب أيها الرجل الطيب ؟

– إلى حكيم أسأله النصيحة، كيف يمكن لي العيش من دون مشقة.

قالت الشجرة :

– اصنع لي معروفًا، واسأل حكيمك عني أنا أيضًا؛ إنني أزهر كلما حلَّ الربيع. ولكن لا شيء من أزهاري يصبح ثمرًا في نهاية المطاف.

– حسنًا سأسأله.

أجابها شيدولا وواصل طريقه.

سار شيدولا، وسار، الليل والنهار، حتى وصل إلى بحيرة عميقة، أخرجت سمكة كبيرة رأسها من الماء، وسألته :

– إلى أين أنت ذاهب أيها الرجل الطيب ؟

- إنني ماضٍ إلى حكيم، أسأله النصيحة.

- اصنع لي معروفًا، وابلغ الحكيم رجائي: ها هو العام السابع وأنا أحس شيئًا يوخز بلعومي دائمًا، فليقل الحكيم؛ كيف لي بالتخلص من هذا الداء ؟

- حسنًا سأسأله.

أجابها شيدولا وواصل السير.

وأخيرًا وبعد ثلاثة أيام وثلاث ليال، بلغ شيدولا خميلة، فأخذ ينظر متطلعًا فإذا بشيخ ذي لحية بيضاء طويلة يظهر جالسًا أمامه تحت إحدى الأشجار، تطلع الشيخ إليه وما لبث أن سأله:

- ما هي حاجتك ؟

حكى شيدولا قصته، وأوضح غايته ومقصده، استمع الحكيم له بطول أناة وصبر، وسأله:

- ألديك شيء آخر تريد أن تسألني فيه ؟

عند ذاك نقل شيدولا طلبات من حملوه سؤال النصح لدى الحكيم وهم، الذئب وشجرة التفاح، والسمكة.

فردَّ الحكيم قائلاً:

- لنبتدئ بطلبات هؤلاء، فلقد انحشر في بلعوم السمكة حجر ثمين كبير، فإذا تمَّ إخراج هذا الحجر من بلعومها فإنها ستشفى... أما الشجرة، فقد دُفن تحتها كنز كبير، فإذا ما أُخرج هذا الكنز فلن تذبل

أزهار الشجرة بعد ذلك، وستنضج على أغصانها الثمار اليانعة... وأما الذئب، فلكي يتخلص من الألم والنحس فإن عليه أن يلتهم أول كسلان يصادفه.

وسأل شيدولا:

- ولكن ماذا عن طلبي ؟

فردَّ الحكيم:

- إن طلبك قد أجيب، فانصرف.

كانت السمكة الكبيرة تنتظر، وهي في قاع البحيرة بفارغ الصبر، وما أن شهدت شيدولا قادمًا حتى أخرجت رأسها وسألته :

- أبلغني ماذا نصح الحكيم بشأن علتي ؟

فقال شيدولا :

- عندما يُخرَج من بلعومك الحجرُ الثمين، تشفين مما أنتِ فيه.

وأراد شيدولا مواصلة طريقه، فأخذت السمكة تستعطفه :

- أيها الرجل الطيب، اعمل معروفًا، أشفق عليَّ، وأخرج من بلعومي هذا الحجر، فتكسب أنت بحصولك على ثروة، وأكسب أنا بتخلصي من علتي.

غير أن شيدولا ردَّ قائلاً :

- لماذا تُتْعبيني ؟ ستأتيني الثروة بنفسها دون جهدٍ أو عناء.

قال شيدولا ذلك وأوغل في طريق العودة.

وبلغ شيدولا شجرة التفاح، وما أن رأته الشجرة حتى سألته:

- ها، هل أعلمك الحكيم، كيف لي أن أتخلص من مصيبتي ؟.

فقال شيدولا :

- أجل، قال لي يجب أن يُخرَج من تحت جذورك كنز كبير، عند ذاك لن تجفَّ أزهارك، ولن تسقط، وستنضج ثمارك بكل تأكيد.

قال شيدولا ذلك، منتوياً مواصلة طريقه، غير أن الشجرة استوقفته متوسلة:

- هلا استخرجت أنت الكنز، ستكون في ذلك الفائدة لك؛ ستغتني، وستكون الفائدة لي بخلاصي من علتي !، وأستطيع أن أرشدك إلى مجرفة في مكان قريب.

لكن شيدولا ردَّ بدون حماس :

- كلا، لن أفعل، سيأتيني كل شيء، دون هذا العناء !

ومضى موغلاً في السير، حتى صادف الذئب الهزيل ذا الحظ العاثر، فجعل شيدولا يرتجف بكل كيانه، وما لبث الذئب أن سأله بنفاذ صبر :

- بماذا نصح الحكيم، قل بسرعة ؟

فقال شيدولا :

- نصح الحكيم بأن تأكل أول كسول تصادفه في الطريق، وعند ذلك سوف تُشفى حالاً ويزول عنك النحس.

شكر الذئبُ الهزيل شيدولا الكسول، الذي قصَّ عليه كل شيء، بشأن شجرة التفاح والسمكة وكيف أنه رفض مساعدتهما، قائلاً للذئب؛ "لكنني لم أرد أن أتأخر، فحتى بدون هذا الجهد سأكون غنيًا".

أنصت الذئب لكل كلمة قالها شيدولا، وفرح فرحًا شديدًا، وقال مع نفسه؛ "رائع ! لقد حُلَّت المسألة ! لا حاجة بي الآن للبحث عن كسول غبي، فقد حضر إليَّ بنفسه، ليس في الدنيا أكسل وأغبى من شيدولا هذا" !

وعلى الفور هجم الذئب الهزيل الجائع على شيدولا، والتهمه في الحال.

زواج فأر

(حكاية صينية)

وُلِد ذات يوم فأرٌ جميل، ولم يكن هذا الفأر يشبه بأية حال إخوانه وأخواته، فقد كان هذا الفأر أبيض بشكل ناصع مثل الغيوم الناعمة في السماء، وكانت أسرته مندهشة جدًا لذلك اللون غير الاعتيادي فكان والداه غالبًا ما يقولان:

- انظروا كم هو مختلف عن جميع الفئران الأخرى، انظروا كم هو وسيم، انظروا كم هو ملكي في وقفته،حقًا إنه حالة خاصة.

وعندما حان الوقت ليتزوج الفار الأبيض لم تدرِ أسرته ماذا تفعل، وقالوا:

- إنه حالة خاصة جدًا كيف سنعثر على زوجة له تكون مبجلة مثله.

وراحوا يفكرون ويفكرون، وأخيرًا قرروا أن أسرة الإله الأكبر قادرة وحدها على توفير زوجة تكون حالة خاصة تليق بفأر نبيل.

وكما تقتضي التقاليد انطلق ثلاثة من كبار أسرة الفأر ليسالوا أسرة الإله عما إذا كان لديها زوجة لابنهم الشاب.

فدعا الإله الفئران الثلاثة للدخول وسألهم:

- ما الذي يمكنني أن أفعل لكم ؟

قال الكبار:

- إننا نبحث عن زوجة للفأر الأبيض مثل الغيوم، وأسرتكم هي الأقوى والأنبل، ولهذا فهي أفضل مكان للبحث عن ذلك.

فكّر الإله لحظة وابتسم ثم قال،

- صحيح إنني قوي، لكن أسرة الريح هي المكان الذي يتوجب عليكم الذهاب إليه.

أجفل الفئران لسماعهم هذا، وقالوا،

- لكنكم بالتأكيد أكثر جبروتًا من الريح.

قال الإله:

- يمكن أنني قد خلقتُ كل أراضي العالم، لكن الريح تغطيها بالتراب وتعبث بها، اذهبوا إلى هناك لتعثروا على الزوجة التي تبتغون

وعندما وصل الثلاثة إلى منزل الريح وتلقوا الدعوة للدخول، أخبروا الريح بالغاية من رحلتهم وما جرى لهم في المحاولة الأولى قائلين:

- إننا نبحث عن زوجة خاصة وقررنا المجيء إلى أسرتك، ولكونك أقوى من كل شيء.

فكرت الريح للحظة ثم ابتسمت قائلة:

- صحيح إنني قوية، لكن أسرة الشجرة هي المكان الذي يتوجب عليكم الذهاب إليه.

أجفل الفئران لسماعهم هذا الكلام.. فقالت الريح؛

- قد أذرّي الغبار على العالم وأقلب عإليها سافلها، لكن الشجرة توفر الملجأ من قوتي وتتحدى محاولاتي للعصف بها.

وهكذا انطلقوا إلى منزل الشجرة، فدعتهم الشجرة للدخول وراحت تصغي لقصتهم بعناية، وشرح لها الفئران الثلاثة قائلين

- وهكذا ترين إن زوجة من أسرتك ستكون أفضل خيار، نظرا لكونك أقوى من الريح وبذلك تكونين أقوى من القَدر.

فكرت الشجرة للحظة وابتسمت وهي تقول:

- صحيح أنني قوية، لكن هناك أسرة أقوى حتى مني.

وأشارت بأحد أغصانها:

- إن ذلك هو المكان الذي تحتاجون للنظر فيه.

أجفل الفئران لسماعهم هذا، وقالوا:

- لكنكِ بالتأكيد الأقوى.

فردَّت الشجرة قائلة:

- قد أستطيع أن أحمي المسافرين وأقف في مواجهة جبروت الريح، لكن هناك بين جذوري تعيش أسرة هي أقوى مني بكثير، يمكنها أن تمضغ خشبي وتتسبب في سقوطي على الأرض؛ وأعتقد أن ذلك هو المكان الذي ستعثرون فيه على زوجة ملائمة.

فهاج الفئران فجأة قائلين:

- أجل، أجل ! أن مخلوقا كهذا قويٌّ حقًا !.

وهكذا نزلوا إلى جذور الشجرة وقرعوا الباب الصغير الذي كان هناك، وبعد لحظة انفتح الباب وظهر فأرٌ صغيرٌ ودعاهم للدخول، وشرحوا قصتهم للفأر، فقال:

- أوه، أجل، لقد جئتم إلى المكان الصحيح فعلاً، إنه ليوم بهيج هذا اليوم.

- إذ ستجتمع معًا أسرتانا الرائعتان.

وتلك هي الكيفية التي عثرت بها عائلة الفأر الصغير النبيل الأبيض كالغيوم على زوجة استثنائية له.

الأمير نور الزمان والأميرة فتيت الرُمَّان

(حكاية هندية قديمة)

كان يا ما كان في قديم الزمان ملكٌ عظيم الشأن، يحكم الأرض من مشرقها إلى مغربها، إلاّ أن زوجته لم تنجب له أي ذرية، فقصد المعابد والكهان ونذر النذور إلى الإلهة لكي تستجيب لدعائه، وتعهد أن يجري نهرين أحدهما من عسل والآخر من دهن بعد أن تتم الاستجابة لطلبه..

ومرَّت الأيام، وحملت زوجته، ثم ولدت طفلاً جميلاً اسماه أبوه الملك بـ(نور الزمان).

وعندما شبَّ الابن وكبر أقام الملك النهرين واجتمع الناس ليملأوا جرارهم من هذين النهرين، حتى نضبا، وبينما كان (نور الزمان) يسير بالقرب من أحدهما شاهد امرأةً عجوزًا تنحني عند جرف النهر وتجمع ما تبقى من الدهن في قِربة كانت تحملها، فأراد الأمير الشاب أن يمازحها فصوَّب قوسه لقربتها وثقبها بأحد السهام، فالتفتت إليه العجوز وعندما رأته قالت:

– ماذا أدعو عليك أيها الأمير المغرور، إني أرجو من الله الذي يستجيب لدعاء المظلومين أن يوقعك في غرام الأميرة "فتيت الرمان".

وكانت العجوز هذه ساحرة.

وهكذا اندفع الأمير في حُبِّ هذه الأميرة من دون أن يراها، وأخيرًا صمَّم على الرحيل، وخرج في إحدى الليالي من قصر والده دون أن يخبره أو يخبر أحدًا، وأخذ يسير في الوديان والجبال، ودخل صحراء لا تُعرف لها حدود، فأنهكه التعب، وإذا به يلمح كوخًا من بعيد، وعندما اقترب منه رأى شيخًا وقورًا، فرحَّب الشيخ به، وبات عنده تلك الليلة، وفي الصباح سأل الشيخ الأمير عن مقصده، فأخبره، وأراد الشيخ أن يثنيَه عن عزمه لوجود الصعاب والمخاطر، إلا أن الأمير الشاب لم ينثنِ، فقال له الشيخ:

- إذا كنتَ مصِّرًا على المضي قدمًا فعليك أن تسير في الجانب الشرقي من الطريق لمدة ثلاثة أيام وهناك ستجد واحة، وتحت أحد أشجار الواحة سوف ترى "سعلوة" نائمة فاقترب منها باحتراس، وارضع من ثديها، وإذا استيقظتْ وأرادت أن تأكلك فقل لها: "لقد أصبحتُ واحدًا من أبنائك، لأنني رضعت من ثديك"، واعلم إنك إن لم ترضع منها فإن نهايتك الهلاك.

خرج الأمير واتجه صوب الواحة البعيدة.. وبعد مسيرة ثلاثة أيام، وصل لها ووجد السعلوة نائمة كما قال له الشيخ، فانحنى عليها ورضع من ثديها، وعندما استيقظت هجمت عليه لتأكله، فقال لها ما علمه الشيخ، فقالت له السعلوة: ماذا تريد ؟ فأخبرها الأمير بمراده فقالت له:

- هاك هذا الخاتم وخذه إلى أخي "الغول" الذي تجده في إحدى القصور على مسيرة شهر في الصحراء فانتظره عند باب قصره، حتى يخرج وسلمه الخاتم، واطلب منه ما تريد.

ذهب الأمير إلى "الغول" وبعد أن أكمل مسير شهر، شاهد القصر من بعيد، وعندما اقترب منه ووقف عند بابه، حتى خرج الغول، فسلّمه الأمير الخاتم وأخبره بأمره، فقال له الغول:

- عليك أن تسلك هذا الطريق، وبعد عدة أيام ستجد جبلاً عظيمًا يتربع على قمته قصر عظيم، فاقترب منه حتى تصل إلى شِبَّاك يتراقص النور خلفه، فقف تحته ونادي بحذر: "يا فتيت الرمان يا فتيت الرمان اسحبي إليكِ المشتاق الذي جاءك من بلاد الواق واق"، فإن عطفت عليك ومالت إليك، مدّت شعرها لكي تتسلق القصر بواسطته وتصل إليها، وإلاّ ستبقى تردد هذا الكلام ولا تسمع إلاّ صدى صراخك حتى يأتي والدها ويجعلك طعامًا لها.

وسار الأمير قاصدًا الجبل، ووصل إليه بعد مسيرة متعبة وطويلة، وفعل ما أمره الغول، إذْ صاح على الفتاة، ففتحت له أحد شبابيك القصر ومدَّت له شعرها الطويل وسحبته إليها، وهناك حدَّثها بقصته.. وتحابّا. وبعد فترة من الوقت سمعا صوتًا يزمجر كالرعد وريحًا تعصف، فقالت له: إنهما والداي الغولان اللذان ربّياني بعد أن اختطفاني من والداي الأمير، فيجب أن أخبئك عنهما وإلاّ سوف يأكلانك.

فسحرته وحولته إلى "مكنسة" مركونة إلى الجدار.

وعندما دخل الغولان قال أحدهما؛ إنني أشم رائحة إنسان في القصر فأخرجيه حالاً، فأنكرت ذلك وقالت إنها لا تستطيع الخروج من القصر ولا يستطيع أحد أن يصل إليها، ولعل تلك الرائحة كان مبعثها ما أكله من الأنس في ذلك اليوم... فسكت.

وعند منتصف الليل سحرت الفتاة المكنسة وأعادت حبيبها الأمير إلى حالته الطبيعية، وأخرجته من القصر وهربا سوية.

وفي الصباح علم الغولان بالأمر فطارداهما، وعندما شعرت الفتاة باقتراب خطرهما سحرت نفسها وتحولت إلى مئذنة ووقف الأمير فوقها وهو يؤذن، وعندما سأله الغولان عما إذا كان قد رأى فتاة وفتى نفى ذلك معللاً نفيه بأن مؤذن الصباح قد ذهب إلى أهله في مدينة بعيدة ولعله قد رآهما، فابتعد الغولان عنهما.

وبعد أن اطمأن العاشقان أعادت الفتاة نفسها إلى حالتها الإنسية، وتابعا سيرهما إلى مدينة الأمير، وعندما وصلا وجدا المدينة مجللة بالسواد وتعيش في حالة حزن وكمد، فسأل الأمير عن السبب فأجابه أحد الرجال، بأن السلطان قد فقد ولده الوحيد، وها هو الآن يعيش في حزن لا يطاق، فذهب الأمير وحبيبته إلى قصر السلطان وعندما رأى الملك ابنه فرح بعودته أشد فرح، وانقلبت أحزان المدينة إلى أفراح وكرنفالات، تمَّ تتويجها بزواج الأمير نور الزمان من الأميرة فتيت الرمان.

صورة الزوجة

كان يعيش في قديم الزمان رجلٌ فقير، أو بالأحرى ضعيف العقل، اسمُه (جومبي)، عاش طوال حياته وحيدًا في كوخٍ، ولم تقبل به امرأةٌ زوجًا لسذاجته وفقرِه.

وفي إحدى الأماسي زارته امرأةٌ شابة، وقفت ببابه وسألته أن تبيت ليلتها في كوخه.

لم يسبق لـ(جومبي) أن رأى امرأةً في مثل جمالها، فلم يتمالك نفسه، لشدة فرحه، إلا السماح لها بالدخول.

وبعد العشاء، وفي الليلة ذاتها، قالت له الشابة :

- يبدو أنك تعيش وحيدًا، وأنا أيضًا وحيدة، فهل ترغب أن تتخذني زوجة.

لم يكن (جومبي) قد آمن بحسن طالعه، لذا اتخذ قراره سريعًا بالزواج منها

وسعِد (جومبي) بالزواج كثيرًا، وتعلّق بزوجته الشابة، حتى أنه لم يكن يُطيق تحويل نظرِه عنها دقيقة واحدة.. وإذا ما ذهب إلى الحقل

ليعمل، فإنه سرعان ما يهرع إلى البيت عائدًا ولمّا تمضِ دقائق على وجوده في الحقل، ثم يأخذ ينادي :

- هل أنت هنا يا زوجتي العزيزة ؟".

وبذلك فلم يكن يُنجز في يومه الكثير.

فقالت الزوجة لنفسها: "عندي فكرة جيدة"!.. وذهبت إلى المدينة، وطلبت من أحد الفنانين أن يرسم لها صورة شخصية، وسرعان ما أنجز الفنان الصورة، وأعطته ثمنها، وعادت بها إلى البيت.

قالت لزوجها :

- انظر، هذه صورتي، فخذها وعلّقها على أقرب شجرة إليك، فإذا نظرتَ إليها أثناء عملك فإنك لن تفتقدني كثيرًا.

أخذ (جومبي) بنصيحة زوجته، فلم يعد يهرع إلى البيت راكضًا.

وفي أحد الأيام هبَّتْ ريحٌ عاصفة حملت الصورة عاليًا إلى السماء حتى اختفت عن الأنظار.

انخرط جومبي في بكاء مرير بعد أن هدأت العاصفة، ثم جرى إلى بيته ليُنبئ زوجتَه بما حدث.

طمأنته الزوجة، وقالت له :

- زوجي العزيز، لا تُعِرْ الحادثَ اهتمامًا، سأذهب ثانيةً إلى المدينة وأحصل لك على صورة غيرَها.

وفي غضون ذلك، كانت الصورة الأولى قد طارت في الهواء، وأخيرًا رفرفت نازلة في حديقة إحدى القلاع.. فحملها الخدم وذهبوا بها إلى سيدهم، الذي حالما أبصر جمالها، حتى هتف قائلاً "ما أروع هذه المرأة" ! وأمر رجالَه قائلاً :

– ابحثوا عن صاحبة الصورة وائتوني بها !

طاف الرجال بالصورة من قرية إلى أخرى، وهم يسألون إن كان أحدٌ يعرف المرأة.

وأخيرًا وصلوا إلى القرية، حيث يعيش جومبي، وسألوا القرويين وهم يعرضون الصورة عليهم : (هل تعرفون هذه المرأة) ؟

فأجابوا حالما وقع بصرُهم على الصورة :

– أجل، إنها زوجة جومبي !!.

بعد أن تأكد رجالُ السيد من أقوالهم، ذهبوا إلى كوخ جومبي، فوجدوا امرأةً جميلة تُشبِه التي في الصورة تمامًا.

قال الرجال وهم يهمّون باختطاف الزوجة :

– سنأخذها إلى مولانا الأمير

توسّل إليهم جومبي قائلاً:

– أرجوكم ! لا تأخذوها مني !

غير أن جميع تضرّعاته وتوسلاته ذهبت هباءً، فبكى كثيرًا حتى سالت دموعُه مكوّنةً بركةً صغيرة.

قالت له الزوجة وهي تودِّعه على انفراد :

– لا تبكِ هكذا يا جومبي، إصغِ إليَّ جيدًا : احضر إلى القلعة عشية السنة الجديدة واجلب معك أغصان صنوبر من أجل تزيين بوَّابة القصر، ثم سيكون كلُّ شيءٍ على مايُرام !

وأخذ جومبي يتساءل يوميًا عمّا إذا كان الموعدُ قد أزِف، وأخيرًا أخبره أحدهم؛ إنها ليلة السنة الجديدة... فانطلق إلى القلعة حاملاً على ظهره حزمةً ضخمة من أغصان الصنوبر، ليحظى برؤية زوجته مرة أخرى.

حين اقترب من أبواب القصر أخذ ينادي : "صنوبر، أشجار صنوبر، صنوبر جميل للعام الجديد" !!

ولمَّا سمعت به زوجتُه وهي بداخل القلعة، ابتسمت في نفسها.

وعندما رآها السيد مبتهجةً فرِح كثيرًا وقال لها :

– يا عزيزتي، أراكِ تبتسمين للمرة الأولى !

ثم أمر خدمَه بإدخال بائع الصنوبر.

وعندما ظهر جومبي، بدت زوجتُه أشد بهجة، ففكر السيد في نفسه: إذا كان بمستطاع بائع صنوبر جعلها مسرورة بهذا القدْر، فلماذا لا أتقمص أنا دور بائعِ صنوبر ؟

عند ذاك خاطب جومبي قائلاً :

– يا بائع الصنوبر، هيّا لنتبادل ملابسنا !.

وهكذا ارتدى السيد الملابس الرثة، ووضع قبعة جومبي على رأسه فبدا كأي بائع صنوبر، وأخذ يدور في الحديقة وهو ينادي : "صنوبر، أشجار صنوبر، أشجار صنوبر للعام الجديد" !

فازدادت الزوجة بهجةً لهذا المنظر، وصفّقت بيديها الصغيرتين وهي تضحك من صميم قلبها، فاغتبط السيد وسُرّ كثيرًا وهو يراها ضاحكة، جذِلة، وأخذ يرقص في الحديقة هنا وهناك، حاملاً على ظهره أغصان الصنوبر، وهو ينادي : صنوبر، أشجار صنوبر.

وما إن صار السيد خارج القلعة حتى أمرت زوجة جومبي الخدمَ أن يُغلقوا بوّابات القلعة، فدُهِش لرؤيتِها موصدة، فصرخ :

– أنا السيد، دعوني أدخل، دعوني أدخل !

ولكنّ أحدًا لم يردّ عليه.

وظلَّ جومبي وزوجته الذكية يعيشان داخل القلعة وفي حوزتهما كل ما يريدان، وعاشا سعيدين ومُنعّمين لبقية حياتهما.

جبل الجواهر *

كان ياما كان في قديم الزمان، كانت أرملة تعيش في إحدى القرى مع ابنها الوحيد، واسمه "أمير علي"، وكانت الأم وابنها يعيشان في فقر مدقع، حيث كانت الأم تشتغل بتمشيط الصوف وغسل الملابس، وبهذا استطاعت أن تكسب ما يسد رمقها وابنها أيضًا.

وعندما كبر "أمير علي" قالت له أمه :

– لم تعد لدي القوة الكافية لكي أشتغل يا ولدي، فعليك أن تشتغل وتكسب قوتك.

فقال لها :

– حسنًا يا والدتي.

وخرج يبحث عن عمل، وذهب هنا وهناك ولم يستطع أن يجد عملاً، ووصل بعد مدة إلى بيت أحد التجار، ولما خرج التاجر سأله أمير علي :

– أتحتاج عاملاً ؟

---

* هذه الحكاية مأخوذة من كتاب ألف ليلة وليلة، وقد نشرت في أحد أعداد مجلة (التراث الشعبي) العراقية مترجمة عن النص الإنكليزي لحكايات ألف ليلة وليلة وترجمها الباحث كاظم سعد الدين.

أجاب التاجر :

- أجل أحتاج.

واستأجره في الحال.

ومرَّ اليوم ولكن التاجر لم يطلب من عامله الجديد أن يقوم بأي شيء، ومرَّ يومٌ ثانٍ، ولم يأمر التاجر بأي شيء وكأنه لم ينتبه إلى أمير علي، ولكنه مع ذلك كان يعطيه أجره كاملاً، وبدا الأمرُ غريبًا على أمير علي، الذي راح يتساءل في نفسه: " لمَ هو قد استأجره إذن ؟؟"... فذهب إليه وسأله :

- ألا تعطيني أيّ عملٍ أقوم به يا سيدي؟

فأجاب التاجر:

- نعم سأذهب في رحلة غدًا وسوف تأتي معي.

وفي اليوم التالي أمره التاجر أن يهيئ جملين وأن يأتي له بأربعة أكياس متوسطة الحجم، وأعطاه النقود ليجلبها له من السوق. وعند بواكير الصبح ركب التاجر جملاً وركب أمير علي الجمل الآخر، وسارا في طريقهما الطويل ثلاثة أيام بلياليها، وبعد ذلك وصلا إلى قرية، فاشترى التاجر ثوراً ووزع لحمه على فقراء القرية وأمر أمير علي أن يحمل جلد الثور معه.

ثم سارا مسرة ليلتين حتى وصلا إلى أحد الوديان العميقة بين جبلين عظيمين، فأمر التاجر أمير علي أن يفرش جلد الثور ظهرًا لبطن على

الأرض وأن يستلقي عليه، ولم يفهم أمير علي سبب ذلك ولكنه لم يجرؤ على أن يعصي أمر سيده، فتمدد عليه.

وفي هذه اللحظة لفَّ التاجرُ جلدَ الثور على أمير علي وجعله على شكل حزمة صغيرة، وشده بقوة بواسطة حبل جلبه لهذا الغرض، واختبأ وراء صخرة، وبعد قليل أقبل نسران كبيران اختطفا الكومة التي كانت تصدر عنها رائحة لحم طري وحملاها إلى قمة الجبل، ثم أخذ النسران ينقران الجلد ويخمشانه بمخالبهما، فارتعبا لما شاهدا شخصًا يتحرك بداخله وحلّقا بعيدًا،

خرج أمير علي وأخذ يتلفت حوله، ونظر التاجر إليه من الأسفل وقال له بأعلى صوت :

– لماذا أنت واقفٌ هكذا ؟ إرمِ لي الأحجار الكريمة الملونة التي عند قدميك.

فنظر أمير علي إلى الأرض ورأى عددًا كبيرًا من الأحجار الثمينة والماس والعقيق والزمرد والياقوت منثوراً، وكانت الجواهر كبيرة جميلة تتلألأ قي ضوء الشمس.

لم يجد أمير علي بُدًا من أن يجمع الجواهر ويلقيها إلى التاجر الذي راح يجمعها حالما تقع على الأرض وملأ كيسين بها، وظلَّ أمير علي يعمل على هذه الشاكلة حتى خطرت بباله فكرة، فنادى سيده قائلاً :

– كيف سأنزل من هنا يا سيدي ؟

فردَّ عليه التاجر :

– إلقِ إليّ مزيدًا من الأحجار الكريمة وسوف أحبرك كيف تنزل من الجبل بعد ذلك.

صدَّقه أمير علي واستمر في إلقاء الجواهر، وعندما امتلأت الأكياس، وضعها على الجملين. ثم نادى التاجر أمير علي ضاحكًا :

– أنت يا ولدي تستطيع الآن أن تعرف نوع العمل الذي أعطي عمّلي لكي يقوموا به، انظر حولك سترى كم واحدٍ منهم على الجبل !

ثم ركب التاجر وانطلق بالجملين، وبقي أمير علي وحيدًا على قمة الجبل، وصار يبحث عن مخرج ينزل منه، ولكنّ الجبل كان شديد الانحدار كالجدار وتحيط به الهاويات من جميع الجهات، ولم يجد لنفسه منفذًا، ورأى عظامًا بشرية ملقاة في كل مكان، ففهم أن أولئك كانوا المساكين الذين استخدمهم التاجر قبله، فارتعب أمير علي رعبًا شديدًا من أنه سوف يلقى المصير نفسه.

وفي اليوم التالي، وبينما هو على هذه الحال، ما لبث أن سمع خفق أجنحة فوق رأسه، وقبل أن يلتفت انقض عليه نسرٌ ضخم، وكاد أن يمزقه أربًا، ولكنّ أمير علي امتلك رباطة جأشه فأمسك برجلي النسر بكلتا يديه وتعلق بهما بقوة، فأطلق النسرُ صرخةً عالية وارتفع في الجو وأخذ يدور ويدور وهو يحاول أن يتخلص من أمير علي، واستولى التعب أخيرًا على النسر فهبط على الأرض تحت الجبل، فأرخى أمير علي قبضته وترك النسر يطير، وهكذا أنقذ نفسه من موت رهيب.

وأخيرًا وبعد أيام عديدة، لاقى فيها عددًا من المصاعب، استطاع أمير علي أن يصل إلى مدينته، وبعد أيام أخرى ذهب أمير علي إلى السوق بعد أن تنكر وأطلق لحيته وشاربيه، فرأى صاحبه التاجر، فأتى نحوه وسأله :

- أتحتاج عاملاً يا سيدي ؟

ولم يخطر ببال التاجر أن أحدًا من عماله يمكن أن يبقى على قيد الحياة، بعد أن يُترك وحيدًا على قمة الجبل تلك، ولم يحدث شيءٌ من هذا قبلاً، فاستأجره وأخذه معه إلى البيت، ثم بعد أيام ذهبا معًا في الطريق ذاته، ولما وصلا القرية اشترى التاجرُ ثورًا وفرَّق لحمه على فقراء القرية وأخذ جلد الثور معه، ثم توجها إلى الجبل، ولما صارا عند سفحه، أمر التاجر أمير على أن يستلقي على جلد الثور ويلف نفسه به، فقال له أمير علي :

- أرني كيف يكون ذلك، لأن الأمر غير واضح لدي يا سيدي.

فأجاب:

- وماذا تفهم ؟ هكذا تفعل.

ثم استلقى على الجلد الذي قلبه ظهرًا لبطن، فأسرع أمير علي ولفَّ التاجر بداخله وجعله على شكل رزمة وأحكم ربطها بحبل جلبه معه لهذا الغرض، فصاح التاجر:

- ماذا تفعل يا ولدي ؟

وأقبل في تلك اللحظة نسران يطيران واختطفا الرزمة وحلقا بها إلى قمة الجبل ووضعاها على الأرض وأخذا يمزقانها بمنقاريهما ومخالبهما، ولما شاهدا شخصًا بداخلها ارتعبا وحلقا بعيدًا.

فنهض التاجر على قدميه، وصاح أمير علي من أسفل الجبل:

- هيا يا سيدي لا تضيع وقتك، إرم إليَّ الجواهر كما فعلت لك.

عند ذاك عرفه التاجر الذي صار يرتعد خوفًا وغضبًا.

ثم نادى التاجر أمير علي:

- كيف نزلتَ من الجبل؟

فردَّ عليه أمير علي:

- ألقِ إليَّ مزيدًا من الجواهر وعندما اكتفي سأخبرك بالطريقة؛

وراح التاجر يرمي إليه الجواهر، وأمير علي يلتقطها حالما تقع، وعندما امتلأت الأكياس وضعها على الجملين وقال مناديًا التاجر:

- اسمع أيها السيد وانظر حولك ترى عظامًا متناثرة في كل مكان، لِمَ لا تسألهم كيف ينزلون من الجبل ؟ أما أنا فإني ذاهب إلى بيتي.

وساق الجملين وانطلق بهما إلى أمه. وأخذ التاجر يركض فوق قمة الجبل ويهدد ويتوعد ويتوسل، ولكن عبثًا كان يفعل ذلك، فلم يكن أحد يسمع ما يقول.

الأميـرة

(حكاية من باكستان)

في عهد الإمبراطور "جهان شاه" كان يحكم وادي كشمير رجلٌ اسمُه "علي مردان خان".

كان مولعًا بالصيد، وذات يوم حينما كان البحث عمَّا يصيده في غابة لا تبعد كثيرًا عن بحيرة (دال) الجميلة، رأى أيّلاً، فترك مرافقيه وراءه وأخذ بمطاردته، وبعد مرور بعض الوقت كان الأيل قد راغ وتوارى بين بعض الأعشاب، سحب علي مردان عنان فرسه، وانتظر على أمل أن يخرج الأيّل من المكان الذي اختبأ فيه ولكن لم يكُ هناك أثرٌ له، ولما تعِب وخاب أملُه همَّ بالعودة إلى مرافقيه لكنه فوجئ ببكاء شخصٍ ما.. اتجه إلى حيث الصوت، فوجد هناك شابةً فائقة الجمال جالسة عند شجرة وهي بملابس تدلُّ على الثراء ومحلاة بالمجوهرات، وكان من الواضح جدًا أنها لم تكن من مواطني تلك البلاد.

انبهر علي مردان بجمالها، ونزل عن فرسه وسألها عمّن تكون ولماذا هي تبكي.

– آه يا سيدي ! أنا ابنة ملك صيني، وأبي سقط قتيلاً في المعركة التي دارت رحاها بينه وبين حاكم إقليم مجاور، وقد أخذ العديدَ من نبلائنا أسرى، لكني استطعتُ بصورة أو بأخرى أن أهرب، ومنذ ذلك الحين وأنا أتنقّل من مكان إلى آخر حتى وصلتُ إلى هنا.

قال علي مردان مواسيًا:

– إنكِ الآن لم تعودي بحاجة إلى التجوال، ولن ينالك الأذى فأنا حاكمُ هذه البلاد.

نشجت الأميرة عند سماعها ذلك، وقالت:

– آه يا مولاي، إني أبكي من أجل أبي، من أجل أمي، من أجل بلادي، وأبكي من أجل نفسي، وما سيكون عليه مصيري وأنا بدون أصدقاء وبدون بيت، وكيف أعيش.

فقال لها بشفقة:

– لا داعي للاستمرار بالبكاء أيتها الفتاة المحبوبة، ابقي في قصري حيث تكونين في راحة تامة وأمان.

قالت الفتاة وهي ما تزال تبكي:

– سأفعل ذلك وأنا فرحة، وإذا ما طلبتَ مني أن أكون زوجةً لك فلن أستطيع الرفض.

توهَّج وجهُ علي مردان حين سمع هذا الكلام، وأمسك بيد الفتاة، وقال:

- تعاليْ يا حبيبتي المخلصة، سأتخذك زوجةً لي !.

وأخذها معه إلى قصره وسرعان ما تزوجا بعد مدة قصيرة.

قضى علي مردان وزوجته بعض الوقت وهما يعيشان في سعادة وهناء، وذات يوم اقتربت منه وقالت:

- ابنِ لي قصرًا عند البحيرة، لكي أستطيع من الشرفة أن أرى وجهي منعكسًا على سطح الماء.

فما كان من علي مردان إلا أن أصدر أوامرَه الفورية لبناء القصر الجديد، وارتبط آلافُ الأُجراء والبنائين متعهدين بإكمال البناء في أقصر مدة ممكنة، وبذلك تمَّ تزيينُ حافة بحيرة (دال) بقصرٍ جميل من الرخام، أحاطت به من ثلاثة جوانب حدائق مليئة بالأزهار ذات الجمال والعبير النادريْن، وهناك بجانب البحيرة عاشت الأميرة بسعادة مع علي مردان الذي كان حُبُّه لها يزداد يومًا بعد يوم.

لكنّ سعادتهما لم تدُمْ طويلاً، فذات صباح استيقظ علي مردان وهو يشعر بتوعك، وقال لزوجته الصينية:

- أنا أشعر بألم في معدتي.

إلا أن ذلك لم يُقلقه كثيرًا، ولكن لما تواصل الألم بعناد خلال اليوم كله أرسلت زوجتُه من يطلب لها طبيب القصر، ولما حضر وفحص المريض أعطاه بعض الأدوية، لكنّ الألم لم يهدأ، ولما دخل الأمير علي

مردان تبعته الأميرة فأطلعها على بلواه، فسهرت على صحته ولبّت احتياجاته، ومرَّت عدة أيام لكنْ صحته لم تتحسّن.

ثم صادف أن رجلاً ممن يجيد رياضة اليوغا كان مارًّا في طريق يؤدي إلى بحيرة (دال) وهو يحمل قارورة فيها ماء فاندهش حين شاهد القصرَ الجديد، وقال مع نفسه: "أنا لم أشاهد أبدًا قبل اليوم قصرًا هنا، وإني لأتساءل من استطاع أن يبنيه؟". ولأنه شعر بالتعب والجو كان حارًّا فإنه دخل في حدائق القصر وجلس عند شجرة، غمره شعورٌ بالسلام وهو بين الزهور، ولما كانت الطيورُ تغرّد بعذوبة فإنه نام بعمق.

وفي تلك الساعة بالذات كان علي مردان قد شعر بتحسنٍ بسيط، فأخذ يتمشى على مهلٍ متنزّهًا في الحديقة، كان يسير ببطء يسنده أحد أفراد حاشيته.

كان علي مردان ذا قلبٍ متواضع وكان دائمًا يُظهر احترامًا كبيرًا للرجال الطاهرين بصرف النظر عن عقائدهم، وهكذا بدلاً من أن يغضب على الدخيل، فإنه ابتسم. قال لمرافقيه:

- لا تُزعجوا اليوغي النائم، اذهبوا لجلب أفضل فراش تستطيعون أن تجدوه، واضجعوا عليه بلُطفٍ هذا الرجل الطاهر.

ولما رأى قارورة الماء بجانبه أضاف:

- وحافظوا على هذه أيضًا.

وبعد ساعتين استيقظ اليوغي فاندهش، إذْ وجد نفسَه في مثل هذا الفراش المريح.. اقترب أحد أفراد الحاشية من الرجل حين وجده قد صحا من نومه، وقال له:

- لا تقلق يا سيدي، إنك ضيف علي مردان، حاكم كشمير، والذي يرغب رغبة شديدة في أن يراك.

ولما لاحظ أن الرجل أخذ يبحث عن شيء ما، أضاف قائلاً له؛

- إن قارورة الماء العائدة لك سليمة وهي لدينا، فاطمئن.

ثم اقتيد اليوغي إلى غرفة الحاكم الذي كان مضطجعًا في سريره... سأل علي مردان بلطف:

- هل استرحتَ بصورة جيدة أيها الرجل الطاهر ؟ من أنت، ثم من أين أتيت ؟

ردَّ اليوغي:

- مولاي أنا تلميذ متواضع لمعلمي الذي يعيش في غابة على مسافة قريبة من هنا، وأن سيدي يُحب شربَ الماء من ينبوعِ مقدس، وهو يرسلني بين حين وآخر لأجلب له شيئًا منه، وفي آخر مرة مررتُ في هذه الطريق لم يكن هناك أيّ قصر، لذلك دُهشتُ اليوم حين اكتشفت هذا، لكني الآن أستأذنك في الذهاب لأني قد تأخرت وسيكون سيدي متلهفًا لعودتي إذا لم أعد قبل حلول الظلام.

وقدَّم شكره لعطف الحاكم عليه، وكان على وشك أن يغادر غرفة النوم حين شعر علي مردان بألم يسيطر عليه ويسبب له تقلصًا عضليًا، ولما استفسر اليوغي عما يعانيه الحاكم عرف سبب المرض الغامض، ثم غادر القصر.

وفي ذات المساء عاد اليوغي إلى معلمه وقصَّ عليه ما جرى له خلال اليوم، وذكر بالأخص الضيافة الكريمة التي أظهرها له الحاكم، كان المعلم قد شعر بسعادة كبيرة بسبب ذلك، ثم أخبره تلميذُه كيف أن الحاكم كان في قبضة مرضٍ غريب لم يكن باستطاعة أي طبيب حتى الآن أن يُشفيَه منه.

قال المعلم :

- أنا آسف أن أسمع بمرضه، خذني إليه غدًا، وسوف نرى ما إذا كان باستطاعتنا أن نفعل أي شيء لمساعدته.

وفي صباح اليوم التالي أخذ التلميذُ معلمه إلى القصر وأستأذن بالدخول على الحاكم، وكان هذا لا يزال معتصمًا في غرفة نومه، قدّم التلميذُ معلمَهُ إلى علي مردان وأخبره بالغرض من زيارتهما

قال علي مردان :

- آه يا معلم، إن حضورك الطاهر يشرِّفني، وإذا كنتَ تستطيع أن تعالجني وتُشفيني من هذا المرض فإني أكون ممتنًّا لك طوال حياتي.

قال الرجلُ الطاهر :

- أرني جسدَك.

وما أن بدأ الحاكم يكشف عن جسده حتى تساءل المعلم :

- هل تزوجتَ مؤخرًا ؟

أجابه علي مردان باختصار عن ملاقاته للأميرة الصينية وزواجِه منها.

علّق المعلمُ قائلاً :

- كما توقعتُ !

ثم أضاف بنغمةٍ رصينة :

- آه أيها الحاكم ! إنك في الحقيقة مريضٌ جدًا، لكني أستطيع شفاءَك إذا أنت فعلتَ ما سأطلبه منك.

ارتعب الحاكم لكنه طمأن المعلم بأنه سيفعل ما يطلبه منه.

وفي ذلك المساء كما أرشده المعلم، أمر بطبخ نوعين من (الكُجري) أحدهما حلو والآخر مالح، وأمر بأن يوضعا في صحنٍ واحد بطريقة تجعل كلاً منهما على جهةٍ منه، ولمّا جلس الحاكم وزوجتُه للأكل كالعادة، أدار علي مردان الصحن بحيث تكون جهةُ الطعام المالح نحو زوجته، فوجدت هذه حصتها مالحةً أكثر من اللازم، لكنها عندما رأت زوجها مستطعِمًا للأكل لم تقدم أية ملاحظة أو تعليق وأكلتْ في صمت.

ثم حان وقتُ اعتزالهما.

كان علي مردان، حسب تعليمات المعلم، قد أصدر أوامرَه إلى أتباعه أن ينقلوا ماءَ الشرب من غرفة نومهما وأن تُقفل الغرفةُ من الخارج... وكما كان متوقعًا فإن الأميرة الصينية استيقظت عطِشة جدًا في منتصف الليل، ولما لم تجد ماءً ولا مخرجًا انتابها القنوط، نظرت إلى زوجها لتُطمئن نفسَها أنه مستغرقٌ في النوم، فانتحلت شكلَ أفعى، وتسللت من خلال النافذة، وهبطت إلى البحيرة لتروي ظمأها... وبعد دقائق قليلة عادت بنفس الطريقة، ولما اتخذت شكلها البشري اضطجعت بجانب زوجها ثانية.

كان علي مردان في الواقع يتظاهر بأنه نائم، وقد أصابه الهلع مما رآه، ولم يعد باستطاعته النوم لباقي الليلة. وفي وقت مبكر من صباح اليوم التالي طلب المعلم وأخبره بما حدث الليلة تلك الليلة.

قال المعلم :

- آه، أيها الحاكم، كما رأيتَ بنفسك فإن زوجتك ليست إمرأة، وإنما هي (لاميا) أي المرأة الثعبان.

ثم شرح لعلي مردان :

- أرجو أن تعلم أنه إذا مرَّت مائة عام على الثعبان ولم يلمحه إنسانٌ فأن عفرة تتشكل حول رأسه ثم أنه يُصبح ملك الأفاعي، وإذا مرَّت مائة عام أخرى واستطاع أن يتجنب نظر إنسان عليه فإنه يتحول إلى تنين، وإذا مرَّت ثلاثمائة عام ولم ينظر إليه إنسان فإنه يصير (لاميا)،

واللاميا يمتلك قوى سحرية ويستطيع أن يغيِّر مظهره كلما أراد ذلك، وهو متعلّق جدًا باتخاذ شكل امرأة.

وختم كلامَه قائلاً :

– هكذا هي زوجتك، أيها الحاكم !.

هتف الحاكم :

– يا للهول ! ولكن أليست هناك طريقةٌ للتخلص من هذا الوحش؟

ردَّ المعلم :

– بلى، هناك، علينا أن نتصرف بحذر لكي لا نثير شكوكها، لأنها إذا شكت ولو من بعيد بأن سرَّها قد انكشف فإنها سوف لن تدمرك أنت وحدك، وإنما تدمر بلادَك أيضًا، وعلى هذا، يجب أن تفعل بالضبط ما سأقوله لك.

ثم أن المعلم أخبر الحاكم بخطته، التي نُفّذت في الحال، حيث تمَّ بناءُ بيت من الصمغ على مسافة قصيرة من القصر، ولم يكن فيه غير غرفة نوم ومطبخ، وقد بُني في المطبخ تنور كبير ذو غطاء قوي.

أوعز طبيبُ القصر إلى علي مردان أن يعتكف في هذا البيت لمدة أربعين يومًا، وخلال هذه الفترة لن يسمح برؤيته لأحد عدا زوجته.

وقد فرحت زوجتُه أكثر من اللازم لأن علي مردان قد صار لها وحدها، ومرَّت أيامٌ قليلة كانت خلالها قد لبّت بسعادة كلّ مطالبه وحاجاته... وذات يوم قال علي مردان لزوجته :

- لقد وصف لي الطبيب رغيفًا خاصًا، فأرجو من لطفكِ أن تصنعيه لي مشويًا.

قالت :

- أنا لا أميل إلى التنانير.

فقال لها زوجُها :

- لكن حياتي في خطر، وإذا كنتِ تُحبينني حقًا، فافعلي هذا لأجلي.

فلم يكن أمامها من خيار غير أن تهيئ له الرغيفَ المطلوب.. ذهبت إلى المطبخ وأعدَّت نفسَها للعمل، وما أن انحنت على فتحة التنور لكي تلصق الرغيف حتى انتهز علي مردان فرصته مستجمعًا كلّ قواه ودفعها فيه وأغلقه بالغطاء القوي وثبّته بكلاّب فلم يعد باستطاعتها أن تهرب، ثم أسرع خارجًا، حسب تعليمات المعلم، وأولع النار في البيت المصنوع من الصمغ، فتأجج فوراً.

قال المعلم الذي حضر في ذلك الوقت بالذات :

- حسنًا فعلتَ. الآن اذهب إلى قصرك وأرحْ نفسَك لمدة يومين، وفي اليوم الثالث تعال إليَّ وسأريك شيئًا.

أطاعه الحاكم، وخلال اليومين عادت إليه صحتُه بصورة كاملة، وصار قويًا ومبتهجًا مثلما كان يوم أن قابل الأميرة الصينية المزيفة، وفي اليوم الثالث، كما هو متفق عليه ذهب علي مردان والمعلم إلى المكان الذي بُني فيه بيتُ الصمغ، كان كل ما تبقى منه تلٌّ صغيرٌ من الرماد.

قال المعلم :

- ابحث باعتناء في الرماد، وستجد فيه حصاة.

بحث عنها علي مردان لدقائق قليلة، ثم أخيرًا قال :

- إنها هنا !

قال المعلم :

- حسنًا، والآن، أيهما تريد الاحتفاظ به؛ الحصاة أم الرماد ؟

أجاب الحاكم :

- الحصاة.

قال المعلم الصيني :

- موافق. إذن فإن حصتي هي الرماد.

وعند ذاك لفَّ الرماد وغلّفه باعتناء في حاشية ردائه وذهب مبتعدًا ومعه تلميذُه.

وسرعان ما اكتشف علي مردان فضيلة الحصاة، وأدرك أنها (حجر الفيلسوف) التي ما إن يلامسها شيء من المعادن فإنه ممكن أن يتحول إلى ذهب...

لكن ما نفع الرماد ؟

بقي ذلك سرًا، لأن علي مردان لم يرَ المعلم ولا تلميذَه مرةً أخرى.



أهم مصادر الكتاب

١. كتاب ألف ليلة وليلة

٢. كتاب كليلة ودمنة

٣. حكايات إيسوب

٤. حكايات لافوتين

٥. حكايات شعبية من العراق : وداد حسين حسني / ١٩٨٨

٦. الحكاية الشعبية العراقية : تأليف كاظم سعد الدين

٧. الحكاية الشعبية : تأليف د. عبد الحميد يونس

٨. مجلة التراث الشعبي العراقية

٩. ملحق جريدة الصباح (ثقافة شعبية)

١٠. حكايات بغدادية للأب انستاس ماري الكرملي:
تحقيق د. داود سلّوم / إصدار دار المدى

ـ وغيرها من المصادر والمراجع.

المؤلف في سطور

- شاعر وكاتب عراقي، من مواليد محافظة بابل عام ١٩٥٥
- عضو اتحاد الأدباء والكتاب العراقيين
- خريج كلية الشريعة / جامعة بغداد عام ١٩٨٠
- عمل في مجال الصحافة مصحِّحًا ومدققًا لغويًا، ومحررًا للصفحة الثقافية في عدد من الصحف بعد سقوط النظام عام ٢٠٠٣
- عمل لمدة طويلة معدًا للبرامج الثقافية والتراثية في إذاعة المستقبل
- صدر له :

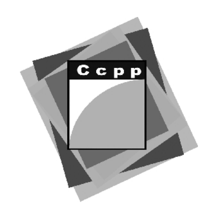
ـ تهجيات: ديوان شعر. طبعة أولى عام ١٩٩٩م.
طبعة ثانية: شمس للنشر والإعلام، ٢٠١٤م
ـ كتاب كنز الحكايات: طبعة أولى عام ٢٠١١م.
طبعة ثانية: شمس للنشر والإعلام، ٢٠١٤م
ـ كتاب (همنجواي في الحلة).
ـ لديه عدة كتب أخرى مخطوطة.

- البريد الإلكتروني : alhilyahmed@yahoo.com

فهرس الحكايات

ـ الفصل الأول : حكايات عراقية

- الفصل الثاني : حكايات غير عراقية





المركز الثقافي للطباعة والنشر
Mob: 09647801168410
w_alsawaf@yahoo.com

(+2) 01288890065 /(+2) 02 27270004

www.shams-group.net